ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٨ - محرم ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً ب ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - دبي ٦ د -
ابو ظبي ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م -
السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف -
تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

هل تفتقد متعة البرامج التلفزيونية التي تحبها عندما تكون خارج المنزل ؟

ربما كان هذا صحيحاً، أما الآن فيستطيع احد افراد اسرتك ان يسجل
ويحفظها لك لكي تراها عندما تعود.
وهذا بفضل جهاز «JVC Video Home System (VHS)» السهل الاستعما
فهذا الجهاز يسجل البرنامج الذي تشاهده، او اي برنامج آخر يعرض
وانت غائب عن المنزل، وذلك بواسطة آلة توقيت داخل الجهاز تدور تلقائ
لفترة ٢٤ ساعة، او تكلف شخصاً آخر بتشغيل الجهاز.
هذا، فضلا عن اوجه الاستعمال المثيرة الاخرى لجهاز التسجيل
Video Cassette JVC
ان الخروج من المنزل اصبح متعة حقيقية لك.



تقليد لصورة تلفزيونية.

JVC

VICTOR COMPANY OF JAPAN, LIMITED 1, 4-chome, Nihonbashi-Honcho, Chuo-ku, Tokyo 103, Japan

بين السطور

التحدي المزدوج

ماذا يبرر صدور أي مطبوعة جديدة؟

الجواب لدينا، نحن في "المختار"، ان الحاجة الى نشر المزيد من المعرفة هي المبرر الوحيد لصدور اي مطبوعة، سواء اكانت هذه سياسية ام اقتصادية ام ثقافية.

ذلك ان التطور المدهش الذي طرأ على وسائل الاتصال في العقدين الأخيرين جعل العالم صغيراً وقرّب بين الشعوب والثقافات كما جعل من المطالعة خبزاً يومياً.

ومن اجل توفير المزيد من هذا الخبز يعود "المختار" الى قرائه واصدقائه في العالم العربي، بعد انقطاع استمر ١١ سنة.

ان مجلة "ريدرز دايجست" التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة قد تحولت، منذ تأسيسها في العام ١٩٢٢، اهم واسطة لنقل المعرفة ولتحقيق التقارب بين الشعوب والثقافات. وفي هذا الاطار يجد "المختار" نفسه امام تحديين: فهو من جهة مدعو الى الانتقاء من خزان المعلومات لدى "ريدرز دايجست" ما يناسب العالم العربي ويساعد القارىء فيه على توسيع معرفته واغنائها، كما انه مدعو، من جهة اخرى، الى ان يكون عقد الاتصال بين الشرق والغرب، ينقل الى اللغات الـ١٤ لدى "ريدرز دايجست" افضل ما في حضارة العرب وثقافتهم.

بهذا التحدي المزدوج يشق "المختار" طريقه الى قرائه آملا في ان يقيم بينه وبينهم علاقة وثيقة تتعمق يوما بعد يوم.

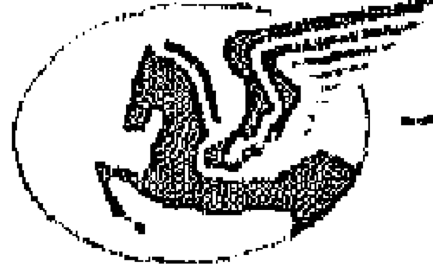
رئيس التحرير

Luxury in solid gold, from Omega

الرفاهية والأبهّة بالذهبُ، من أوميغا

Ω
OMEGA





المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين •
رئيس التحرير: ادمون صعب •
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب •
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم •
امانة التحرير: رينا نداف •
الاخراج: اروى سيف الدين •
الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس •
الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية •
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح •
الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.
الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V 75008 Paris FRANCE
الاعلانات: شركة تمام TAMAM
28, Rue de Berri, 75008 Paris, France
التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •
الصف والتركيب:
شركة المطبوعات العربية - باريس •
الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا •
الخط: محمد ماجد •

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ • اوهارا •
مدير التحرير: آلان دوليرو •

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية •

الغلاف: الارض والفضاء الخارجي

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
December 1978. N°1 (*New Series*). Vol. 1.

Poligrafici Editoriale Spa — Printed in Italy



تعرّف على أجهزة بـايـونـيـر

PIONEER

الموسيقية !

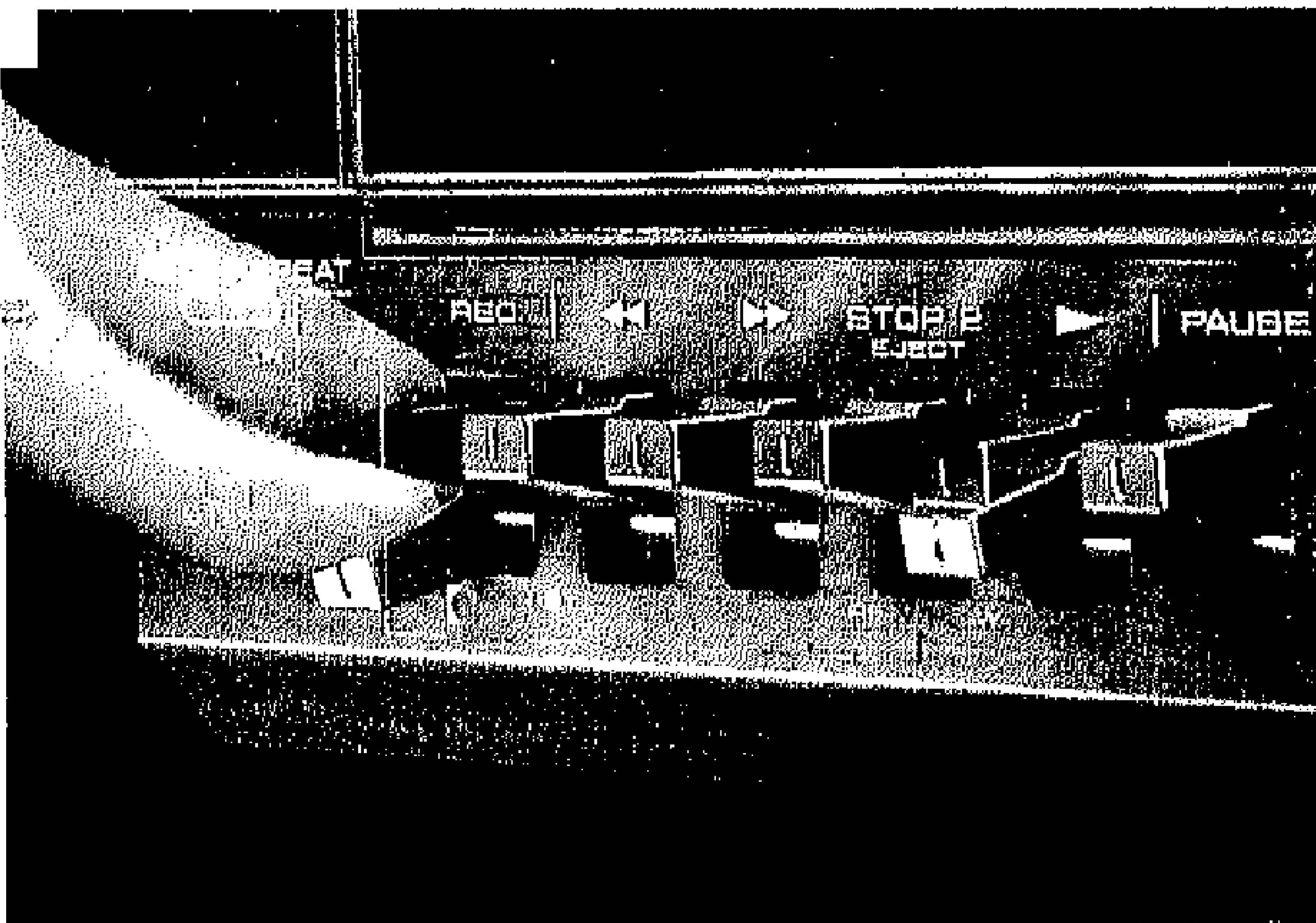
لوحة كاسيت فريدة متعددة الاغراض وسهلة الاستعمال للغاية ٠



نعم، ان استعمالها سهل لدرجة انك ستدهش كيف فكرت في جهاز ستيريو غير جهاز **بايونير** الموسيقي الممتاز ٠

اليك ما يحتويه **بايونير** من عناصر رائعة:

- مكبر ستيريو صلب، قوته الموسيقية ٩٠ واطاً يبث اعذب الموسيقى٠
- جهاز موالفة FM/AM قوي لالتقاط الموجات من مسافات بعيدة٠
- قرص اسطوانات FG SERVO تنزل الاسطوانات عليه تلقائيا ويدار بحزام، مع جهاز مركب فيه لضبط السرعة والدوران والصوت بدقة متناهية فيدور القرص باتزان وتعطي الاسطوانة انغاما ممتازة٠
- لوحة كاسيت متعددة الاغراض وفريدة في نوعها، مع مفتاح "لانتقاء الاغاني"، تساعدك على اختيار الموسيقى التي تحبها من الشريط٠
- مفتاح لاعادة بث وجه الشريط نفسه تلقائياً٠
- زر واحد - بدلا من اثنين - تضغطه للتسجيل على الشريط٠
- جهاز "دولبي" (★) لكتم الضجيج ، وازرار لا تحدث صوتا لدى ضغطها ٠



ومع كل هذه، فهناك جهازان انيقان "باس ريفليكس" لنقل الصوت بايونير بثلاثة ميكروفونات وثلاثة اتجاهات مع مكبر ضخم للصوت قطره ٢٥ سم٠

وتستطيع الاختيار بين اربعة اجهزة موسيقية بايونير مختلفة:



فالجهاز الرقم ٨٥٠ (انظر الصورة) هو الارقى٠ والجهاز الرقم ٧٥٠ فيه كل مزايا الجهاز الأول تقريبا ٠ وهناك ايضا الجهاز الرقم ٨١٠ والجهاز الرقم ٧٠٠، وكلاهما لا يشملان قرص الاسطوانات٠ ولكن، مهما تكن المتعة التي تنشدها من الاستماع الى الموسيقي الستيريو، فان أجهزة بايونير، الموسيقية السهلة الاستعمال ستوفرها لك بكل تأكيد - جديد - الجهاز الموسيقي ٨٥٠ بايونير

New

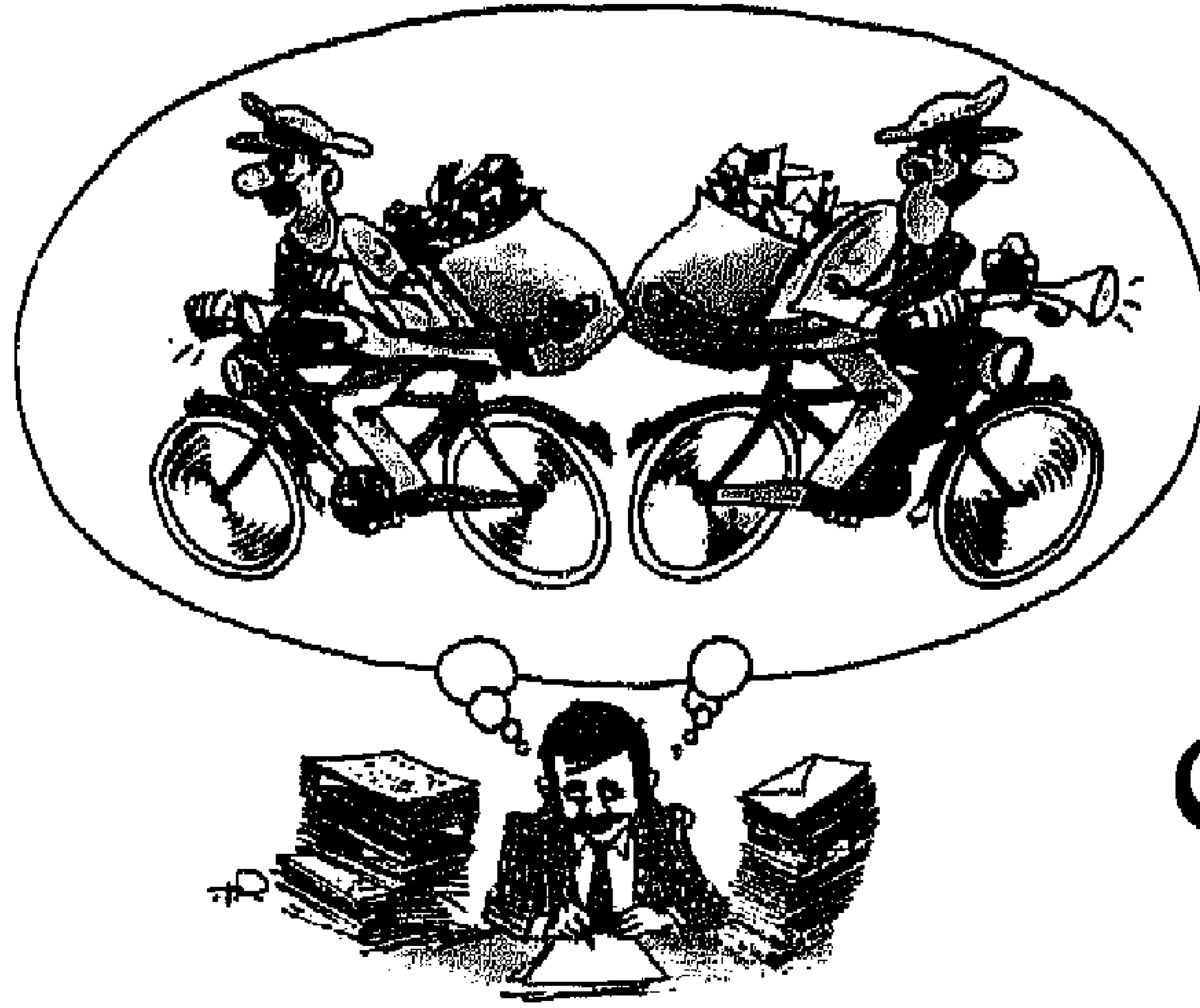
Music System 850

بايونير

للمزيد من المعلومات اتصل باقرب بائع لاجهزة بايونير

★) صنع شركة مختبرات دولبي (علامة مسجلة) ٠

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟

خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفا وجذابا ومثيرا للاهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ **حديقة افكار**

اقوال ماثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل قول من سطر واحد، و١٥ دولارا عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- يجب ان يكون بخط واضح ومتباعد الاسطر او مطبوعا على الآلة الكاتبة.
- يجب ان يذكر مع النص المنقول المرجع الكامل الذي اخذ منه: الصحيفة، المجلة، الكتاب، المؤلف، الصفحة، تاريخ النشر، الناشر وعنوانه الكامل.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

حكمة الطبيعة

ليس ضروريا ان تكون خبيرا في الارصاد الجوية حتى تستطيع التنبؤ بتغيرات الطقس.

كنت في المطار استعد للاقلاع بطائرتي ذات المحرك الواحد، واذ اقترب مني كهل كان هناك، وقال: "اتظن انك تستطيع ان تطير بهذا الشيء وقد آذنت العاصفة بالهبوب؟" فأجبته: "كلا، اذا هبت العاصفة، ولكنها لن تهب فالدلائل كلها تشير الى جو يصلح للطيران".



وعقّب الكهل "الا ترى كيف يلطو ابو الحن في الآجام كشأنه دائما قبيل العاصفة". تجاهلت هذه الترهات الفلسفية البالية واقلعت.

ولم تكد الطائرة تحلق وتقطع نحو الف متر في سماء المطار، حتى رأيت حشدا من السحب السوداء المثقلة بالامطار تنقلب في الفضاء، فسارعت الى الرجوع وهبطت.

كان الكهل ينتظر في حظيرة الطائرات، وما ان رآني حتى قال: "أجئت تلطو انت ايضا مثل الطيور؟" قال هذا وكأنه يريد ان يقول: "ألم انذرك بذلك؟". كانت هذه اول تجربة لي بحكمة القدماء الجوية. فهذا الكهل، ربما لم يسمع ابدا في حياته بالارصاد الجوية، ولكنه تنبأ بالجو بدقة غريبة، يسميها بعض الناس الفطرة الشعبية على تلمس الاحوال الجوية، والبعض الآخر التنبؤ المبني على الملاحظة، وآخرون يقولون ببساطة ان لهذا الكهل حكمة استكشاف الجو.

فما هو السر الذي يتيح لحكماء الجو ابداء هذه التنبؤات الدقيقة؟ انهم يقرأون الجو المحيط بهم كفي كتاب مفتوح، ويهتدون الى الادلة في

Condensed from «Weather Wisdom» Copyright 1976 by Albert Lee.
Doubleday & Co., Inc., 245 Park Ave., New York, N.Y. 10017

السماء وفي اوضاع الطيور والاشجار، بل يتحسسونها في عظام اجسادهم عندما يحركها الالم، ويلمسونها في آلاف المؤشرات الاخرى. وفي مقدورك ان تحذو حذوهم، انت ايضا، حتى اذا ما الفت الاشياء التي تنبغي مراقبتها استطعت ان ترى الجو يتغير امام ناظريك.

في ايام الصحو يرتفع الضغط الجوي ويستقر الهواء نسبيا. وعادة يكون الهواء محملا بالتراب. ومع اقتراب العاصفة وانخفاض الضغط، يتنقى الهواء فيتسنى للناظر اليه ان يستجلي ما حوله بوضوح أكبر. واذا بدت الاشياء في الافق بعيدة وغير واضحة الخطوط، فالغالب ان الجو سيبقى صحوا. ولكن عندما تبدو الاشياء في الافق جلية وقريبة، فالامطار تكون على ابواب السماء. وقد سجل البحارة هذه الشواهد في قول مأثور:

"كلما بعد النظر

دنا المطر".

عندما تشتد الرائحة ـ كما انه يمكن استشمام التغيرات الجوية، فمع اقتراب المطر تغدو حاسة الشم أكثر حدة من المعتاد. وتشتد رائحة كل شيء، سواء أكان زهرا في الحقول او عفنا في المياه الآسنة. وسبب ذلك انه عندما يرتفع الضغط الجوي تنكبت الروائح ويتوقف انتشار عبيرها. ولكن عندما ينخفض الضغط مع اقتراب العاصفة، تنطلق الروائح من عقالها.

كذلك بالنسبة الى السمع، فالآذان تزداد فعالية مع اقتراب العاصفة. وثمة نظريات حول هذه الظاهرة، منها ان السحب الكثيفة التي تحيط بالعاصفة تقف بمثابة الحاجز، فتصطدم بها موجات الصوت الآتية من الارض لترتد الى الارض مرة أخرى. ومهما يكن الامر، فالاسهل هو اعتماد الحكمة القديمة القائلة:

"اذا امتد الصوت وجلجل بعيدا

فالعاصفة آتية لا شك قريبا".

ومن علامات اقتراب الامطار والعواصف، تضاعف الآلام في جسم الانسان. فمن المسلم به عادة، ان المصابين بالروماتيزم والتهاب المفاصل ووجع الاسنان او لديهم آثار ورضوض في العظام او ثفن وتورم في الاقدام، تتضاعف آلامهم مع ارتفاع الرطوبة وانخفاض الضغط الجوي، وهي شواهد عبر عنها الاقدمون بقولهم:

"اذا زادت الاوجاع في الاسنان

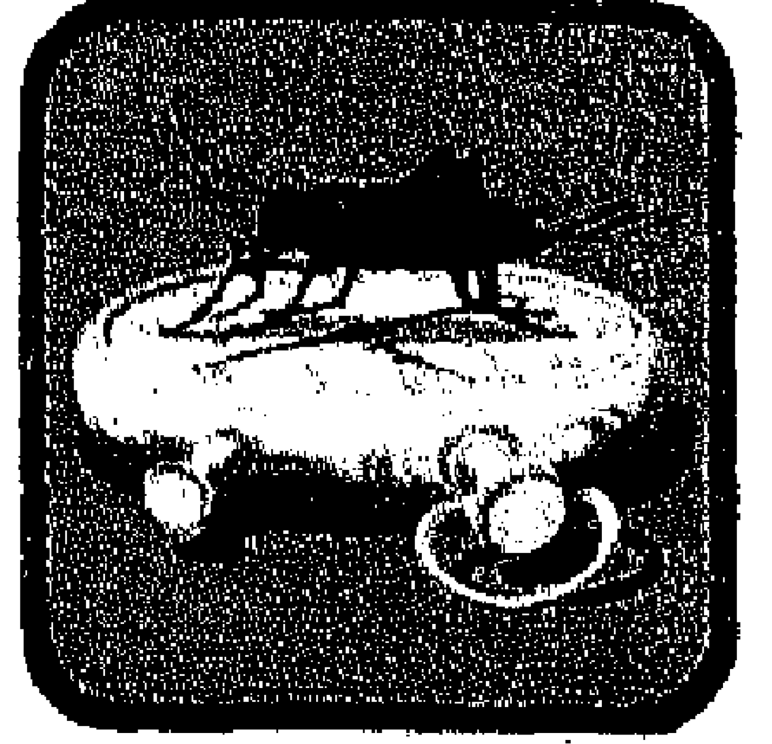
وتكالبت على جسمك الآلام

وتحرك الثفن في الاقدام

فلن يكون الجو كما يرام"

ولا بد ان انخفاض الضغط قبيل العواصف يؤثر ايضا على سلوك الحيوان، فمع اقتراب العواصف الكبرى يزداد النشاط العصبي لدى الحيوانات الاليفة، وتتجمع الماشية والخيول وتهبط من التلال الى الأودية كذلك الطيور فأن لها دوراً كبيراً في حكمة الجو. فهناك انواع منها تأبى ان تطير قبل العاصفة. ويقال عن صائدي الكركند في مقاطعة نيو انغلاند الامريكية، انهم يستيقظون باكرا ليراقبوا طيور النورس، فاذا انطلقت هذه نحو البحر خرج الصيادون للصيد، واما اذا اتجهت نحو اليابسة او توارت في مغاور الشاطىء فعندئذ يحجم الصيادون عن النزول الى البحر. وتقول احدى

النظريات ان انخفاض الضغط الجوي قبل العاصفة يجعل تحليق الطيور اكثر صعوبة. ثم ان بعض الطيور الاخرى، تبني اعشاشا رقيقة فتخشى عليها التدمير بفعل العاصفة والامطار، وتفضل ان تقبع فيها حتى يزول الخطر.



ويعتبر ابو الحن اشهر الطيور تمسكا والتصاقا بعشه عند اقتراب العاصفة، وشأن الطيور كشأن الاطفال في هذا الصدد. فالطفل يقبع داخل المنزل بسبب سوء الجو، وتتكاثر احاديثه وشكاويه، كذلك الطيور، فهي تزقزق وتعلو اصواتها احتجاجا: صياح الاوز، ونعيق الغربان، وتحرك القرّاع نقرا للشجر.

واما الحشرات فهي من أكثر الكائنات تأثرا بالاحوال الجوية، وبالتالي فان لتصرفاتها مدلولا كبيرا لدى حكماء الجو.

واذا راودك شك في ذلك، فاذهب الى الحقل ومعك ساعة توقيت. فستجد ان طنين الجدجد يتزايد بمعدل ثابت كلما ارتفعت درجة الحرارة، اما صرصور الاشجار الابيض (ويسمى ايضا "ميزان الحرارة") فان طنينه من الدقة والانتظام بحيث انك لو اجريت حسابا لوحداته على فترة ١٤ ثانية واضفت الى المجموع الرقم ٤٠، لتوصلت بدقة الى معرفة درجة حرارة الجو السائدة في تلك اللحظة.

ولئن كان الصرصور بمثابة ميزان الحرارة الجوية بالنسبة الى الرجل الفقير، فاننا لنرى لنا في عالم النبات مقياسا لضغط الجو. ان بعض الزهور والنباتات، ومنها ازهار الخزامى والقطيفة والنفل (البرسيم) والهندباء البرية، تطوي اوراقها مع زيادة الرطوبة واقتراب المطر، في حين تتكاثر نبتة الفطر بشكل ملحوظ كلما ارتفعت رطوبة الجو ودنا انهطال المطر.

لون السماء – ويعد لون السماء ايضا من المؤشرات الدقيقة لتغير الطقس. فاحمرار الشفق عند الغسق، يدلل على الصحو في اليوم التالي. لكن هذا الاحمرار يعني عادة الاحمرار الوردي او الزهري. فاللون الوردي ينجم عن مرور ضياء الشمس عبر جسيمات من الغبار الجاف، بينما يدلل اللون الاحمر الغامق على مرور ضياء الشمس عبر ستار من الغبار المشبع بالرطوبة، الذي يؤذن بقرب هطول المطر. وتقول الحكمة الشعبية:

"اذا احمرت السماء ليلا
نزلت السعادة على البحارة سيلا "

على ان نتذكر ان المقصود



بالاحمرار هنا هو الاحمرار الباهت .

ويحمل الليل، بالطبع، مجموعة من المؤشرات الخاصة بالجو، لعل اكثرها رواجا الهالة المحيطة بالقمر. فهي تسبق الامطار والثلوج والجو العاصف الرديء.

ويقول بعض حكماء الجو ان الخطوط الظاهرة المعالم على وجه القمر والنجوم المتألقة في السماء، دليل على هبوب رياح سطحية قوية تزداد سرعتها في غضون ساعات معدودة. وان كثرة النجوم تدلل على وضوح الرؤية وتنذر بأحتمال هبوط الندى او الصقيع.

اما السحب، ويسميها حكماء الجو "رجال الارصاد في السماء"، فهي ادق مؤشرات التنبؤ بالطقس. فالسحب المتحركة على مستويات عالية بشير بالصحو، بينما السحب المنخفضة تعني ازديادا في الرطوبة، وهذا يعني المطر في غالب الاحيان.

وعندما يتحدث الناس عن السحب يتصورون غالبا تلك السحب البيضاء المنتفخة. وعندما تظهر هذه السحب بقلة وبياض ناصع في سماء زرقاء صافية، فهي تبشر بجو لطيف ومعتدل. لكنها قد تتطور الى سحب محملة بالرعد والبرق، وقد تقذف قطعا من البرد في حجم كرة المضرب، وقد تأتي برياح شديدة تطوح الاشجار وزوابع اعصارية تتجاوز سرعتها ٤٠٠ كيلومتر في الساعة. وبالتالي فأن هذه السحب تنطوي على تناقض غريب: فهي تنبيء في أحسن حالاتها بجو جميل، وتنذر في اسوأ حالاتها بعواصف قد تقضي على الكثير مما بناه الانسان.

لا شك في ان حكمة الجو تنبع من تحسسنا العالم المحيط بنا، وتؤتي ثمارها متى اهتدينا الى النماذج الجوية السائدة في المنطقة التي نعيش فيها، وعرفنا كيف نستوحيها. ولا ريب اذا في ان خير من يتنبأون بتقلبات الجو هم الذين يعرفون دقائق منطقتهم حق المعرفة، مثل المزارع الذي يتحسس، بفضل خبرته الطويلة، دنو العاصفة من مجرد بروز نوع معين من السحب فوق حظيرة جاره.

وكلنا نعلم ان "مصلحة الارصاد القومية" نفسها قد تخطيء احيانا في تنبؤاتها، وانها تحتاط للامر فتبطن بياناتها بعبارات "الاحتمال" و"الترجيح" وفي استطاعة كل منا ان يتخذ بيانات مصلحة الارصاد اساسا ويضيف اليها ما استخلصه من ملاحظاته الشخصية، فيخرج بتنبؤات اكثر دقة، ولو انها لا تصيب الهدف دائما، لان الطبيعة لا تأذن بذلك، ولكنه قد ينجح الى حد بعيد.

■ **البرت لي**



رفض المسؤول في احدى دور النشر مخطوطا لرواية بوليسية الفها كاتب شاب، وقال له وهو يعيد اليه كتابه: "انه لا يصلح اطلاقا، فليست فيه جثة واحدة. ويجب ان تعرف ان الموت هو الذي يبعث الحياة في اي رواية".

صحيفة "لوهيريبسون" - فرنسا

قسيمة اشتراك

املأ هذه القسيمة وارسلها الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً على ان تدفع بدل الاشتراك بعد ثلاثة اشهر.

الاسم : ....

العنوان : ....
....

التوقيع : ....

التعريفة: ☐ سنة ☐ ستة اشهر

بالبريد العادي ١٥ دولارا ٨ دولارات

بالبريد الجوي تضاف الى التعريفة العادية بدلات الارسال جوا.

يرسل بدل الاشتراك اما شيكا باسم "المختار"

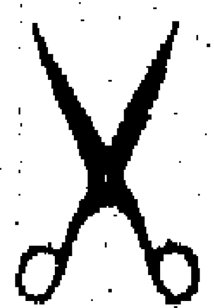
Al Mukhtar min Reader'S Digest
37, Avenue George V 75008 Paris FRANCE

واما حوالة باسم "المختار" على:

Banque de la Mediterranee France
23 rue Quentin Bauchart — 75008 Paris

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V — 75008 Paris, France





اصداء من عالم الطب

المشاجرات تعوق النمو

قرر اربعة من الاطباء، هم الدكتور جيرالد باول من مدرسة الطب في جامعة ديوك، والدكاترة جوان بريزيل وروبرت بليزارد وسلفاتوري تايتي وكلهم من مدرسة الطب في جامعة جونز هوبكنز، ان الاضطرابات العاطفية التي يتعرض لها الاطفال بسبب النزاع بين الوالدين قد تعوق نموهم الى حد كبير.

وقد نشر هؤلاء الاطباء الاربعة في مجلة "نيو انغلاند الطبية" نتائج الدراسة التي اجروها على ١٣ طفلا يعانون بطأ في النمو بدرجة غير عادية. ووجد الاطباء ان جميع هؤلاء الاطفال يعانون اضطرابات عاطفية، وان لكل منهم ابوين كثيري الشجار. وحين وضع الاطفال في مستشفى للنقاهة، لوحظ ان سرعة نموهم قد ازدادت زيادة ملحوظة.

وبعد ان خرج الاطفال من المستشفى وعادوا الى بيوتهم، توقفوا مرة اخرى عن النمو الطبيعي. واظهرت الدراسات البيوكيميائية ان اجسام الاطفال في اثناء اقامتهم في بيوتهم كانت تفرز كميات صغيرة الى درجة غير عادية من هورمون النمو، وهو مادة كيميائية تتحكم في افرازها الغدة الصنوبرية. ويحتاج الامر، بالطبع، الى مزيد من البحوث والاختبارات قبل ان تعتبر هذه النتائج نهائية، لكن دلالتها واضحة.

مداواة الرهاب العصبي

يعالج مرضى الرهاب العصبي الآن عن طريق "ازالة حساسيتهم" لمخاوفهم غير الطبيعية، بواسطة حقنهم بمخدر من مركبات "الباربيتيورايت". وقد اتاح هذا العلاج لاحدى السيدات ان تسافر من دون تخوف للمرة الاولى منذ ثمانية عشر عاما، كما اتاح لمرضى آخرين ان يتخلصوا من خوفهم من محلات الحلاقة والرعد والاماكن المكشوفة و المغلقة.

وقد نشر الاطباء البريطانيون في مجلة "لانسيت" تقريرا عن هذه الطريقة الجديدة وهي تقوم على اثارة القلق لدى المريض بجعله يتخيل نفسه في الوضع الذي يخاف منه وعندما يتصاعد قلقه، يعطى حقنة من المادة المخدّرة.

("شيكاغو ديلي نيوز")

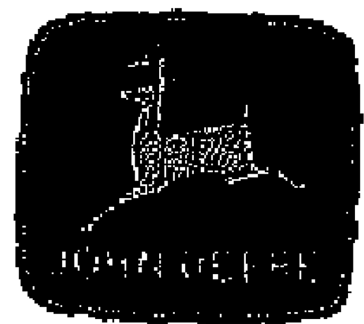
"رحلة" الى العمى

اصيب اربعة من مستعملي عقار الهلوسة "ال.اس.دي" باضرار دائمة في قواهم البصرية لانهم حدقوا في الشمس وهم تحت تأثير العقار.

ويقول تقرير جمعية اطباء العيون في سانتا باربارا ان التحديق في الشمس قد تسبب في حرق جزء معين في قرنية كل من الاربعة مما ادى الى فقد جزئي للقدرة على القراءة.

(ا.ب)

JOHN DEERE on the move



بشرى

إن الحفـّارة الميكانيكية الجديدة التي انتجتها معاملنا والتي تزن ٤٠ طناً،
تعمل في مقالع الحجارة والانشاءات الثقيلة ومدّ الأنابيب حتى عمق ٨،٥ أمتار،
وتتولى السوائل تحريك الركام والآلة على السواء، بواسطة محرّك توربيني من نوع "جون دير"
يعمل على المازوت بقوّة ٢٥٠ حصاناً، ومهندسو الشركة الذين صمموا حفـّارتنا عام ١٩٦٩
بقوة ١٣١ حصاناً هم أنفسهم وضعوا تصميم الحفارة الجديدة التي هي أساساً كالأولى ولكن تفوقها حجماً،
وبالنسبة إلى المقاولين الذين رافقوا نموّ أعمالنا طوال ٤٠ سنة، كان وصول حفـّارة "جون دير - ٨٩٠"
مسألة وقت فقط، ويسرنا ان نعلن أن لدينا شركات توزيع ونرد على أي سؤال ممن يهمهم الأمر على العنوان الآتي:

John Deere Intercontinental Ltd. S.A.,
d. de la Woluwe 34, Boite 4, 1200 Brussels, Belgium.

مصر ■ الاردن ■ الكويت ■ المملكة العربية السعودية ■ السودان ■ دولة الامارات العربية المتحدة،

العمل المنزلي لم يعد وظيفة الام وحدها بل هو بات وظيفة جماعية تشمل كل من يعيش في المنزل. هذا التقليد القديم - الجديد هل له مكان في العالم العربي؟

حرّر أسرتك بالعمل المنزلي

ثمة ازواج، كما تبادر الي، ينعمون بالتحرر التام. فهم توصلوا الى التوقيع بالحبر على عقد زواج يتعهدون فيه بتبادل الحب والاحترام و... مسح غرفة الحمام كل يوم خميس.

وهناك ازواج آخرون لديهم فكرة ثابتة عن الزواج بانه عقد يقضي على العروس بأن تأتي ومعها مجموعة من الدواجن، حتى اذا لم يرتح الرجل الىالزواج، لأي سبب، سعى الى التبرؤ من زوجته والاحتفاظ بالدواجن. وبموجب هذا العقد، لا يترتب على الزوج ان يمسح غرفة الحمام او حتى ان يهتم بتعليق قميصه.

اما زوجي فيقف موقفا وسطا بين هذين النقيضين: فهو يطبخ، لكنه لا ينظف. لذلك، ربما كانت اسرتنا الوحيدة بين عائلات الطبقة الوسطى التي وجدت الحل للتحرر الكلي: فولدانا يمسحان غرفة الحمام وينظفان السجاد بالمكنسة الكهربائية ويغسلان ثيابهما ويتحوجان البقالة ويشاركان في تحضير الطعام ويرتبان سريريهما وينظفان غرفتيهما ويمسحان الغبار، فضلا عن تركيبهما ازرار قمصانهما الساقطة. وقد بلغ الولدان الآن سن المراهقة، لكنهما اعتادا هذه المهمة الرائعة بدءا من السادسة او السابعة. ويمكنني القول باخلاص انهما يديران شؤون المنزل بجدارة ربة بيت متوسطة.

الوظيفة الجماعية - ولا يتبادرن الى الاذهان اننا ندفع لهما اجرا في مقابل اي من هذه الاعمال. فموقفنا كعائلة واحدة هو اننا جميعا وسط هذه المعمعة. وهما لا يختاران من الاعمال اليومية ما يروقهما لكي "يساعدا والدتهما". كذلك الامر بالنسبة الى والدهما. فالعناية بالمنزل ليست وظيفة الأم، انما هي وظيفة كل من يعيش في المنزل.

ان زوجي - وهو طبيب نفساني مختص في معالجة المراهقين - يعتقد ان المشكلة، في معظم البيوت المضطربة، ليست وليدة "التساهل" لكنها تنطلق من انعدام التفاعل

العائلي. فالمنزل الذي تعمل فيه الأم معظم الوقت، فيما يسترخي الأب ويلعب الأولاد، لا يعد محيطا سليما لأي من هؤلاء. ونحن في منزلنا وحدة متعاونة على غرار الفرقة الرياضية.

لي صديقة، وهي فنانة ممتهنة وعندها ثلاثة اولاد تراوح اعمارهم بين السادسة والثالثة عشرة. تقول صديقتي شاكية: "آمرهم بأن يرتبوا أسرّتهم، لكنهم يرفضون". فيقول احدهم: "انت ترتبين سريري يا امي، فليس لديك شيء مهم تفعلينه". وليس مهما ان تكون الوالدة رسامة علقت لوحاتها في المتاحف. وتعتقد الابنة البالغة السنوات الست ان عمل المنزل هو الوظيفة "الحقيقية" لأمها، مقتنعة بأن أمها سترضخ في أي حال.

"هذا مستحيل!" — هل لاحظتم ماذا يحدث عندما تزور ام كهذه، للمرة الاولى، ولدها في مخيم العطلة المدرسية؟ تصرخ الأم لدى رؤيتها اطراف السرير المبيت مثل اسرة المستشفيات "انني لا اصدق ان يكون هذا سرير ابني" ثم تتساءل: "اين هي ثيابه؟ هل هي مطوية بترتيب في صندوقه؟ ام مبعثرة هنا وهناك؟ هذا مستحيل!". وتحدق الأم في وجه مرشدة ابنها. لكن المخيم كان نظيفا وخاليا من العيوب، ولا يقع النظر فيه على ملبس زري او جوارب قذرة. اما الابن فقد كان جلفا للغاية في البيت، كذلك رفقاؤه. والفارق بين المنزل والمخيم هو ان المخيم ليس فيه امهات ليقمن بأعمال المنزل.

كثيرة هي الاعمال التي يقوم بها الصغار بطريقة طبيعية افضل مما يفعل الكبار. فكون بنيتهم اقرب الى الارض يمكنهم من مسح الغبار في نصف الوقت. وهم يحصلون على مردود ايجابي من تشغيل الادوات الرئيسية. فكبس الازرار لادارة آلة غسل الاواني والسيطرة على مكنسة كهربائية معقدة يعطي اولاد القرن العشرين حسا بالقوة لا يعادله حس آخر.

الفكرة قديمة — ان "الطريقة" التي تعتمدها عائلتنا، كمعظم الافكار الثورية، بعيدة عن ان تكون جديدة. فمنذ مئة سنة، مثلا، كان ينظر الى الولد، في المقام الاول، بانه يجيء بيدين تساعدان على القيام بأعباء المزرعة. وعندما تشتد هاتان اليدان الصغيرتان وتقويان على حمل علف الدجاج، كان على الولد ان ينهض من النوم في الخامسة صباحا ويهتم بتغذية الدجاج. ويخامرني الشك حول ما اذا كان اي ولد في تلك الايام القديمة الطيبة (والصعبة) شعر بأنه عديم الجدوى او منحى او ضجورا، او عديم الطاقة. الحقيقة ان العائلة كانت تحتاج الى كل واحد من اولادها، وكان الاولاد يعرفون ذلك.

اما اليوم، فقلما تحتاج العائلات حقا الى جهد الاولاد، ربما باستثناء تلك العائلات التي تشعر فيها الأم بانها عديمة الجدوى، او منحاة ضجورة او عديمة الطاقة من دون اولادها، كتلك الام التي تقيم في جيرتي والتي كرست حياتها لتغذية ولديها الصغيرين المتجاوزين الوزن الطبيعي، بطريقة قسرية قاسية. فهي تحشوهما كما لو كانا اوزتين معدتين للعرض في اسواق اللحوم الفاخرة، وهي تردد: "انهما حياتي

كلها"٠ وقد قلت لها مرة: "يا جارة هذا تصرف سيء جدا"٠

نحن نعيش في المدينة٠ ويقطع ولدانا مسافة ١٥ مبنى من البيت الى المدرسة ومن المدرسة الى البيت٠ ويذهبان وحدهما ايضا، سيرا في الغالب، الى المتاحف والحدائق العامة وبيوت الاصدقاء وعيادة طبيب الاسنان٠

غير ان لي صديقة لها ولدان في سن ولدينا تأبى ان يذهبا من دونها الى اي مكان٠ وحياة هذه الصديقة دوامة مستمرة٠ وقد اتصلت بها هاتفيا صباح احد الايام خلال عاصفة رعد عنيفة، فقالت: "لا يمكنني ان اتكلم الآن، اذ علي ان اكون في مدرسة ولدي الساعة ١١،٤٠"٠ وكان هذا نسي علبة الغداء في المنزل٠ فأجبتها ان المطر يتدفق في الخارج، وان احد رفقائه سيعطيه نصف سندويشه، وهو، في اي حال، لن يتضور جوعا٠ لكنها صعقت وقالت: "انه لن يغفر لي البتة"٠

وأعرف امرأة اخرى مرهقة بالعمل، تـُعلم بعض الوقت ثم تغمرها مشاغل المنزل٠ هذه تتذمر من ان ابنها البالغ تسع سنوات لا يركن اليه، حتى في الذهاب الى المخزن٠ فهو "يعود الى البيت حاملا من الكعك المحلى والمغلف بالشوكولا ما لا تقل قيمته عن ١٥ دولارا"٠

اما ولدانا فانهما يقومان بتحوج ثلثي حاجاتنا اليومية تقريبا٠ واذا نسيا الحليب، عادا الى المخزن لشرائه٠ ونحن نتوقع منهما ان يتحوجا بدقة، وهذا يتناول ضبط الوزن ومقارنة الاسعار وقراءة المعلومات الملصقة على اصناف البضاعة٠ وفي اعتقادي انهما يستمتعان بكونهما مستهلكين مدركين وربما كانا يتحسسان ذلك اكثر من اولاد كثيرين في سنهم٠

الزر والسفينة – قد يرتئي بعض النساء انه من الأفضل ان يقمن هن بالعمل، بدلا من الصراخ بصوت اجش على الاولاد كي يقوموا بذاك العمل٠ وانا لا اوافق هذا الرأي٠ فالصراخ ارق على يدي من سوائل التنظيف الاكثر نعومة٠ وزوجي يشارك عن طيب خاطر في نصف الاعمال اليومية على الاقل، التي تستدعي الشكوى٠

لذلك نظن اننا، عموما، تمكنا من المواظبة على عمل جيد الى حد٠ فولدانا يتعلمان العناية بنفسيهما وبالاشياء التي تكون حياتهما وحياتنا٠ انهما يتعلمان ان المشاركة والعمل الهادف جزء مهم مما تعنيه العائلة٠ وهما فخوران بأن في امكانهما رتق الزر، وفي الوقت نفسه تعلم قيادة السفينة٠

ونحن، بدورنا، فخوران ايضا٠

■ لوويس غولد

كانت ابنة صديقي الصغيرة تلعب بمجموعة من الدمى٠ واخيرا جمعتها كلها ووضعتها في عربتها، والتفتت الي وقد بدا على ملامحها القلق، وقالت: "لست ادري كيف سأتدبر شؤون كل هؤلاء الاطفال، فانا اتوقع طفلة اخرى في عيد مولدي"٠

و٠د٠

لم يحل داء الصرع دون العداءة الصغيرة باتي ويلسون والفوز في احد سباقات الضاحية.



باتي ويلسون ووالدها يستهلان السباق، وهي تحمل "مشعل التفاهم" رمز مؤسسة مرضى الصرع.

الرياضية الشجاعة

كلما حاولت باتي ويلسون الصغيرة ان تعدو، ارتعشت ذراعاها وساقاها، وكانها اطراف دمية من القماش. وكانت حركاتها غير متناسقة، حتى انه لم يكن في استطاعتها ان تقذف الكرة.

كم من طفل يعوزه تناسق الحركة، لكن باتي كانت تشعر بعجزها اكثر من غيرها من الاطفال، لانها تنتمي الى اسرة من الرياضيين، الى بيئة مكرسة للرياضة والتنافس الرياضي. تقول باتي عن هذه الفترة: "كنت اشعر وكأني على هامش العالم الذي اعيش فيه". وبدأت تحاول العدو مع والدها جيم، محاولات متواضعة وخجولة، وكان هو دائما بجانبها،

يراقبها ويرعاها علما منه بان باتي، فضلا عن افتقارها الى المهارة الرياضية، كانت تعاني مرض الصرع.

حققت باتي اول انجاز متواضع لها في السن الثالثة عشرة، عندما قطعت عدوا مسافة ٥٠ كيلومترا من منزلها في مدينة لابالما (ولاية كاليفورنيا)، الى بيت جدها في لوس انجلس. وركزت باتي تفكيرها في هذه المناسبة على عداء يدعى بيتر سترودويك، كانت قابلته قبل ان تبدأ هي العدو، فقررت ان تفعل ما فعله وعقدت العزم على الانتصار وتخطي الصعاب كما تخطاها بيتر الذي لم تكن له قدمان مكتملتان بل كان يركض على قرمة قدمه.

وفي عام ١٩٧٥ قطعت باتي ووالدها مسافة ١٥٠ كيلومترا عدوا، من لابالما الى سان دييغو. وكان عزمها قد تحول الى ارادة لا تقهر، وان كانت الاقدار تخبىء لها بعض لحظات الحقيقة القاسية. ففي ذلك العام نفسه، وهي بعد طالبة في الصف الاول من الدراسة الثانوية، انضمت باتي الى فريق الذكور لاختراق الضاحية (كروس كنتري). وفي اول مرة اشتركت باتي في العدو، فاجأتها ازمة صرع جزئية مركبة. وكان الجو ملبدا بالضباب، ودرجة الحرارة تبلغ الثلاثين. وبعد اجتياز ٤٠٠ متر من السباق، بدأت تعدو كالدمية الآلية، ولكنها ظلت على قدميها حتى نهاية السباق، وان تكن لم تتذكر شيئا على الاطلاق عن هذا الحادث.

الازمة الجزئية المركبة هي ضرب من ضروب مرض الصرع: اضطراب، ونظرة زائغة، وحركات آلية. ولم تكن هذه الازمة التي اصابت باتي هي أزمتها الاخيرة، لكن طبيبها قرر انها تستطيع الاستمرار في العدو شرط ان تكون دائما في صحبة احد.

"كنت خائفة" - دعيت باتي الى الاشتراك في سباق في سانتا باربارا لفتيات المدارس الثانوية. وتقول باتي: "كنت خائفة. فالسباق على مسافة ٣٢٠٠ متر من التلال، وهي منطقة لم اكن قد رأيتها ابدا". وفازت باتي، كما حصلت من فريقها على لقب "العداءة الملهمة".

وجاء اختبار آخر بعد ذلك ببضعة اسابيع، عندما قطعت باتي مع والدها مسافة ٥٠٠ كيلو متر الى لاس فيغاس. وبعد انتهاء العام الدراسي، قطعا معا المسافة المرهقة الى سان فرنسيسكو والتي تبلغ ٨١٧ كيلومترا.

وفي عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ عندما كانت باتي في الصف الثاني من الدراسة الثانوية، اشتركت في سباق الضاحية للفتيان وفي سباق فريق الفتيات للعدو. ثم أخذ والدها جيم يتحدث عن الاشتراك في سباق بين بوينا بارك في كاليفورنيا وبورتلاند في ولاية اريغون، على مسافة ١٦٠٠ كيلو متر. فحاولت والدة باتي وهي ممرضة متمرسة، ان تثنيهما عنه ولكنهما، اقنعاها بان تساعدهما على مواجهة هذا التحدي الذي يعتبرانه اكبر تحد عرفاه في حياتهما.

وقد تطلب الاستعداد لهذا السباق الجرىء، ان يقطع باتي ووالدها حوالى ٢٠٠ كيلو متر عدوا اسبوعيا. وفي خلال احد التمرينات بلغ جيم قمة تل صغير والتفت وراءه فلم ير باتي. ثم قطع حوالى نصف كيلومتر، فاذا بباتي قد اختفت عن الانظار،

فعاد جيم ادراجه وظل يبحث عنها في دائرة تبلغ كيلو مترا ونصف كيلومتر شرقا ومثل ذلك غربا، حتى احاط به الظلام ولم يجد لها اثرا، بل ان احدا لم يرها. ويقول جيم: "اصابني الذعر خشية ان تكون قد دهمتها سيارة عابرة".

عاد جيم الى منزله وخرج مع زوجته دوتي يجوبان الطرق في سيارتهما بحثا عن باتي، وعندما رجعت باتي اخيرا الى البيت في حالة من الاضطراب، فهم جيم انها فوجئت بأزمة صرع وهي تعدو.

وعلى اثر هذا الحادث المؤسف، صمم جيم على ان يضاعف اهتمامه بمراقبة باتي عندما يعدوان معا، ولكنها لم تتبرم من ذلك.

مرضها لم يعقدها - كانت باتي تتحدث عن مرضها بلا حرج، فعرف مدربوها في المدرسة بحالتها، وان يكن والداها قد احتفظا بذلك سرا عن الصحافة والجمهور. وتفسر والدتها هذا الموقف قائلة: اصيبت باتي بازمة الصرع الاولى وهي بعد تلميذة في الصف الثالث الابتدائي فبدأ الاولاد يتحاشونها، وبدأت ترفض هي الذهاب الى المدرسة. وخشيت عليها من ردة فعل مماثلة بالنسبة الى الجمهور. فاخفينا الحالة عن جدها. كنت اتخوف من كلمة صرع وكنت اجهل كل شيء عن طبيعة هذا المرض. لكن خوفي اخذ يتقلص بعد ان بدأت افهم ان باتي وان تكن مصابة بالصرع الا ان حالتها لا تدعو الى القلق الكبير. واستخلصت من ذلك ان الواجب يحتم علينا ان نهدىء من روع من هم اقل خطأ منا وان نساعدهم في هذا الصدد: وقد حمل هذا القرار أسرة ويلسون على اعلان حالة باتي قبل سباق بورتلاند بشهر واحد.

وفي ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٧ جاء مصورو التلفزيون وممثلو الصحافة والولاية والمسؤولون عن المنطقة والمدينة، كما جاء بعض اعضاء جمعية الصرع وغيرهم من الاصدقاء، ليشجعوا باتي قبيل السباق. وكانت الفتاة تبتسم وتطفح غبطة وسرورا وتتحدث الى الزائرين في لطف وايناس، حتى انطلقت في سباقها. وبعد ان قطعت باتي ٤٠ كيلومترا واجهت اول التحديات، صدمة كان من شأنها ان توقف عن العدو كثيرا من الرياضيين: كسر في العظمة المشطية الثالثة من قدمها اليسرى. فحملها والداها الى المستشفى، ونصح طبيب الاشعة بوضع قدمها في الجبس لمدة ستة اسابيع، وحذرهم بانها اذا استمرت فقد لا تتمكن من العدو ابدا بعد الآن.

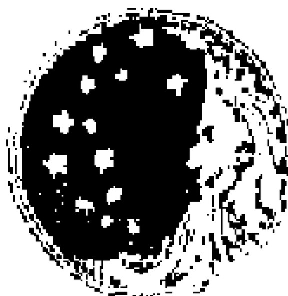
وتقول باتي: "ولكنني صممت على الاستمرار. وكان ذلك تحديا لي لكي اعرف مدى قوتي الداخلية". وكان يبدو لها وكأنها اصبحت بمثابة رمز للاخرين.

اما التحدي الثاني، فقد حدث عندما تبينت أسرة ويلسون ان السباق ستطول مدته اسبوعين زيادة على الفترة المتوقعة له، لانها قد اختارت له طريقا ساحليا معروفا بمناخه اللطيف. واضافت والدة باتي: "ولكننا لم نتصور انه سيكون اطول من غيره بخمسمئة كيلومتر". وفي اول الامر ظنت باتي ان المسافة الاضافية لن تهمها، ولكنها كانت تستيقظ في صباح كل يوم وتهزها الرهبة كلما فكرت في الكيلومترات الـ ٢١٠٨ التي يجب عليها ان تقطعها. ثم قالت:

A century ago the average housewife worked 16 hours a day, 365 days a year.

Today she gets the job done twice as well in half the time.
But we still don't think that's good enough.
So what are we doing about it? Lots!

Laundry products: ACE, ARIEL, BIZ, BOLD, BONUS, BOUNCE, CHEER, DASH, DAZ, DON MAXIMO, DOWNY, DREFT, DUZ, FAIRY SNOW, GAIN, IVORY FLAKES, OXYDOL, LAVA, LENOR, SALVO, TIDE. Household cleaners and cleansers: COMET, FLASH, MR. CLEAN, SPIC & SPAN, TOP JOB. Bar soaps: CAMAY, FAIRY, IVORY,



LAVA, MONSAVON, SAFEGUARD, ZEST. Dishwashing products: CASCADE, JOY, MOTIV. Toiletries: CREST, DRENE GLEEM, HEAD & SHOULDERS, PRELL. Food products: CRISCO, DUNCAN HINES, FOLGER'S, PRINGLE'S. Paper products: BOUNTY, CHARMIN, PAMPERS, PUFFS, WHITE CLOUD. Catamenial products: RELY.

Procter & Gamble

"وقد ساعدني والدي على النظر الى المسألة بعقلية العداء، والتبصر في كل كيلومتر على حدة وكل يوم بيومه، فلم اعد ابالي بكل هذه المسافة المخيفة".

وكانت اسرة ويلسون تعيش في سيارة معدة للسكن، طوال فترة ابتعادها عن منزلها، بسبب السباق. وكان افراد الاسرة ينهضون في الرابعة والنصف صباحا لتبدأ باتي استعداداتها الشاقة، فتضمد لها امها القروح المتعددة في قدميها (وهي عملية تتكرر في العصر والمساء ايضا). ثم يلف والدها قدميها وساقيها بالضماد من الفخذ حتى الكاحل. ويبدأ العدو في السادسة فيقطع الجميع ٥٠ كيلومترا يوميا في المتوسط. ويقول جيم: "كانت باتي تشد ازري كما اشد انا ازرها. نروي الحكايات، ونلعب، ونجمع الزجاجات الفارغة القابلة للاستعادة. كانت باتي تتمرن على اللغة الاسبانية احيانا، وتقلد ممثلتها المفضلة بربارة سترايسند، احيانا اخرى. واما السيارة التي تقودها زوجتي دوتي فقد اصبحت قبلتنا ومحط رحالنا، وكنا نتلهف للوصول اليها، واذا ما استولى علينا التعب واليأس فكنا نتبادل عبارات التشجيع".

وبعد اجتياز ٣٠ الى ٣٥ كيلومترا، كان العداءان يتوقفان قليلا لاحتساء بعض العصير وكانا يشربان منه ما لا يقل عن ٧ ليترات ونصف ليتر يوميا، ويتناولان شرابا آخر يستعيض بـه الجسم عما فقده من مادة البوتاسيوم ويعيد اليه توازن الذائب الكهرباوي. كما كانا يتناولان بعض اقراص الملح. وكانت تقتصر وجبات طعامهما على الافطار والعشاء. تورمت قدم باتي اليسرى حتى كادت ان تعجز عن ادخالها في حذائها المطاط. فحاول والداها معالجتها بوضع اكياس الثلج عليها، وبوضعها في الماء الدافىء، وبابدال الاحذية كذلك.

واضافة الى العقاقير الثلاثة اللازمة لمعالجة الصرع اضطرت باتي الى تناول دواء مسكن للالم. وفي منتصف الليلة الحادية والعشرين من السباق، انتابت باتي حالة قيء عنيفة. وقالت امها: "لقد خيل الي ان نوبة القيء ستمزق احشاءها، وتمنيت يائسة لو تخلت باتي عن السباق".

لكن باتي لم تتوان عن قطع خمسة كيلومترات في صباح اليوم التالي. ثم نامت لمدة خمس ساعات، وقطعت خمسة وعشرين كيلومترا. وكانت ارادتها الفولاذية تمكنها من العدو ساعات عدة بعد ان يتملك جسمها العياء.

وكانت التلال المرتفعة والرياح مشكلة اخرى يصفها جيم بقوله: "كانت التلال التي نواجهها في نهاية يوم شاق من العدو تبدو وكأنها اعلى التلال قاطبة. ولو كنا استشرنا سائقي الدراجات قبل ان نبدأ السباق، لما سلكنا الطريق الذي سلكناه، ولكنا اخترنا بدلا منه الطريق من بورتلاند الى لوس انجلس.

ولئن تكن أمنا الطبيعة قاسية احيانا، فان طبيعة البشر تفوقها قسوة. وكثيرا ما يصرخ المارة من نوافذ سياراتهم: "أهكذا تركضون؟ اهذه اقصى سرعة لكم؟" بل ان بعض الاطفال قذفوهم مرة بكرات من الطين.

وما ان اجتازت باتي حدود ولاية اوريغون، حتى اخذت ترافقها فرق العدو التابعة للمدارس الثانوية. وكان

المصابون بمرض الصرع يستوقفونها في الطريق ويتحدثون اليها. ولم يكن عدوها في ذاته هو الذي يثير اهتمامهم، بل انهم كانوا يرون في باتي صاحبة رسالة، رسالة مرضى الصرع.

وكان والدها يقول في هذا الصدد: "كانت باتي في نظرهم حاملة المشعل".

وفي المرحلة الاخيرة من السباق عندما وصل باتي ووالداها الى بورتلاند، تهافتت الجماهير لتحيتهما، وانضم اليهما بوب ستراوب المحافظ الرياضي في الـ ١٥٠٠ متر الاخيرة. وتفحص والد باتي وجه ابنته في المئة متر الاخيرة ليرى ابتسامة النصر على محياها، ولكنها لم تستطع الا ان تعض على نواجزها من الالم. ثم انتهى السباق وبدأت الاحتفالات وحبس البعض دموع الابتهاج، بينما انهمر دمع الآخرين. واعلن المحافظ أن يوم ٢٩ يوليو (تموز) يعتبر "يوم باتي ويلسون"، في ولاية اوريغون باجمعها. وكان بالفعل يوما له مغزاه الخاص لكل من عرف معنى "الصراع ضد غوائل الدهر"، ولا سيما اولئك الذين يسمونهم المعوقين.

وقالت باتي بعد السباق: "لم يحل الصرع ولن يحول بيني وبين عزيمتي على الاستمرار. وآمل ان يحث ذلك غيري من المعاقين على الاقدام على تحقيق ما تصبو اليه نفوسهم".

■ جيلا كراغ



حتى التفاهة تتطلب موهبة

روت ابنة تولستوي تاتيانا القصة الآتية:

كان ابي في احدى الفترات شديد الاهتمام بالمسرح. وذهب ذات مساء الى مسرح مالي في موسكو ليشاهد ملهاة لابيش المسماة "قبعة ايطالية من القش". وكان هو في ذلك الوقت يكتب مسرحيته الهزلية "ثمار التنور".

وفي اثناء الاستراحة، التقى في الردهة صديقا من اساتذة الجامعة، بدا عليه الحرج لان تولستوي فاجأه وهو شاهد مثل هذه المسرحية الطائشة، فقال لابي وهو يتصنع الضحك: "انت ايضا يا ليونيكولايفيتش قد جئت تشاهد هذه المسرحية التافهة؟".

فرد ابي: "لقد ظللت احلم طوال حياتي بكتابة شيء مثل هذا، ولكني لا املك مقدرا كافيا من الموهبة".

من كتاب "مع ليو تولستوي"

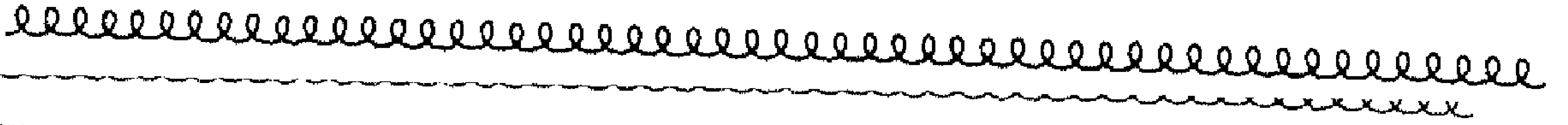
كانت احدى البائعات في محل تجاري كبير، تعرض اداة لتنظيف النوافذ. وكانت تلطخ الزجاج بالسمن النباتي ثم تنظفه مرة أخرى، لكي تثبت للناس فعالية الاداة التي تستعملها. وأثار هذا اهتمام امرأة الى جواري فسألت البائعة: "ما هي كمية السمن التي ينبغي ان استعملها لتنظيف زجاج المنزل؟"

س. ب.

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨

المختار

السنة الأولى (سلسلة جديدة)



كشف أسرار مملكة سورية

كشف أسرار مملكة سورية

بعثة ايطالية اكتشفت في تل مرديخ، قرب حلب، آثار مملكة ايبلا التي كانت اعظم قوة في الشرق الأدنى القديم.

لا ريب في ان المطل من قمة هضبة عارية لا يستطيع ان يتبين بالتفصيل معالم مدينة منسية طي السفوح الجرداء ما لم تكن له عين حادة نافذة تبصر ما وراء الاطلال، كعين الخبير باولو ماتييه، استاذ علم الآثار في جامعة روما. فهو يقف بك فوق هضبة صغيرة لا يزيد قطرها على ٨٠٠ متر، ويشير الى القطع البارز في جانبها الذي لا يتجاوز ثلاثة امتار ويقول لك: "هناك كانت البوابات الرئيسية للمدينة". ثم يلوح بيده في اتجاه منحدر متصاعد من البوابة الى قمة الهضبة، ويستطرد: "وعلى طول ذلك الجانب من الهضبة كان يعيش سكان ايبلا. وقد وجدنا على القمة معابد آلهتهم وقصور ملوكهم".

وقفت اخيرا على قمة تلك الهضبة تحت اشعة الشمس اللاهبة في شمال سورية، ورحت اراقب العلماء وهم يحفرون ويستخرجون اسرار ايبلا التي كانت تتمتع بسلطة كبرى في العالم القديم، بينما ينتظر الباحثون في ترقب ولهفة نتيجة العمليات التي يقوم بها علماء الآثار الايطاليون هؤلاء وهم يكشفون عن هذه المدينة حجرا بعد حجر.

اما اللهفة فيعود مبررها الى الاعتقاد القائل بأن التاريخ القديم سادته حضارتان متألقتان: حضارة مصر وحضارة ما بين النهرين، في حين ان الخبراء الايطاليين يزيحون الستار حاليا عن قوة ثالثة ظلت مجهولة حتى الآن، كانت تقف صنوا للقوتين الاخريين المتنافستين. فقد كانت ايبلا، قرابة العام ٢٣٠٠ ق.م.، على رأس امبراطورية مزدهرة، غنية بالتجارة والفنون والآداب، يحكمها ملوك فاتحون حملوا نفوذها الى مناطق بعيدة. ويبتهج ايغناس ج. غيلب، استاذ تاريخ الشرق الادنى القديم في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة، ويقول وهو يتوقد حماسة: "ان هذه الاكتشافات تزيح الستار عن ثقافة جديدة، ولغة جديدة، وتاريخ جديد. انها اكتشافات باهرة مثيرة!".

اما الباحثون المتخصصون في دراسات الكتاب المقدس فأن لهم ايضا نصيبهم الخاص من اسباب الاثارة في هذا الكشف: لقد اظهرت الحفريات ان اعظم ملوك ايبلا كان يدعى "ايبروم"- وهو اسم شبيه بأسم "ايبر"، جد العبرانيين حسب رواية الكتاب المقدس. كما وجدت اسماء اخرى تشير الى مقابلات لها كان يحملها اشخاص واماكن ورد ذكرها في الكتاب المقدس، مثل داود

Photos by Tor Eigeland — Courtesy Aramco World Magazine

حاضرة وحضارة من الالف الثالث

احتلت ايبلا (سورية) مكانا مرموقا في اهتمام علماء الآثار والتاريخ في العالم، للاسباب الآتية:

□ ان ايبلا كوجود حضاري مدعم بوثائق علمية اصبح حقيقة واضحة بعدما كان خبرا .

□ ان هذا الوجود الحضاري متفاعل في الشرق مع الوجود الرافدي (الاكادي) كما هو متفاعل مع عدد كبير من المواقع والمدن المزدهرة في ذلك الوقت، وان رقعة هذا التفاعل تشمل شمال سوريا وجنوب الاناضول وغرب الرافدين .

□ ان ايبلا التي ترجع الى عام ٢٤٠٠ ق.م . كانت قد عرفت التوحيدية بدليل اسماء اسماعيل - ايل واسبر - ايل وميكا . ايل الخ . وان هذه الاسماء التي تذكرنا باسماء آل ابرهيم ترجع الى عهد سابق لعهد ابرهيم بخمسة قرون .

□ ان ايبلا تشكل حلقة من سلسلة مدن اقام فيها اجدادنا القدامى حضارات تنتمي الى ارومة واحدة، ودليلنا على ذلك هو وحدة اللغات القديمة وقرابة لغة ايبلا من لغة اكاد في الشرق ولغة كنعان في المغرب . كما هو وحدة العقيدة .

ان هذه النقاط الرئيسية اثارت كثيرا من الاسئلة منها ما يتعلق بالعقيدة، فهل عقيدة ابرهيم قديمة ومعروفة يؤمن بها الناس في هذه المنطقة منذ بداية التاريخ، وهل البطاركة الاجداد او آل ابرهيم هم مجموعة متكاثرة متناثرة من المؤمنين (بدلالة وجود اسماء متكررة لهؤلاء في الواح ايبلا) وان آل ابرهيم المعروفين هم رمز محدد لهم .

وثمة اسئلة اخرى تتعلق باهمية التوراة كمصدر تاريخي بعدما ابانت الواح ماري وايبلا واوغاريت ان الآداب التوراتية ليست طارئة وانما هي قديمة متداولة وان القصص الواردة في التوراة هي القصص الرافدي والاوغاريتي والايبلائي .

والسؤال الآخر وليس الأخير، يتعلق بلغة ايبلا، هل هي لغة مستقلة ام هي لهجة من لهجات لغة واحدة، بدلالة قرابتها الشديدة من الاكادية والكنعانية، واذا كانت اللغة العربية هي من اعرق اللغات واوفرها لفظا واحكمها قاعدة . فهل تكون لغة ايبلا هي اصل هذه اللغة وقد مرت بمراحل عبر الكنعانية والآرامية لتلتقي بالعربية الجنوبية، ثم هل تسمية لغات او لهجات سامية هي تسمية صحيحة خاصة وقد رفض التوراة اعتبار الكنعانيين ساميين؟ وما هي التسمية البديلة من هذه اللغات؟

انها مجموعة من الاسئلة ستحدث اجوبتها انعطافا في علم التاريخ .

ان ايبلا ستكون فعلا كعبة العلماء خلال السنوات المتبقية من هذا القرن .

الدكتور عفيف بهنسي
المدير العام للآثار والمتاحف في سورية

واشعيا وشاول وابرهيم واسرائيل وسيناء وغزة، وحتى اورشليم . ولا شك في ان المناقشات بين الخبراء حول مدلول هذه الاكتشافات ستظل دائرة على مدى اعوام .

وقد بدأ الايطاليون الحفر في جانب هذه الهضبة بعدما كلفت جامعة روما الاستاذ ماتييه عام ١٩٦٣ البحث عن موقع توفد اليه بعثة اثرية . ووقع الاختيار على سورية لانها البلد الذي جرى فيه اقل مقدار من الحفريات في الشرق الادنى، مع ان سهولها مرصعة بمئات الروابي والآكام الترابية المعروفة بأسم التلال والتي تكونت من ركام المستقرات والمدن المتعددة التي بنتها حضارات متعاقبة من الطين الهش، بعضها فوق حطام بعض . وتكمن تحت كل من هذه التلال كومة من الحضارات في طبقات متراكمة، بينما لم تتناول الحفريات بعد الا بضع عشرات من هذه التلال . وفي الثلاثينات توصلت بعثتان فرنسيتان الى كشفين رائعين في موقعي مدينتي اوغاريت (رأس

شمرا) وماري القديمتين، انطلقت منهما الاضواء الكاشفة على تاريخ ثقافة سورية، خصوصا خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠٠ ق٠م٠ و١٢٠٠ ق٠م٠ لكن العصر الذي كان ماتييه يريد الكشف عنه هو فترة الكتابة للمرة الاولى في مصر وما بين النهرين٠

تل مرديخ ـ وتساءل ماتييه: على اي تل من تلك التلال الكثيرة يقع اختياره؟ وأجتذبه تل مرديخ، وهو رابية ضخمة تبلغ مساحتها ٥٦ هكتارا وتقع على بعد ٥٥ كيلومترا الى الجنوب الغربي من حلب، وكان قد وجد على سطحها حوض كبير منحوت وشظايا اوعية فخارية بالغة القدم٠ وكان ماتييه مقتنعا بوجود مجتمع غني وراق، في الماضي، على موقع هذا التل، وبالعثور في جوفه على آثار ذلك المجتمع٠

وفي الصيف التالي، اصطحب ماتييه الى حلب فريقا صغيرا من المعاونين الايطاليين، وتمكن، بفضل مساعدة مديرية الآثار السورية، من تأمين العمال اللازمين وبدأ الحفر٠ وبعد اسابيع قليلة، برزت اطلال مدينة قديمة كانت زاهرة في منتصف العصر البرونزي الذي بدأ قرابة العام ٢٠٠٠ ق٠م٠ وقد ظهرت اولا البوابة الضخمة للمدينة، واعقبها في ١٩٦٦ـ ١٩٦٧ ظهور جزء من القصر الملكي، ثم معبد كبير بعد سنة٠ ومع ذلك الاكتشاف جاء التساؤل: اي مدينة هي هذه؟

وذات يوم من عام ١٩٦٨، استخرج الحفارون من بين الحطام جذعا مكسورا لتمثال ملكي٠ وبدت على كتف التمثال وصدره الخطوط الشبيهة بالاسافين التي تتميز بها اول كتابة في التاريخ، وهي "الكتابة المسمارية" او "الخط المسماري"٠ وكان احد اعضاء الفريق ملما بقراءة اللغة الاكادية ـ وهي من اقدم لغات ما بين النهرين ـ فتولى ترجمة السطور الستة والعشرين التي تبين انها صلاة مكرسة لاحدى الالهات المحليات٠ غير ان المترجم وقع في السطر السابع على كلمتي: "في ايبلا"٠

ايبلا! لدى سماع هذا الاسم، حبس اعضاء الفريق انفاسهم٠ أمن المحتمل ان تكون هذه مدينة ايبلا التي يكتنفها الغموض والتي ورد ذكرها في النقوش المكتشفة في مصر وما بين النهرين؟ لقد ظن كثير من العلماء ان موقعها قد يكون في الاناضول (تركيا الحديثة)٠ وبعد دراسة مفصلة دقيقة للنقوش المدونة على الجذع قرر ماتييه واعضاء فريقه انهم قد عثروا بالفعل على مدينة ايبلا القديمة، واعلنوا ذلك للدوائر العلمية في العالم، فجاءهم رد الفعل مزيجا من الاهتمام والشك٠ لكن الايطاليين استمروا في عزم وثبات يبحثون عن مزيد من الادلة٠

وفي عام ١٩٧٣، بدأوا يعثرون على اطلال تقع عند مستوى اعمق ومن ثم اكثر قدما٠ وقد تبين من شظايا الآنية الفخارية التي تم استخراجها وفرزها وغسلها وتصنيفها بمنتهى الدقة والعناية، ان المدينة الاقدم يرجع عهدها الى ما لا يقل عن ٢٤٠٠ق٠م٠

اللغوي الحائر ـ وعثر الحفارون، عند هذا المستوى الجديد، على اطلال قصر له ثلاث طبقات وردهة فسيحة للمقابلات وسلم صاعدة وعدة غرف مبلطة٠ وكان القصر مليئا بالحطام الذي تنتشر فيه شظايا اثرية من آنية

فخارية محروقة. وقارن الاثريون هذه الشظايا بأدوات خزفية اخرى معروفة التاريخ ومستخرجة من الاطلال في الشرق الادنى، فقرروا ان القصر بقي قائما حتى عام ٢٢٥٠ق٠م٠ تقريبا٠

وبدأت الامور تتضح٠ فهناك عدد من نقوش ما بين النهرين يشير الى ان دولة اكاد القوية التي قامت في ما بين النهرين، قد غزت ايبلا ودمرتها بالنار قرابة عام ٢٢٥٠ق٠م٠، وهو تاريخ مناظر للتاريخ المقدر لشظايا الآنية المحروقة التي عثر عليها في اطلال القصر القديم٠

وعام ١٩٧٤، في اثناء تنظيف احدى حجرات القصر، عثر الايطاليون على دليل جديد يثبت ان المدينة هي ايبلا، وذلك عندما رفعت مجرفة احد العمال شيئين مستديرين، يحمل كل منهما نقشا بالغ الصغر، فنفضت عنهما اغشية الغبار وتبين الاثريون انهما صحيفتان من الفخار مليئتان بالكتابة المسمارية٠

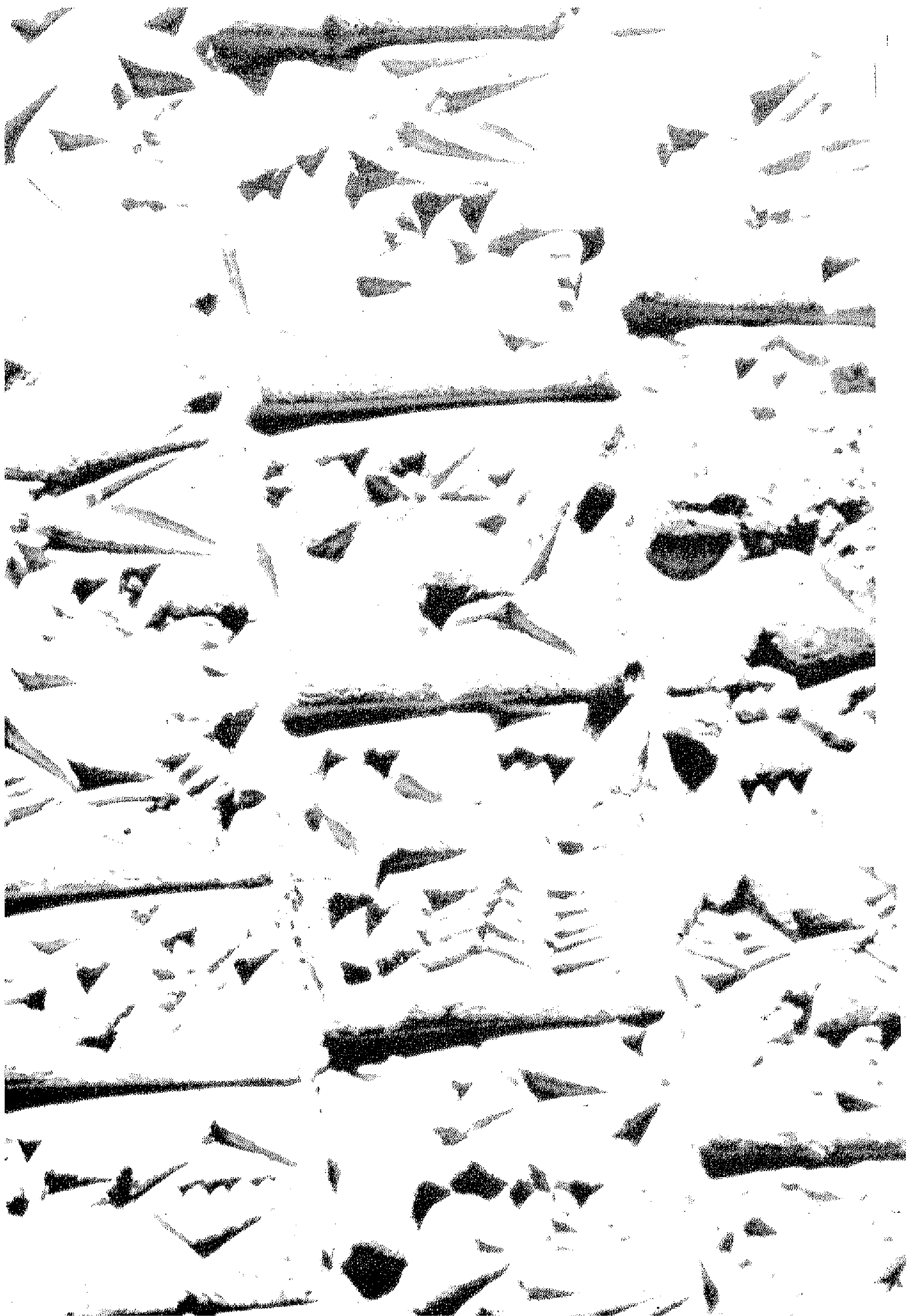
وقد بلغ مجموع الصحائف المدونة التي عثر عليها ٤٢، لم يتمكن من قراءتها احد من افراد البعثة٠ فما كان من ماتييد الا ان ارسل برقية يستدعي بها خبير النقوش الايطالي جيوفاني بيتيناتو الذي اسرع في الحضور الى سورية٠ غير ان بيتيناتو لم يلبث ان تملكه الارتباك، وقال: "انني لا استطيع ان افهم كلمة واحدة"٠ لقد كانت الرموز مكتوبة فعلا بالمسمارية العادية، لكن الكلمات لم تكن باللغة الاكادية أو السومرية، وهما اقدم لغات ما بين النهرين، وانما كانت بلغة جديدة تماما٠

وعام ١٩٧٥ عثر فريق ماتييد على غرفة مجاورة لمدخل القصر، فوجد فيها ما يقرب من الف صحيفة منقوشة مبعثرة على الارض٠ وكان موسم الحفر على وشك الانتهاء عندما عثر العمال في غرفة اخرى على كنز العمر: قرابة ١٤٠٠٠ صحيفة منقوشة مكومة على الارض حيث سقطت من على الرفوف المحترقة، ومعظمها سليم تماما٠

وكان الكنز الجديد يشتمل على أكثر من ١٠٠ "معجم" فخاري، توضح المقابلات السومرية لنحو ٣٠٠٠ كلمة من لغة ايبلا، الامر الذي كان له اثره البعيد في فك رموز اللغة الجديدة٠ وسرعان ما تأكد ان الايطاليين قد عثروا هنا على اقدم محفوظات دولة في العالم، اذ ان ما وجدوه كان يمثل السجلات الرسمية لمملكة ايبلا طوال فترة تزيد على قرن٠

امبراطورية تتكشف — يتبين من الصحائف البضع عشرة التي تمت دراستها حتى الآن، ان سلطان ايبلا كان يمتد بعيدا وراء حدودها٠ فقد كانت اموال الجزية ترد عليها من دول المدن النائية القائمة في وادي الفرات٠ ويقول بيتيناتو "ان ايبلا كانت اعظم قوة في الشرق الادنى القديم خلال جزء من الالف الثالث قبل الميلاد"٠

وكانت المدينة تستعرفها التجارة، فالكثير من الصحائف الفخارية هي "فواتير شحن" تضم قوائم السلع المرسلة في قوافل على ظهور الحمير٠ وكان للعاملين في النسيج والمعادن في ايبلا شهرة واسعة، كما كان حرفيوها يصدرون الإثاث الخشبي الانيق المطعم بالذهب في كثير من الاحيان٠ ولعل عملاء ايبلا كانوا يدفعون لها في مقابل هذه السلع الثمينة سبائك من الفضة او سلعا اخرى، مثل الشعير الذي كان يعتبر



▲ تفصيل من احدى الصحائف

▼ جزء من خاتم اسطواني

◀ واحدة من صحائف ابيلا

غذاء رئيسيا في المدينة، وربما كان هو الاساس في صنع الجعة التي تشير الصحائف الى انها كانت احد المشروبات الشائعة في ايبلا٠

وكان سكان ايبلا يعبدون ما يقرب من ٥٠٠ اله وآلهة، من بينها الآلهة عشتار والاله داجان المعروفان في الشرق الادنى القديم٠ وكان للمعابد في ايبلا كشأنها في بلاد ما بين النهرين، دور اجتماعي واقتصادي كبير٠ فقد كان العاملون في هذه المعابد يقتاتون ويلبسون من انتاج اراضيها وقطعانها٠ وكان في وسع اي مواطن ان يلجأ الى المعبد في اوقات الازمات٠

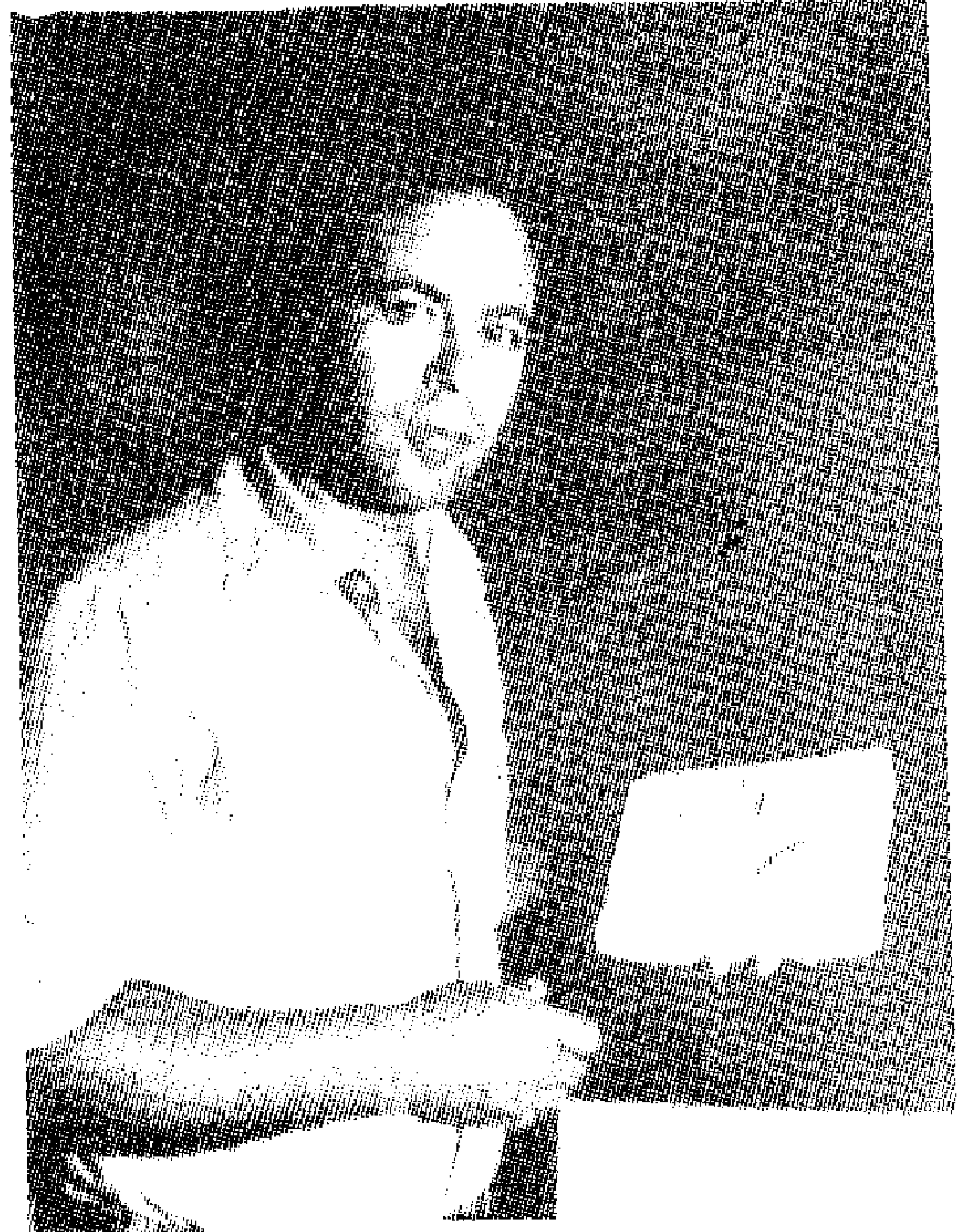
اما البلاط الملكي فكان المقصد الاكبر للايدي العاملة، تتدفق اليه غلات الضياع الملكية والجزيات الواردة من المدن الخاضعة٠ وكان هناك ١٧٠٠٠ عامل وموظف - اي ربع سكان المدينة- يتقاضون اجورهم من الخزانة العامة ويعمل عدد منهم على الانوال في صناعة النسيج التي كانت تسيطر عليها الدولة٠


تمثال من حجر وذهب٠

ويحمل عدد كبير من الصحائف الفخارية التي اكتشفت في المحفوظات دروسا او امتحانات لمدرسة الكتبة٠ فالملوك كانوا يصدرون المراسيم والتجار يتفاوضون على الاسعار، وكان على الكتبة - وهم عماد المجتمع في ايبلا- ان يحولوا هذه القرارات جميعا الى لغة مفهومة من سائر الناس٠ فكان الطلبة يستعدون لهذه المهمة بالدأب شهرا بعد شهر على نسخ السطور التي يكتبها استاذهم بلغة ايبلا او باللغة السومرية٠ وهناك صحائف كثيرة تحمل علامات خطها قلم الاستاذ امام اخطاء تلاميذه٠

نظائر من الكتاب المقدس - ومن اكثر الغاز ايبلا اثارة تلك المشابهات بين بعض فقرات من العهد القديم في الكتاب المقدس، كتبت بعد انقراض ايبلا بأكثر من الف عام٠ ومن امثلة ذلك اشارة وردت الى "مدينتي الخطيئة"، سدوم (مدينة

قطعة من ايبلا في يد موظف في متحف حلب٠



النبي لوط) وعمورة. ولم يحدث ان وجد الباحثون من قبل اي اشارة الى هاتين المدينتين خارج نصوص العهد القديم. اما الآن فقد عثر على اسميهما في قائمة وردت في احدى صحائف ايبلا.

وهناك نظير آخر لنصوص العهد القديم يثير العجب. يشير الى انه في عهد الملك ايبروم، انشط ملوك ايبلا، طرأ تغير على ديانة المدينة. فبعدما كانت اسماء الرجال تحمل مقطعا لصيقا في آخرها يمجد الآله "يل": مثل ميخائيل واسرائيل، تغير المقطع فاصبح يمثل تمجيدا لاله آخر، هو "يا". مثل ميخايا واسرايا. وقد يبدو هذا امرا بلا مغزى، لولا ان من الحقائق الثابتة ان العبرانيين ايضا كانوا يستخدمون كلا المقطعين، "ئيل" و"يا" (يهوه) كاسمين لله.

لكن ايا من هذه التفسيرات لا يعتبر حجة كافية تجعلنا نعتقد ان ايبلا هي اصل الشعب العبراني. غير ان سايروس غوردون، استاذ الدراسات العبرانية في جامعة نيويورك، يقول ان هذه الامور توضح اننا نواجه هنا الخلفية الثقافية عينها التي ظهر منها العبرانيون.

الا ان الدكتور عفيف بهنسي، المدير العام للآثار والمتاحف في سورية حث الباحثين الغربيين على النظر الى حضارة سورية في ضوء الحقائق المكتشفة وليس بوحي من التوراة.

وأعلن ان السلطات السورية شكلت لجنة (★) خبراء دوليين في اللغات القديمة وكلفتها ترجمة صحائف ايبلا ونشرها وذلك وضعا للامور في اطارها العلمي الصحيح.

في آخر امسية قضيتها عند تل مرديخ، كانت قبة السماء الزرقاء تتلألأ بالنجوم فوقفت احدق في الرابية الضخمة القابعة امامي متسائلا عما يطويه ماضيها من اسرار. وبدت لي ايبلا كأنما عاودتها الحياة وتخيلت برهة انني ارى حشود الناس تتدفق من ابواب المدينة الواسعة، واسمع اختلاط اصواتهم وقرقعة حوافر الحمير المثقلة بالاحمال وهي تتهادى من سفح التل. وعلى مقربة من القمة، حيث يزهو البلاط الملكي، يقف الملك ايبروم مقطبا جبينه في قاعة الاستقبال الواسعة ويعلن انتهاء اعمال اليوم... منذ ٤٣٠٠ سنة.

■ ا. هـ.

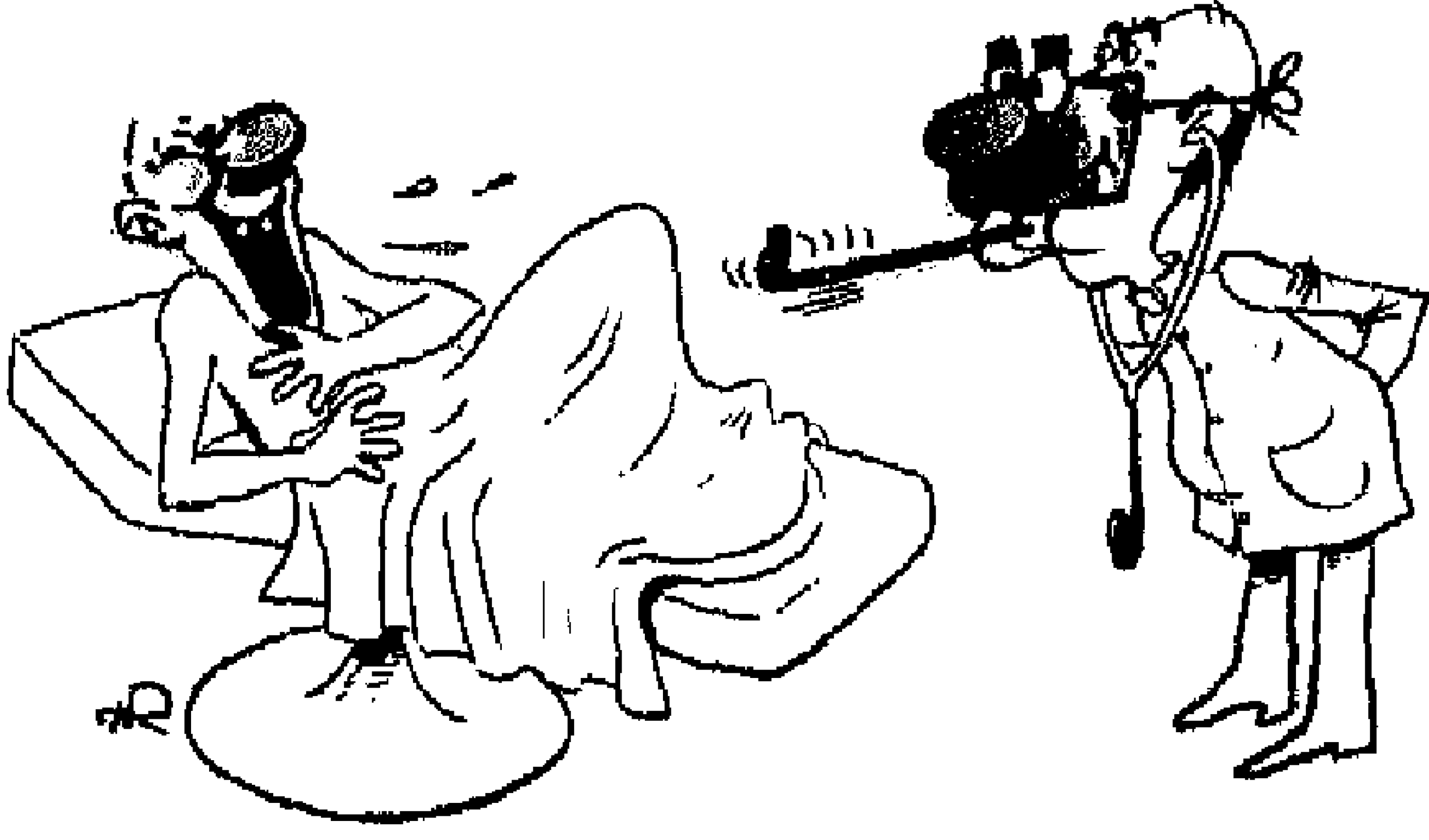
(★) تضم اللجنة السادة: جيورجيو بوشيللاتي (الولايات المتحدة) وأ. سلوبرغر (بريطانيا) وديانز ادزار (المانيا الغربية) وهورست كلنغل (المانيا الشرقية) وجيوفاني بيتيناتو وبيليو فرانزرولي (ايطاليا) وبول غاريلي (فرنسا) وجان روبرت كوبر (بلجيكا) وفوزي رشيد (العراق).



ان عمل السلطة يحتاج الى اربعة رجال. كريم يسكب الزيت، وبخيل يضيف الخل، وحكيم ينثر الملح، ومجنون يضع الفلفل.

فرنسوا كوبيه

الضحك خير دواء



اعنف من الطقس

اعتاد مزارع ان يتذمر في كل موسم من الطقس والغلال، فكان يشكو على السواء من كثرة الامطار والجفاف والعشب الضار والسوس وجمود السوق وقلة المبيع وما شاكل ذلك من دون ان يعجبه شيء.
ثم جاءت سنة ازدهرت فيها مواسم المحاصيل، فارتفعت الاسعار وازدادت الادخارات المصرفية. ولما قال له جاره: "انه موسم ممتاز، فلا بد لك من التسليم بذلك". اجاب: "بل انه متوسط، ولكنه بالغ العنف، شديد القسوة على التربة".

رسالة لطيفة الى زبون متأخر

طلب رئيس شركة الى سكرتيرته ان تكتب رسالة الى بعض الزبائن المتأخرين في تسديد حساباتهم، فقال لها: "ذكريهم بان هذا الحساب قد مضت ثلاثة اشهر على موعد استحقاقه". فذهبت السكرتيرة الى مكتبها ثم عادت بعد بضع دقائق بالرسالة. فقال لها: "اخشى ان تكون هذه الرسالة شديدة اللهجة قليلا، فانا لا ابغي اهانتهم، فاكتفي بلفتهم الى الفاتورة". وبعد قليل، قرأ الرسالة الثانية، فقال لها: "انها لا تزال شديدة اللهجة بعض الشيء. فانا كل ما اريد ان اقوله لهم بكل كياسة هو انهم اهملوا تسديد الفاتورة". فكتبت السكرتيرة رسالة ثالثة، وعندما قرأها رئيس الشركة صرخ قائلا: "هذا ما كنت اريده بالضبط. الان من فضلك اعيدي طباعة هذا النص وصححي غلطتي املاء: "استعملي "خ" بدلا من "ح" في كلمة الحسيس، وارفعي النقطة عن "الخاء" في كلمة "مختال".

السيارة في رومانيا

مجلة "اورزيكا" الساخرة التي تصدر في بوخارست (رومانيا) اجرت دراسة لاسباب ازدياد اقبال الرومانيين على اقتناء السيارات. فاجرت استفتاء، لهذا الغرض، تناول ١٧،٨٧٥ شخصا، "مساعدة منها لاصحاب مصانع السيارات على وضع خطط الانتاج بناء على معلومات تحليلية اجتماعية ونفسانية متينة".
وقد اتضح من هذا الاستفتاء ان ٣٥٪ يريدون السيارة للقيام برحلات خلال فرص نهاية الاسبوع والاعياد، وان ٣٦٪ يهدفون الى خلق عُقد لدى اصدقائهم وزملائهم في العمل ممن ليس لديهم سيارة، وان ١٤٪ يرمون الى كسب امتيازات حاسمة في علاقاتهم مع الجنس الآخر.

جسمها فريد في نوعه

ارسل والدا زوجتي بعض النقود اليها، لمناسبة ذكرى مولدها، فقررت ان تنفقه على شراء الملابس، وامضت ليلة كاملة تقلب كتالوغات الازياء التي استقدمتها بواسطة البريد. ولكنها قنطت من العثور على زي يلائمها، فطرحت الكتالوغات جانبا وقالت: "لا فائدة من هذا التعب، فان جسمي فريد في نوعه".

ج.ن

ربح المدخنون جولة على شركات التبغ، فهي اضطرت الى الاستجابة لطلب المدخنين . سجائر ادنى ضررا واقل تسببا في الادمان... لكن الخطر ما زال قائما .

التدخين :
السّيجارة تقصّر العُمْر

عالم مدخني السجائر يتحول الى رماد . ففي جميع البلدان المتقدمة لم يعد المدخنون اكثر من اقلية ضئيلة . ولا يكاد يمر يوم من دون ان تصدر الاغلبية غير المدخنة قوانين جديدة تؤكد حقها في هواء نظيف في الاماكن العامة . واوشك التدخين ان يكون امرا لا يسمح بمعاطاته الا للكبار الراغبين ، وفي اماكن خاصة .

كان التدخين في السابق معتبرا مجرد عادة سيئة ، فأصبح الان موضع ادانة عامة من خبراء الطب .

تقول منظمة الصحة العالمية : "يساعد الحد من التدخين على تحسين الصحة واطالة الحياة في الدول النامية ، اكثر مما يستطيعه ميدان الطب الوقائي بأكمله" .

وتصف مصلحة الصحة العامة الامريكية ، التدخين بأنه : "السبب الرئيسي للامراض التي يمكن الوقاية منها ، وللموت كذلك" .

وتردد الكلية الملكية البريطانية للاطباء هذا الصدى ، فتقول : "ان التدخين سبب خطير من اسباب الموت ، وهو بمثابة الامراض الوبأية الكبرى في الماضي" .

وتعمل جميع الشركات الكبرى لصنع السجائر الامريكية تحت اسماء

اتحادية لا ترد فيها كلمة "التبغ". وراحت جميعها تزيد من استثماراتها في مشروعات لا صلة لها بالتدخين: كأغذية الكلاب وناقلات المعلبات والمذيبات الصناعية ورقائق الالومنيوم والجعة وعشرات غيرها.

وقال لي احد كبار المسؤولين الصناعيين: "اننا نستعد لالغاء التبغ تدريجا. لن يتم هذا في العام المقبل، ولكن ربما خلال ٢٠ عاما".

من الملحوظ ان نسبة المدخنين من الراشدين في الولايات المتحدة آخذة في الانخفاض السريع. ففي عام ١٩٦٥ كانت نسبة المدخنين من الرجال ٥٢٪، وكانت نسبة المدخنات من النساء ٣٢٪. وانخفض مجموع المدخنين من ٤٢ الى ٣٤٪ من الكبار. ولو استمرت اتجاهات اوائل الخمسينات حتى الان، لكان في الولايات المتحدة اليوم ٧٥ مليون مدخن، بينما لا يتجاوز عددهم ٥٤ مليونا في الوقت الحاضر.

وأكثر دلالة على الهبوط بالنسبة الى مسوقي السجائر الامريكية، تلاحظ بين الرجال المراوحة اعمارهم بين ٢١ و٢٤ سنة، على اعتبار ان هذه الاعمار تضم مجموعة مهمة من المدخنين وتعتبر مؤشرا رئيسيا تستند اليه صناعة التبغ في تركيز مشروعات مبيعاتها. فقد انخفضت نسبة المدخنين من هذه المجموعة من ٦٧ الى ٤١٪ في غضون ١١ سنة.

النيكوتين والقطران - وهناك دلائل اخرى تعتبر، هي ايضا، نذيرا لصناعة التبغ: ففي الولايات المتحدة يود ٩٥٪ من المدخنين التخلص من هذه العادة. وقد حاول الكثيرون ذلك بالفعل لكنهم اخفقوا حتى الان: غير ان هذا الوضع آخذ في التغير. فقد تبين من البحث الذي اجراه مركز تبادل المعلومات القومي الخاص بالتدخين والصحة، عام ١٩٦٤، ان ٤٥٪ فقط من اولئك الذين حاولوا الاقلاع عن التدخين استطاعوا التخلي عن هذه العادة لفترة استمرت شهرا واحدا. وفي ١٩٧٠، ارتفعت هذه النسبة الى ٦٥٪. وفي عام ١٩٧٥، استطاع ٨٠ الى ٨٥٪ من المدخنين الامتناع لمدة ٣٠ يوما على الاقل.

ولا يعني الارتفاع المثير في امكان الاقلاع عن التدخين ان المدخنين اصبحوا الان اشد عزيمة مما كانوا. بل هذا يعني ان التخلي عن السجائر التي يدخنونها اصبح أكثر سهولة.

ومن المعلوم ان النيكوتين في دخان السجائر، هو الذي يؤدي الى الادمان. فنسبة النيكوتين في السجائر الامريكية عموما قد انخفضت خلال العشرين السنة الاخيرة، بأكثر من ٥٠٪ كما انخفضت بنسبة الثلثين مادة القطران التي تعطي السيجارة مذاقها ونكهتها، ولكنها تحتوي على المواد المسببة للسرطان. وبما ان المدخنين قد فطموا. من دون ان يدركوا ذلك في كثير من الحالات، من نسب النيكوتين المرتفعة التي كانت تؤدي بهم الى الادمان، فقد مكن هذا الفطام اعدادا متزايدة منهم من الاقلاع عن عادة التدخين.

سجائر أقل خطرا - وقد اجريت دراسة اخيرا على اكثر من مليون رجل وامرأة خلال ١٢ عاما، فكشفت ان معدل الوفيات بين مدخني الاصناف التي تنخفض فيها نسبة القطران والنيكوتين اقل منه بين مدخني الاصناف التي ترتفع فيها هذه

النسبة. ومن ثم، فمن المتوقع ان يؤدي خفض القطران والنيكوتين عموما، الى فوائد صحية واسعة النطاق. ويبدو ان هذا هو ما يحصل الان. ففي السنوات الاخيرة مثلا، قد انخفض معدل الوفيات بسرطان الرئة بين الرجال من ٣٠ عاما الى ٣٩ عاما، في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا. ويرجع هذا من ناحية الى تدني عدد المدخنين من تلك الفئة، ومن ناحية اخرى الى تدخين سجائر اقل ضررا.

وثمة قوى جبارة تعمل جاهدة للمزيد من خفض القطران والنيكوتين من جهة وتقليص عدد المدخنين من جهة اخرى، فضلا عن التقليل من الاخطار التي يتعرض لها المدخنون.

مجازفات أقل - بدأ المد يتحول ضد السجائر في عام ١٩٥٤ عندما نشرت جمعية السرطان الامريكية اول تقرير لها عن دراسة كان لها اثرها الفعال اجرتها على ١٨٨٠٠٠ رجل. ويتضح منها ان معدل الوفيات في اوساط المدخنين يبلغ ضعف معدل الوفيات لدى غير المدخنين، ومعظمها بسبب سرطان الرئة وامراض القلب والدورة الدموية. وعلى اثر ذلك انخفضت مبيعات السجائر فجأة بعدما كانت في ارتفاع مستمر طوال ٣٠ عاما.

ثم تحولت شركات السجائر على نطاق واسع الى الاصناف ذات المرشح (الفيلتر). لكن المنتجين لم يحددوا كمية القطران والنيكوتين التي يحجزها المرشح. وقد وقعت مجلة "ريدرز دايجست" عام ١٩٦٧ عقدا مع مختبر مستقل مسؤول لتحليل كميات القطران والنيكوتين التي تفلت من الترشيح. واثبتت تلك التقارير الرائدة أن المدخن يحصل في بعض الحالات على سيجارة خادعة، اكثر طولا، من الحجم الكبير (كينغ سايز) في طرفها مرشح وتحتوي على مقدار اقل من التبغ، ولكنها تحتوي على مقدار من القطران والنيكوتين يفوق الكمية الموجودة في السيجارة العادية الخالية من المرشح.

وفي ١٩٦٧، اثبت فريق من الخبراء للجنة التجارة في مجلس الشيوخ الامريكي ان المرشحات ما زالت تمرر كميات كبيرة من القطران وقطرات كثيرة من النيكوتين. ففرضت الحكومة حينذاك تحليل جميع الاصناف واصبحت ارقام القطران والنيكوتين تنشر الآن بأنتظام.

وفي العام ذاته، شكل معهد السرطان القومي الامريكي "فريق عمل التبغ"، سعيا الى الحد من خطر السجائر. وقد ضم هذا الفريق اختصاصيين من وزارة الزراعة خبراء وعلميين من شركات السجائر، وساعد على استنباط انواع جديدة من التبغ تنخفض فيها نسبة القطران والنيكوتين انخفاضا كبيرا.

وابتكر الفريق ايضا سجائر تقل فيها "الغازات" السامة غير المرئية، وخصوصا اوكسيد الكربون الاحادي واوكسيد النيتروجين، وسيانيد الهيدروجين التي تتسبب في النوبات القلبية والنزلات الشعبية المزمنة وضيق التنفس التي تصيب المدخنين.

وتلك الاصناف الجديدة التي استولت على نصيب كبير من الاسواق، تختلف عن جميع الانواع التي كانت متوافرة حتى الان، بحيث ان كمية القطران في السيجارة الواحدة تراوح بين ١ و٩ ميلليغرامات

كمية النيكوتين بين ميلليغرام واحد واقل (منذ عشرين عاما كان متوسط القطران ٤٣ ميلليغراما والنيكوتين ٣ ميلليغرامات)٠ وقد تدنت كذلك كمية الغازات في هذه الاصناف الى حد كبير، ولكنها احتفظت ببعض المذاق٠

عامل المخاطرة - ان المدخن الذي يتحول الى الاصناف التي تقل فيها درجة السموم، يحد فقط من تدخينه ولكنه لا يقضي على الخطر الناتج عن التدخين (★)٠ فتحول المدخن لا يلغي الخطر المترتب على آلاف السجائر الغنية بالقطران التي دخنها من قبل٠ والطريقة الوحيدة لتحقيق هذه النتيجة هي الامتناع عن التدخين لمدة عشر سنين على الاقل٠ حينئذ يقترب وضع المدخن السابق من وضع الرجل الذي لم يدخن ابدا، بشرط الا تكون انسجة الجسم قد اصيبت بأضرار لا يرجى اصلاحها٠

ان للتحول الى السجائر الفقيرة القطران فائدة ذكرت سابقا وهي ان التحول يجعل من السهل على المدخن الاقلاع٠ ولكن يجب ان يتم هذا بحرص٠ فلكل مدخن كمية النيكوتين الثابتة المعتادة وطعم الدخان الخاص٠ والتحول الى كمية بالغة الانخفاض، وبسرعة زائدة، قد يؤدي الى نتيجة عكسية٠ فالمدخنون الذين يتحولون سريعا الى السجائر المنخفضة السموم يميلون الى ابتلاع الدخان اكثر عمقا ومرات أكثر، مما يؤدي الى زيادة ضخمة في السموم التي يستنشقونها او يحملهم على تدخين المزيد من السجائر، والنتيجة واحدة في الحالين٠

والطريق الى التحول يقضي بأن "تخدع نفسك برفق"، كما يقول جيو باتا غوري، مدير برنامج التدخين والصحة في المعهد القومي الامريكي للسرطان٠ اختر صنفا تقل فيه كمية القطران والنيكوتين بنسبة ١٠٪ عن الصنف الذي تستعمله حاليا٠ وقد اثبتت التجارب ان المدخنين لا يلحظون نقصا بهذا المقدار٠ ويستمر تدخين الصنف الجديد حتى يعتاده المدخن، وحينئذ يستطيع التحول الى صنف يقل ١٠٪ اخرى٠

وينصح غوري بالوصول الى ادنى الارقام - من فئة ميليغرام او اثنين - خلال عام اذا اقتضى الامر٠ والتخلي عن السجائر التي تنخفض فيها نسبة القطران والنيكوتين والغازات الى هذا الحد، يكاد يكون غير مؤلم٠

واما دانييل هورن من مركز تبادل المعلومات والوثائق القومي الاميركي للتدخين والصحة، فأنه يحاول ان يثير الذعر في مستمعيه، عندما يقول: "لقد كسبت الحرب ضد التدخين وكل ما تبقى هو التطهير الشامل"٠ ولكنه يقر بأن هذا التطهير قد يستغرق عشرات السنين٠ ومع هذا، فليس هناك كبير شك في ان الحرب ضد التدخين قد كسبت، وفي عدالة شاعرية تامة، قد يكون صانعو السجائر هم الذين يستحقون انفسهم بالاستجابة لطلب المدخنين سجائر اقل تسببا في الادمان٠

■ ولتر س٠ روس

(★) كتبت الكلية الملكية البريطانية في آخر تقرير لها بعنوان "التدخين ام الصحة" ما يأتي: "ربما ادى الاعلان عن تدني ضرر السجائر الى صعوبة اقناع المدخنين بالتوقف، ولكن ينبغي الاقدام على هذه المخاطرة، وذلك لانه لو انخفض ضرر السجائر الذي نستطيع منعه يوازي المقدار نفسه الذي نمنعه لو اننا قمنا بعمل ضخم مثل محاولة اقناع كل مدخن بالاقلاع عن التدخين٠

"اننا نكره الروس لما الحقوه بنا من اذى، لكننا نحترمهم لانهم نفذوا، بالضبط، الخطوات التي اعلنوا عزمهم على تنفيذها، في حين لم يحافظ الرئيس كارتر على مواقفه".

مسؤول حكومي صومالي

هل يمكن وقف الزحف السوفييتي في افريقيا؟

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧، وقفت الدفعة الاخيرة من المستشارين السوفييت، البالغ عددهم قرابة ٣٠٠٠ رجل، في مطار مقديشو تحت الحر والغبار، وهي عاجزة فيما كان الموظفون الصوماليون يمعنون في تفتيش حقاب اعضائها. لقد هيمن الروس عقدا من الزمن على حياة ذلك البلد، لكنهم اخذوا يتخبطون في شكل فاضح في محاولتهم توسيع نفوذهم في "القرن الافريقي". وسارع الرئيس الامريكي، الجديد حينذاك، جيمي كارتر الى تحدي نفوذهم. اما اليوم فقد اغلقت القواعد السوفييتية في هذا البلد الاستراتيجي الموقع وطُرد المستشارون السوفييت وارتفعت الشعارات المنادية بطرد "الامبريالية السوفييتية" من "القرن الافريقي".

لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد. فلم تمض اربعة اشهر حتى حدث انعطاف مذهل حين اخذ حلفاء موسكو الكوبيون يسحقون الجيش الصومالي.

وبدلا من ان يعاني السوفييت هزيمة مذلة في "القرن الافريقي"، برزوا باعتبارهم القوى الاكثر نفوذا في المنطقة اذ باتوا - حسب تعبير احد محللي المخابرات المعروفين - على "ابواب اكبر نصر لهم منذ سقوط اوروبا الشرقية".

وتساءل الغرب مبهوتا: كيف انتزع السوفييت النصر بهذه السهولة بعد الهزيمة الديبلوماسية التي لحقت بهم قبل فترة قصيرة؟ وما هي يا ترى الضربة التالية؟

صفقة مزدوجة - يكمن جوهر الاستراتيجية السوفييتية الحديثة في افريقيا في انتشار مخابىء واسعة

لخزن الاسلحة القديمة في ارجاء الاتحاد السوفييتي. ففي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، عوض السوفييت تخلف تكنولوجيتهم العسكرية بانتاج كميات هائلة من الاسلحة الثقيلة. وحين ابدلت الاسلحة القديمة باخرى حديثة، كانت الأولى تخزن لاستعمالها في المستقبل.

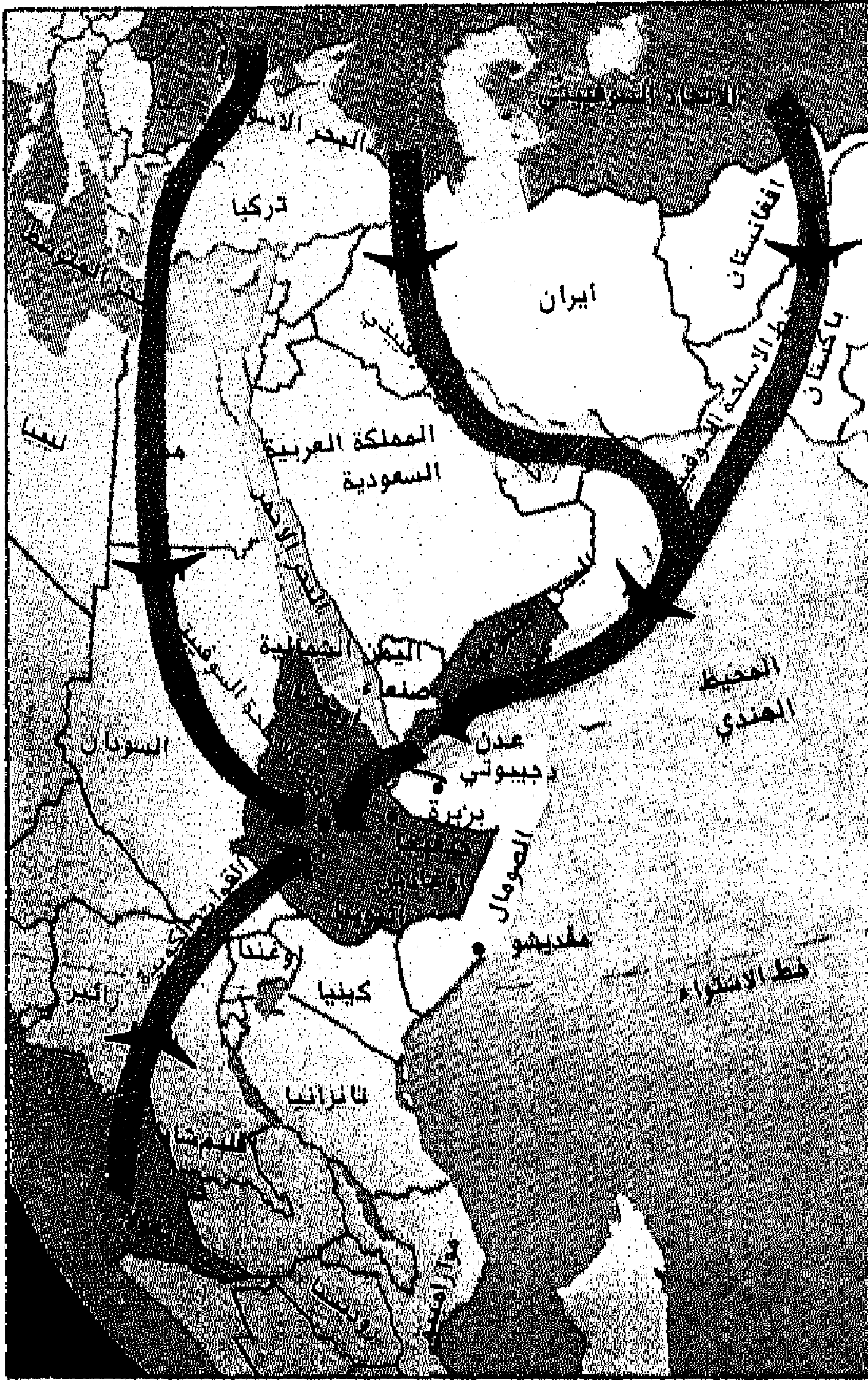
وفي مجرى الصراع بين الشرق والغرب لكسب مناطق النفوذ في بلدان العالم الثالث الناشئة، لم يكن الاتحاد السوفييتي في وضع يمكنه من منافسة الولايات المتحدة في ميدان المساعدات الاقتصادية، ولكن كانت لديه مستودعات الاسلحة التي اختزنت آلاف الدبابات والعربات المدرعة والطائرات التي حظيت بتقدير عال من جانب كثرة من قادة بلدان العالم الثالث، بمن فيهم الرئيس الصومالي سياد بري.

ان الصومال الذي اصبح دولة عام ١٩٦٠، نتيجة اندماج المستعمرات البريطانية والايطالية السابقة، امة بدوية معظم ابنائها من رجال القبائل الصحراويين وتفتقر الى الموارد الطبيعية. وعلى رغم انها كانت من بين اكثر البلدان عوزا الى المساعدات الاقتصادية، الا ان الصوماليين كانوا في الوقت ذاته ذوي نزعة وطنية متصلبة، يستحوذ على مشاعرهم حلم توحيد الاراضي التي تسكنها اغلبية صومالية في البلدان المجاورة كأثيوبيا وكينيا ودجيبوتي. وكان لا بد لهم من اقتناء الاسلحة اللازمة لتحقيق هذا الحلم. وحين رفض الغرب تزويدهم بالسلاح خشية من عواقب ذلك على جيرانهم في الدرجة الأولى، سارع الكرمليين الى انتهاز تلك الفرصة ليتخذ موطئا لاقدامه في "القرن الافريقي".

وطوال السنوات اللاحقة تدفق المستشارون العسكريون والاسلحة السوفييتية الى الصومال، مما حول الجيش الصغير الى قوة ضاربة يبلغ عدد افرادها ٢٥٠٠٠ مدججين بالسلاح. ولم يكن الصومال المستفيد الأوحد من هذه الصفقة. فقد كانت الموانىء الصومالية المطلة على خليج عدن والمحيط الهندي مواقع مثالية لاقامة مرافق بحرية في خدمة الاسطول البحري السوفييتي المتوسع.

وعلى رغم ذلك، لم تخل العلاقة من بعض التوتر. ذلك ان الرئيس سياد بري لم يقدم سوى خدمات محض كلامية للفلسفة الماركسية - اللينينية، بينما وقف النفوذ الاسلامي العميق عائقا في سبيل المحاولات في فرض عقيدة شيوعية صارمة. اضافة الى امتعاض الصوماليين من استغلال السوفييت للتنمية الاقتصادية في بلدهم الفتي. فحين اقام السوفييت مصنعا لتعليب اللحوم، مثلا، كان من المفروض عليه ان يزود الاتحاد السوفييتي بمعظم انتاجه وباسعار مخفوضة.

ولئن لم يحظ الروس بشعبية كبيرة، الا ان اسلحتهم كان لها رواج كبير، بعد ان اخذ الصوماليون يهيئون انفسهم لتحقيق حلمهم بتحرير "الصومال الكبير"، وبخاصة اوغادين الشاسعة - ذلك النجد شبه القاحل الذي ضمه المستعمرون الاوروبيون الى الامبراطورية الاثيوبية في القرن التاسع عشر. وكان يسعد السوفييت، بالطبع، ان يدعموا حليفهم الرئيسي في القرن الافريقي في تنفيذ مخططه الطموح.



لا لبيع الاسلحة -

وكان من شأن اطاحة نظام هيلاسيلاسي الموالي للغرب في اثيوبيا عام ١٩٧٤، انها اتاحت الفرصة لتوسيع نطاق الطموحات السوفييتية. فقد استولى فريق عسكري ماركسي على السلطة، ودشن عهدا من الارهاب ادى في الواقع الى ابادة جيل كامل تقريبا من القادة الاثيوبيين، وذهب ضحيته آلاف الرجال والنساء والاطفال الابرياء. وكانت غالبية هذا الفريق الذي فرض النظام الماركسي في اثيوبيا من اشباه المتعلمين ممن لم يلموا تماما بالنظرية الشيوعية. لكن الحكومة التي اقاموها تميزت بكونها متطهرة تماما من النفوذ "الرجعي". يضاف الى ذلك ان تلك الامة التي تعد ثلاثين مليون نسمة وتعتبر رقعتها واحدة من اوسع البلدان الافريقية قد تكون نقطة انطلاق استراتيجية لتنفيذ الطموحات السوفييتية في مناطق اخرى، اذ ان لاثيوبيا مرفأين على البحر الاحمر، كما انها تسيطر على المنبع الرئيسي لمياه النيل، عصب حياة مصر.

لكن الرياح لم تجر تماما كما تشتهي السفن. فقد واجه الحكام الجدد معارضة وحركات انفصالية اصبحت مصدر قلق لهم. كما كانوا يخشون الصوماليين المدججين بالسلاح

السوفييتي والمصممين على استرجاع اوغادين التي تعادل مساحتها خمس مساحة اثيوبيا.

ولكي يحافظ السوفييت على حظوتهم لدى الخصمين كليهما، عمدوا في ربيع عام ١٩٧٧ الى عرض خطة على الصومال تقترح توحيدها مع اثيوبيا واليمن الجنوبية المجاورة ذات نظام الحكم الماركسي. وقد اوضح الرئيس سياد بري في ما بعد للقادة الغربيين ان الكرملين صور هذا الاتحاد بمثابة حجر الزاوية لخطة رئيسية تمكنه من فرض السيطرة على بلدان افريقيا الجنوبية وشبه الجزيرة العربية الغنية بالنفط. ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل تجاوزه للجوء الى رئيس الوزراء الكوبي فيديل كاسترو الذي طار الى مقاديشو لاقناع الصوماليين بحتمية المخطط السوفييتي. غير ان الصوماليين الوطنيين لم يستجيبوا للصفقة المعروضة عليهم. وللتو اخذ المستشارون السوفييت والكوبيون يفدون الى اثيوبيا، تصاحبهم الاسلحة التي تدفقت من مستودعات موسكو لدعم نظام اديس ابابا الذي كان يتهيأ للحرب.

وفي هذه الاثناء، اصدر الرئيس كارتر اوامره الى وزير خارجيته سايروس فانس والى كبير مستشاريه لشؤون الامن القومي زبغنيو بريجنسكي "باتخاذ جميع الخطوات الممكنة لاجتذاب الصومال الى معسكر اصدقائنا". ثم اكد رأيه هذا علنا حين قال انه خطط للقيام بـ"تحد هجومي" لنفوذ الاتحاد السوفييتي في الصومال نظرا الى الاهمية الاستراتيجية التي يتسم بها.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٧، ابلغ مبعوث امريكي القادة الصوماليين شروط الولايات المتحدة لتزويدهم بالسلاح الامريكي، وهي الا تستعمل تلك الاسلحة الا لاغراض دفاعية والا توجه، لاي سبب كان، ضد كينيا ودجيبوتي. لكن المبعوث الامريكي اوضح ان الولايات المتحدة لن تعارض تقديم دعم غير مباشر الى فدائيي جبهة التحرير الصومالية العاملين في اوغادين.

اذ ذاك شعر الصوماليون بان الوقت قد نضج للاستيلاء على تلك المقاطعة التي عاش شعبهم عليها وقاتل من اجلها لمدة تزيد على خمسة قرون، خصوصا ان مساعدات الكتلة الشيوعية لاثيوبيا كانت لا تزال في مرحلتها البدائية، فجاءت وعود الولايات المتحدة تطمئن الصوماليين الى دعم قضيتهم في تلك المنطقة. وهكذا بدأت القوات الصومالية التحرك في منتصف يوليو (تموز)، مستخدمة السلاح الذي زودها به السوفييت من قبل.

وما ان ادركت واشنطن قيام الصومال بشن هجوم شامل ضد اثيوبيا، حتى اتخذت قرارا مفاجئا بان سياد بري تجاوز الحدود المسموح بها. وحين وصلت القوات الصومالية الى الاراضي الاثيوبية الغت وزارة الخارجية الامريكية علنا صفقة السلاح التي وعدت بها.

ضربة الحظ السخية - بدا الامر لفترة كما لو ان السوفييت قد انزووا في الظل بعدما اكتسح الصوماليون اوغادين وسحقوا القوات الاثيوبية وعزلوا خطوط سككها الحديد عن ميناء دجيبوتي، وبعدما طرد سياد بري المستشارين العسكريين السوفييت واغلق منشآتهم.

لكن الكرملين كان لا يزال لديه بعد ورقة رابحة، هي مستودعات اسلحته الهائلة. فابدى رغبته في لعب تلك الورقة. وكان السفير السوفييتي في مقديشو قد قطع على نفسه عهدا باركاع الصوماليين.

ولم يكن ذلك تهديدا اجوف. ففي ساعة متقدمة من ليل السبت ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) رصدت اقمار التجسس الاصطناعية الامريكية ومحطات الرادار المنتشرة من مصر الى باكستان حركة مفاجئة، واسعة وكثيفة، للطيران السوفييتي في اتجاه "القرن الافريقي"، واخترقت طائرات "انطونوف٢٢" و"اليوشن٧٦" العملاقة على نحو مكشوف المجال الجوي لعدد من البلدان غير الشيوعية، من دون ان تبدر عن الغرب سوى بضع عبارات احتجاج خافتة.

وفي الوقت ذاته كانت الاسلحة تشحن بحرا الى اثيوبيا من مستودعات في اليمن الجنوبية. وبلغ مجمل ما تسلمته اثيوبيا ٢٥٥ طائرة مقاتلة من طراز "ميغ٢١" و٤٠٠ دبابة حديثة و٣٠ طائرة عمودية من طراز "مي٨" وآلاف القطع من الاسلحة المتنوعة الاخرى، تبلغ قيمته مليار دولار على الاقل.

الى هذا توافدت قوات كوبية من انغولا يقدر عددها بـ ١٥٠٠٠ مقاتل، وهي التي تصدرت في ما بعد حملة اوغادين تحت قيادة عينتها هيئة الاركان الروسية برئاسة الجنرال فاسيلي بتروف النائب الاول لقائد القوات البرية في الاتحاد السوفييتي.

ولجأ الصوماليون الى الغرب طلبا للسلاح. فقد التهمت حملة اوغادين الطويلة اسلحتهم ونفدت ذخيرتهم من العتاد السوفييتي، فسارع شاه ايران طالبا الحصول على ترخيص عاجل من البيت الأبيض، اذ كان محظورا عليه ان يحول الاسلحة الامريكية الصنع الى بلد ثالث من دون موافقة الولايات المتحدة. وضج بعض القادة العرب من السودان الى العربية السعودية طالبين مجرد اشارة من واشنطن لكي يزودوا الصومال بدعم عسكري فعال. لكن البيت الأبيض لم يكتف بالرفض فحسب، بل رفع الحظر عن دفعة من الشاحنات وسيارات الجيب الى النظام الاثيوبي في ما بدا حركة يائسة لاستعادة نفوذه في اديس ابابا.

وحذر بريجنسكي، مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الامن القومي، من ان محادثات الحد من التسلح ستصاب بالشلل ان لم يوقف الكرملين "تدخله الفظ" في الصراع بين هذين البلدين الافريقيين. لكن الحسابات السوفييتية قدرت ان قادة الولايات المتحدة سيبذلون قصارى جهدهم لتفادي المواجهة في تلك المنطقة. ولذا امر الجنرال بتروف ببدء الهجوم في فبراير (شباط).

وسرعان ما ازاحت نيران المدفعية وطائرات "الميغ" التي ادارها الكوبيون والفت اطنانا من القنابل، القوات الصومالية لتتخذ لها مواقع دفاعية في التلال وشعاب الجبال المجاورة لبلدة جيغجيغا. وهناك حوصر الصوماليون ومزق جيشهم بعد ثلاثة ايام من القتال الدامي مع قوات تتجاوزهم من حيث العدد والعدة باضعاف. وبلغت خسائرهم آلاف الجنود.

النمر الورقي ضد الدب - لم تكن المسألة بالنسبة الى الغرب ان تتولى

ادارة كارتر دعم حملة الصومال لاحتلال اوغادين عسكريا او عدم دعم هذه الحملة. ذلك ان قلة من الناس فقط كانت تحبذ مثل هذه الخطوة. ولكن ما يثير القلق هو ان سياسة الولايات المتحدة الخارجية، التي غالبا ما اتسمت بعدم التماسك وبالسذاجة احيانا مكنت السلاح السوفييتي من اشعال نار حرب واطفائها من دون مبرر ايجابي. وهذا ما جعل الولايات المتحدة توصف الآن في مقديشو بانها "نمر من ورق".

لقد اخذت الآن آثار عرض القوة السوفييتية الاخير تتجاوز حدود الصومال. ففي عملية اخرى لتعزيز السلاح تم شحن قرابة ٥٠ طائرة مقاتلة من طراز "ميغ (٢١)" مع ملاحيها الكوبيين اضافة الى ١٥٠ دبابة الى موزامبيق، الدولة الماركسية المحاذية لروديسيا. وفي افغانستان المجاورة لايران ذات حقول النفط الحيوية، اسقط القادة العسكريون ذوو الميول اليسارية الحكومة الافغانية غير المنحازة في ابريل (نيسان) الماضي، مستعينين بالسلاح السوفييتي. وفي جنوب شبه الجزيرة العربية يفرض السوفييت سيطرتهم الفعلية على ميناء عدن ويتولى الكوبيون تدريب اليمنيين على استعمال الاسلحة السوفييتية التي تردهم بكميات هائلة.

في مقابل ذلك، ما الذي تفعله واشنطن؟

يرى احد سفراء الولايات المتحدة في افريقيا انه ليست لادارة كارتر سياسة واضحة، بل ان البيت الأبيض الذي حذر الكرملين من ان استمرار السياسة العدوانية في "القرن" سيشل محادثات الحد من التسلح، سارع الى ارسال وزير الخارجية فانس الى موسكو للتفاوض حول التسلح قبل انقضاء ستة اسابيع على النصر السوفييتي الساحق في اوغادين.

لقد دعا بريجنسكي مرارا الى الرد على الخطر السوفييتي بمزيد من الحزم والتركيز. وبدهي ان تترجم الولايات المتحدة اقوالها الى افعال هذه المرة وان تبلغ السوفييت انه لا يمكنهم التمتع بثمار الانفراج فيما هم يحاولون غزو العالم الثالث، وان المضي في النزعة المغامرة لن ينجم عنه الا تعليق فوري لمحادثات الحد من التسلح واقفال باب التعاون الاقتصادي الذي يعود على السوفييت بنفع كبير.

واذا تبين ان مثل هذه الخطوات لن تحقق كبح جماح السوفييت فان الحل يكمن، حسب رأي المخططين الاستراتيجيين، في انضمام الولايات المتحدة الى القوى الغربية الاخرى توفيرا لقوة مضادة لتدخل الكتلة السوفييتية. ففي مايو (ايار) الماضي استولى الثوار الذين تلقوا تدريبهم على ايدي الكوبيين، على مركز اقليم شابا الغني بالنحاس في زائير، وقتلوا مئات الافريقيين والاوروبيين، غير انهم اجبروا على الانسحاب السريع حين بادرت فرنسا الى تقديم مساعدة عسكرية استجابة لطلب زائير. ولا يقترح احد ارسال قوات امريكية الى افريقيا، بل يمكن الاتعاظ بما قاله احد القادة البارزين من الذين يناهضون القوى الماركسية في اثيوبيا: "لدينا الرجال... اعطونا وسائل القتال فقط".

■ كينيث توملنسون

لماذا يفقد بعض الازواج اهتمامهم بالجنس؟

الى اي مدى يؤثر نوع العمل الذي يتعاطاه الزوج او الزوجة على حياتهما الجنسية؟
ثمة خطر يتهدد الحياة الجنسية لبعض الازواج، وهنا نماذج عنه ومحاولة لتداركه.

"أحب اليانور، ولكنني لم اعد ابالي بالجنس كما كنت من قبل". هذا ما ذكره جيمس دونلي متحدثا عن ستة أعوام من الزواج. "واني لم اخصص بكل بساطة وقتا كافيا للتفكير في هذا الامر"، الى ان حصل ذلك في احدى الليالي منذ أشهر. تناولت عائلة دونلي وجبة العشاء وانصرف كل فرد الى سبيله. وصعد جيمس، الموظف في احدى شركات التامين،السلم وهو يتحدث من دون انقطاع عن زبون عنيد. وبينما كان يزرر بيجامته قال: "ان هذا الرجل لا يبرح مخيلتي. والافضل هو ان اشاهد التلفزيون حتى يغلب علي النعاس".

واستلقت اليانور تحدق في السقف وتتساءل: ما الخبر؟ ولماذا كان جيمس يتجنبها على الدوام وقت النوم؟ وأخيرا نزلت الى الطابق الاسفل واطفأت جهاز التلفزيون وانتصبت امام الشاشة، وصاحت بعفوية: "ما بالك؟ هل انت هائم بأمرأة اخرى؟ هل انت عاجز جنسيا؟".

فذعر جيمس لهذا التساؤل، لانه لم تكن هناك اية امرأة اخرى، وانما لم يكن هناك ايضا مهرب من مواجهة الحقيقة، وهي انه لم يعد يبالي كثيرا بالجنس.

وان مشكلة عدم المبالاة بممارسة الجماع هي أكثر شيوعا لدى الشباب المتزوجين الاصحاء مما نتصور عموما. ولئن تعذرت الاحصاءات الموثوقة في هذا الصدد، الا ان مستشاري الزواج يسمعون الكثير عن هذا الامر على نحو متزايد.

ان قلة اهتمام الرجل بالجنس تدلل على عدم تكييف جنسي خطير بينه وبين زوجته. ويعني ذلك، في بعض الاحيان، انهما على درجة من الاختلاف حول المواضيع الاخرى، اصبح الجنس معها امرا تافها. فقد تحطمت بذلك علاقتهما بأكملها. ولكن ما عسانا ان نقول عن اولئك الرجال الذين يبتعدون عن الجنس،

Condensed from Redbook Magazine (January 78) Copyright 1977 by The Redbook Publishing Co. 230 Park Ave. New York, N.Y. 10017

بينما هم في زواج سعيد من نواح أخرى؟

يعزو فان بيليسنغ، مدرس الرياضيات في احدى المدارس الثانوية، تضاؤل اهتمامه بالجنس، الى نمط المعيشة الذي اختاره خلال دراسته العليا. ويقول: "لقد اردت نيل درجة الحدارة من دون اي شيء آخر، وكان ذلك يعني المذاكرة حتى الثالثة صباحا، ومن ثم الزحف الى السرير، بجانب زوجة تغط في النوم".

وأخيرا، فطن فان وزوجته نانسي الى نمط الحياة الذي اتبعاه وكان ذلك في احدى عطل نهاية الاسبوع في منتجع للاجازة مع صديقين حديثي الزواج. فتسللا الى غرفتهما بعد وجبة الغداء واختفيا قبل ان تطلب الزوجة القهوة. وتتذكر نانسي قائلة: "لقد اكتفينا بالجلوس جنبا الى جنب، يحدق احدنا في الاخر". ويقول فان: "لقد علمت منذ زمن بعيد ان شيئا ما لم يعد على ما يرام، ولكنني كنت اعلم ايضا كم كانت تخوننا الكلمات التي نتبادلها حول هذا الموضوع. لو كنت "زوربا اليوناني" لاختطفتها من مكانها وحملتها الى غرفتنا في الفندق بعد ظهر ذلك اليوم البغيض. الا انني لست ذلك الرجل".

ويتضح من اخفاق فان كيف ان الرجال تصعقهم توقعات المجتمع.

ويقول الدكتور هوارد هوفمان، المدير الطبي لمعهد علم النفس في واشنطن العاصمة: "كثير من الرجال يشعرون بأن الذكورة تعني اكتمال الرجولة والجموح والرغبة في ممارسة الجنس والقدرة على هذه الممارسة، بغض النظر عن بقية ما يجري في حياتهم. فهذا عبء لا حاجة لهم في تحمله على عواتقهم".

الشعور بالذنب – بدأت مشكلة فان بالضغوط الدراسية الثقيلة الوطأة، مصحوبة بشعوره بالذنب الذي يرتكبه بأهماله زوجته نانسي. وعندما حصل اخيرا على درجة الجدارة، استكمله الذعر فظن انه غير مكتمل الرجولة الى حد مقبول. وربما كان من الافضل عدم المحاولة غالبا، وذلك من باب الاحتياط.

قد يتجنب الرجل ان يتعاطى الجنس في بعض الاحيان، بسبب الاضطرابات النفسية التي تعتريه من دون ان يقر بها. فشارون كارتر، مثلا، تعي تماما سوء الاثر الذي يحدثه نشاطها المهني في زوجها رالف. وهي تعترف بذلك فتقول: "لقد كان من شأن مهنتي انها حطمت حياتنا الجنسية، بيد ان رالف يفضل الموت قبل الاعتراف بذلك". وتشغل شارون وظيفة مرموقة في مصرف ضخم، وتتمتع بمقدار كبير من الاستقلال، اسوة بكثير من النساء العاملات، وبالتالي، فأنها تتمتع بنصيب اضافي من السيطرة في كفة ميزان القوى الزوجية الدقيق. وتقول شارون: "لقد تعلمت كيف اتعاطى الامور في المصرف، فلماذا لا يسعني ان اطلب ما اريده من زوجي في غرفة نومي؟"

وقد استثارت سطوة شارون المخاوف التي كان يعانيها رالف منذ بعض الزمن، وهو يخشى جزئيا ان تنزلق زوجته في اتصالها ببقية الرجال.

وعلى الرغم من ان شارون لم تكن تبالي باللقاءات الجنسية، فأن سهولة حدوث هذه اللقاءات كانت كافية لاثارة قلق رالف وزجه بين نارين. فالنار الاخرى هي تخوفه من عدم

اشباع الجموح الجنسي الجديد الذي يتصوره لدى زوجته.

وفي هذا الصدد، تقول عالمة الاجتماع، جيسي برنارد: "انها رواية معكوسة لقصة قديمة. فقد كان الجنس في السابق واجب المرأة، وها هو قد اصبح الآن واجب الرجل ايضا، ولكنه غالبا ما يكون غير معد لذلك".

وكثيرا ما يتجنب الرجال ايضا ممارسة الجنس لانهم غير مستعدين للهبوط المحتوم لمشاعرهم الشهوانية بعد الزواج. وفي استطاعة باري جنكنز ان يستعيد اليوم ذكر تجربته الشخصية بشيء من المرح، وان تكن قد شغلت باله مدة طويلة. فقد اقدم كل من باري وزوجته جانيت على الزواج وهما يظنان ان الاثارة الجنسية تستمر" ما دام هما استمرا في حب احدهما الاخر". لكن الاثارة تلاشت مع الوقت واصبح باري كسائر الرجال الذين يهتمون بوجبة العشاء اكثر من اهتمامهم بملابس زوجاتهم، وراح يساوره القلق، ويسائل نفسه: هل اختلت تواتراته الجنسية الاساسية؟ هل ذوى الحب في قلبه؟ وفي النهاية، راجع باري وجانيت طبيبا متخصصا في الاختلال الجنسي.

التفكير المزدوج – وبعد بضع جلسات علاجية، اصبح في مقدور باري ان يسلم بمواقف عدة لم يكن يعترف بها من قبل، فقال: "في بعض الاحيان لم اكن اشعر بميل الى ممارسة الجماع لانني كنت تعبا للغاية، او لوقوع مشاجرة حامية بيني وبين زوجتي جانيت. لكنني كنت امضي في التفكير بأنه يتحتم علي ان ارغب في الجماع مهما كان الامر".

كثير من الرجال ينبذون تلك الصورة عن انفسهم التي يتحتم عليهم فيها دوام الاداء الجنسي. الا ان عددا كبيرا من المتزوجين اخذوا يتجنبون اي اتصال وانصرفوا تماما عن اي شيء يعني لهم الاخفاق في السرير. ولا شك في ان مثل هذا التصرف يصبح هو المشكلة الكبرى على الاطلاق.

ويقول الدكتور هوفمان: "يدخل الزوجان في ما اسميه طور التفكير المزدوج: يعود الرجل الى منزله ويقول: لدي اوراق يجب انجازها هذه الليلة، بينما تفكر الزوجة: "ان ما تعنيه في الحقيقة هو انك تريد تجنب المضاجعة"".

وبعد فترة يفقد هذا الامر اهميته، سواء اكان ادعاء الزوج شرعيا ام مجرد عذر. وينقطع الاتصال بكليته ويتوقف الاخذ والرد.

عندما جابهت اليانور دونلي زوجها جيمس اخيرا، بدأ الاثنان يتراشقان الكلام. فمم كان يشكو جيمس في الحقيقة؟ انه لم يكن مريضا. ولم تكن له علاقة غرامية بامرأة اخرى. ولم يكن يعاني العجز الجنسي، لكن الجهود التي بذلها لشق طريقه في الحياة قد استنفدت قواه. وحيث ان ذلك قد تم ببطء، فلم يشعر هو بأن طموحاته كانت تدفعه بعيدا عن اليانور.

وكانت الخطوة الاولى لكليهما ان اعترفا بوجود مشكلة. وكانت المشكلة جنسية، وكانت امرا يعني حله كلا منهما. بدأ الاثنان بطرح اسئلة جديدة كل منهما على الاخر: ما هو شعور كل منهما، بصراحة، نحو الجنس؟ هل يجوز ان يكون الواقع الجنسي بالنسبة الى اليانور اقوى منه بالنسبة الى جيمس؟ وهل يمكن اصلاح ذلك؟

وقد توصل الدكتور هوفمان في معالجة المتزوجين الى الاعتقاد بضرورة امور عدة لكسر حلقات الفخ الجنسي:

ـ قرر درجة اهمية الجنس لديك .

يقول الدكتور هوفمان: "ان ممارسة الجماع مرة واحدة في الشهر كافية بالنسبة الى بعض المتزوجين. وقد يصل ذلك الى خمس مرات في الاسبوع بالنسبة الى الاخرين. والنقطة الاساسية هي ان كل ما يناسب الزوجين يعتبر طبيعيا. اذا كان رجل وامرأته مخلصين احدهما للاخر بالنسبة الى حاجاتهما، ففي وسعهما ان يتوصلا الى تسوية".

ـ لا تفترض ان كل اتصال جنسي يجب ان يؤدي في النهاية الى الجماع .

يقول الدكتور هوفمان: "ان هذا الافتراض شائع بين الرجال. اما الجنس فأنه ينطوي على كثير من الامور، ولا يفترض ان وجود هياج جنسي عنيف طيلة الوقت. فالنساء يعلمن اذا كان هناك شعور بالاهتمام، وعندها تسير الامور على ما يرام".

ـ خطط للجنس .

يقول الدكتور هوفمان: "الناس يقاومون التخطيط الجنسي، الا ان العفوية ليست كل شيء. فالزوجان يحتاجان الى تخصيص وقت للجنس كلما ازدحمت مشاغل الحياة".

ومن جانب آخر، يجب عدم التقيد بتوقيت تقليدي. "غالبا ما تكون المرأة اكثر اهتماما بالجنس ليلا، عندما يكون الاطفال نياما وتكون هي قد فرغت من عملها المنزلي. بيد ان الرجل اقل ما يكون اهتماما بالامر آنذاك".

ويضيف الدكتور هوفمان: "يجب على الزوجين الاهتداء الى اوقات يكون فيها كلاهما مهتمين بذلك".

ـ حاولا الانفراد سوية بكل بساطة .

يقترح الدكتور هوفمان على الزوجين ان "يتناولا العشاء في ساعة متقدمة عندما يكونا على انفراد، وان يحاولا تناول الطعام في ضوء الشموع، او ان يتناولا بطانية ويجلسا في الخارج تحت النجوم ويتجاذبا الحديث. المهم هو تخصيص بعض الوقت لانفسهما".

ويضيف: "واذا لم تكن اي من هذه الوسائل كافية، فأذهبا لمراجعة اختصاصي معروف".

وقد اتضح لجيمس واليانور انهما لا يحتاجان الى الدواء والمعالجة، بل انهما يحتاجان الى تخصيص بعض الوقت لانفسهما فحسب.

وقد بدأ باري جنكنز يمارس الرفض عندما لا يشعر بميل الى الجماع (على غرار ما فعلت النساء منذ قرون). واما شارون كارتر، فأنها لا ترى مزيدا من التقدم في تحسين حياتها الجنسية مع رالف. فهو لا يزال يستصعب مناقشة هذا الموضوع بأرتياح.

الا ان فان ونانسي يحاولان نبذ روتينهما البالي. ففي احدى عطل نهاية الاسبوع خلال الربيع اخذا اجازة ثانية، هذه المرة وحدهما. واستراحا، وتجاذبا اطراف الحديث، واكتشفا من جديد ما كانا يتحسسان به منذ البدء: الحب، والعاطفة، وارادة ابداء اهتمام احدهما بالاخر. ويقول فان: "لن اصبح ابدا زوربا اليوناني. ولكنني اعلم الان ان لا حاجة بي الى ذلك".

■ **باتريشيا اوبراين**

مأساة عائلة في حرب لبنان

على مدى عامين تقريبا (١٩٧٥ - ١٩٧٦) اجتاحت حرب مأسوية مدينة بيروت وتركت فيها وفي سكانها ندوب جروح لن تمحي آثارها بسهولة، غير ان غريزة البقاء لدى البشر سجلت لها في صميم المأساة انتصارات برزت في صور تبعث على الاعجاب وتثير القلق في آن.

وفي هذا المقال قصة ترويها امرأة عن ادارة بيت ورعاية طفل رضيع في مدينة حولها العنف الى جحيم لا يطاق.

لقد اصبحت بيروت مستقري منذ العام ١٩٦٩. ذهبت اليها ككاتبة صحافية جوالة ثم اسرتني طريقة الحياة التي تجمع فيها مختلف المظاهر المتباينة من شتى انحاء الارض في مظهر عالمي فريد. وفي ١٩٧١ قابلت جهاد بشر الذي يعمل في وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للامم المتحدة (الأونروا) مسؤولا عن الخدمات في احد المخيمات.

وفي العام التالي تزوجنا، وولد ابننا طارق في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٥. وبعد انقضاء ثلاثة اشهر، اندلعت الحرب الاهلية، وقضيت العامين التاليين اعيش حياة تختلط فيها الاهوال بالمضحكات، وامثل مهازل الحياة اليومية البيتية في المدينة بعدما بلغ القتال شوارع بيروت. لكن جهاد زوجي فلسطيني، وقد اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية موقفا متشددا ازاء اي فلسطيني يحاول هجر المدينة.

انقضت اشهر عدة من دون ان نتحسس باي تغيير في مدينتنا، ومر وقت طويل من دون ان ندرك الى اي مدى غيرتنا الحرب.

في البداية، كنا لا نزال نجد الماء والوقود والكهرباء وكان همي الاكبر ان لا يغلق المغسل الآلي الوحيد في بيروت ابوابه. وهذا ما حدث بالفعل عندما سقطت القذائف المدفعية، ذات صباح، في شارع قريب. وكانت كمية

ولدت ديانا ويلمان في سيدني - اوستراليا وعملت مراسلة للاذاعة الاوسترالية في لبنان في اثناء الحرب اللبنانية. ولقد كان لرسائلها عن هذه الحرب صدى بعيد اصبحت معه هذه الصحافية من اشهر الاصوات التي تحملها امواج راديو اوستراليا.

كبيرة من ملابسنا داخل المغسل في ذلك الحين، الا انه لم يكن هناك ما يمكن عمله. فدفعت عربة الطفل عائدة الى البيت، ووضعته في فراشه ليغفو غفوته المعتادة في الصباح.

وفي تلك اللحظة سقطت قذيفة مدفعية قرب باب مطبخنا، وتطايرت الحجار والشظايا لتصطدم بالجدران. فانتزعت طارق من فراشه وانبطحت به فوق ممر ضيق. وفيما كانت القنابل والصواريخ تصفر فوق رأسينا، زحفت الى غرفة الجلوس ونقلت التلفون والراديو الى ركننا الآمن نسبيا. وأخذ طارق يعبث بمفاتيح جهاز الراديو، ورحت اتبادل الحديث بالتلفون مع الاصدقاء في مختلف انحاء المدينة. وكان مجرد التحدث الى احد، وتبادل الانطباعات والقيل والقال مصدر عزاء وسلوى لنا جميعا.

وبعد يومين فتح المغسل الآلي ابوابه من جديد. وفي تلك الاثناء كان كثيرون من سكان حينا قد لاقوا حتفهم في ميتة عنيفة. لكن اكبر بواعث قلقي كانت تلك الكومة من الغسيل القذر ذي الرائحة المزعجة التي ترقد تحت طبقة من رغوة الصابون الرمادية المستهلكة. وانقضى اسبوع كامل قبل ان تزول الرائحة الكريهة من ملابسنا.

وراحت الحرب تحكم قبضتها على المدينة، فاخذت الاوضاع الشاذة تبدو طبيعية اكثر فاكثر. وحين كنت اذهب الى المصرف لاسحب بعض النقود للمشتريات (كانت قلة من الناس في بيروت تحتفظ بالمال الفائض نقدا، الا اذا كان في استطاعتها استئجار حرس



ديانا بشر مع طفلها طارق امام منزلهما في بيروت

خصوصيين)، لم يعد يلفتني وجود الحرس من الفدائيين الفلسطينيين الذين يقفون بالباب وهم يحملون البنادق الرشاشة على اكتافهم ويفتشون كل الزبائن من الذكور.

وعندما كان الحراس يوقفونني احيانا كي يلاعبوا طارق، كان رد الفعل لدي لا يختلف عما كان يحدث لو ان حارس الباب في احد مصارف مدينة سيدني في اوستراليا تصرف بالطريقة نفسها. وفي المصرف كنت اضع الكرسي ذا العجلات الذي يجلس فيه طارق بعيدا عن الحائط الزجاجي المواجه للشارع، احتياطا لما قد يحدث اذا سقطت قذيفة مدفعية. وبعد فترة اصبحت افعل ذلك تلقائيا.

وذات يوم، بينما كنت في طريقي الى المصرف، رأيت صبيا يلعب بمسدس على ناصية شارع ولم يلبث ان اطلق النار على صدره بلا وعي، وترنح الى منتصف الطريق وهو ينزف، ثم سقط ميتا. عندئذ توقفت مع بعض المارة الاخرين برهة قصيرة حتى استوثقنا من أن الامر لا ينذر

بمعركة نارية بين فئات مختلفة. ثم اسرعت في طريقي وقد شغلني التفكير في الحوانيت التي قد تكون مفتوحة وفي انواع السلع التي احتاج اليها.

قرية الاشباح – وتحولت مدينتي المضيئة الى ما يشبه قرية الاشباح. فنحن نسكن شارعا ترتفع مبانيه الى ما بين ٨ طوابق و ١٤ طابقا. ولكن في بداية عام ١٩٧٦ لم يبق في كل مبنى اكثر من اسرتين او ثلاث. وراح اصدقائي الاجانب يرحلون عن بيروت واحدا بعد الآخر. ولم ينقض اسبوع واحد من دون ان نسمع عن مقتل صديق عربي او جرحه.

وعند اضطراري الى التقوقع داخل الحجرات الاربع الصغيرة التي تتألف منها شقتنا كنت اجد في غالب الاحيان ان الملل اصبح مصيبتي الكبرى. فبعد الظهر، حين يكون جهاد غائبا في عمله وطارق نائما لم يكن لدي ما افعله سوى اختيار علب الاغذية المحفوظة التي نتناول منها طعامنا. وكانت مكتبة المجلس الثقافي البريطاني مصدر عزاء كبير. فحين يهدأ التراشق بالقذائف كانت تفتح المكتبة ابوابها في جو من الشجاعة الهادئة وسط رنين فناجين شاي الصباح. وفي الامسيات، عندما كان الماء يقل لدينا وتنقطع الكهرباء وتتقارب القنابل اكثر فاكثر، كنت افتح احد كتب ب.ج. وود هاوس (*) التي استعيرها من المكتبة، واقرب الشمعة واهرب الى قصر "بلاندنغز" بينما جهاد يستمع الى الراديو ويغلبه النعاس.

وفي عام ١٩٧٦، اصبح الماء مصدر قلقنا الدائم. فكنت اقضي معظم الوقت واقفة في طابور في الشارع لكي املأ اوعية البلاستيك ماء من المواسير المنفجرة. وتعلمت انني كلما توغلت في منطقة تدور فيها المعارك، زادت فرصتي في العثور على مواسير منفجرة احصل منها على الماء.

وحين كان التيار الكهربائي يعود – ربما مرة في الاسبوع- كنت ادير جهاز الضخ واملأ غسالتي العتيقة (فقد اغلق المفسل الآلي) واغسل طارق، واستحم وانظف الاطباق المتراكمة، واملأ الدلاء وصفيحتي نفط فارغتين كميات احتياطية من الماء. واذا ظل الماء يجري في الصنابير بعد ذلك كله، غسلت ارض الشقة وسقيت النباتات.

لكن نباتاتي لم تعش طويلا في الحرب، وكنت اعاينها تموت واحدة تلو الاخرى: ورود من اوستراليا اهديت الينا في اثناء شهر العسل الذي قضيناه هناك، وزهور اقحوان من بلغاريا اشتريناها جهاد وانا خلال اول عطلة قضيناها معا، وشجيرات كاميليا نحيلة زرعتها حين ولد طارق. وقد احزنني موت النباتات، وادهشني حزني في الوقت نفسه، علما مني بان الناس في مخيمات اللاجئين المحاصرة كانوا يموتون من قلة الماء.

لقد عاش ولدي طارق، منذ ولادته تقريبا، في خضم الحرب وهو يستطيع الان ان يميز بين طلقة

(*) كاتب انكليزي اشتهر بقصصه المسلية عن احد اللوردات الانكليز الذي كان يجمع بين السذاجة وغرابة الاطوار في مزيج مضحك، وخادمه الخبيث "جيفز". وتدور كثير من احداث هذه القصص في قصر "بلاند نغز"، قصر اللورد المذكور.



طارق مع والدته بين مسلحين قرب آلية مصفحة في احد شوارع العاصمة اللبنانية.

البندقية الرشاشة وقذيفة المدفع الصافرة فوق الرؤوس. ولذا، فقلما تقوى اصوات الحرب وضجيجها على تعكير نومه، ومع ذلك فقد حدث مرة ان اوقف بعض الجنود دبابة في الشارع قرب مسكننا وبدأوا يطلقون نيران مدفعهم على هدف بعيد لا يراه احد فاستيقظ طارق على صوت اطلاق النيران وهو يصرخ خوفا ورعبا. عندئذ اندفعت الى خارج مسكني ورحت ازعق في الرجال الواقفين حول الدبابة قائلة انهم يخيفون طفلي. واخرجت صورة فوتوغرافية لطارق ولوحت بها امام عيونهم فابتسم الجنود في شيء من الارتباك وابدوا اعتذارهم وانطلقوا بدبابتهم بعيدا... وبذلك انتقلت قطعة من جحيم الحرب الى مكان آخر لانها ارعبت طفلا صغيرا.

وكان عمل جهاد يحمله الى مخيمات اللاجئين خارج بيروت، فكان انتظار عودته الى البيت تجربة حافلة دائما بالقلق المؤلم، لكنني كنت استمد شيئا من الراحة من ثقتي بحكمته ودرايته بحسن التصرف في ظروف الحرب.

وذات مرة انفجرت قذيفة مدفعية في احد الشوارع على بعد امتار قليلة امام سيارته وكان جهاد يعرف ان العادة المتبعة غالبا هي اطلاق ثلاث قذائف متتالية على الهدف نفسه خلال دقائق قليلة. فسارع الى الاندفاع بسيارته تاركا وراءه السيارات الاخرى التي كان اصحابها قد هجروها وهربوا يختبئون. فسقطت القذيفتان الثانية والثالثة خلفه.

وفي كل مرة كنت اغادر مسكني لشراء الحاجات او للعمل، او لكي

اقدم الى مستشفى الجامعة الاميركية كمية الدم التي اتبرع بها كل شهرين، كنت اجدني مضطرة الى اتخاذ عدد من القرارات المنهجية، مثل تحديد ساعات النهار التي يصل فيها اطلاق النار الى ادنى حد واختيار اكثر الطرق امنا.

وكانت صفتي الاستثنائية كامرأة اوروبية مصدر عون لي. فخلال تنقلي في انحاء المدينة كمراسلة صحافية، كنت امر غالبا عبر حاجزين او ثلاثة من حواجز الطرق التي يقوم على كل منها افراد من فئات متحاربة مختلفة. وكان الرجال المسلحون يتولون احيانا تفتيش السيارة (حين يسعدني الحظ على استعارتها من جهاد)، او بفحص اوراق هويتي غير انهم كانوا احيانا كثيرة اخرى يلوحون ببساطة، مشيرين الى المرأة الغربية المخبلة (التي هي انا) بالمرور.

الملاك الحارس – وعندما كنت اخرج فيجولة صحافية، كنت احاول جهدي ترك طفلي طارق لدى الجيران لكنني كنت اضطر احيانا الى اصطحابه وبمجرد سماعي اطلاق النار كنت ادفع عربته خلف جدار او في مدخل بيت وانتظر سكوت الرصاص، قبل ان اشق طريقي عبر الحطام والزجاج المتناثر على الارض. وحدث مرات عدة ان تولى مسلحون، من المسيحيين والمسلمين على السواء، حراسة طفلي بصفة موقتة فكان الواحد منهم يجلس ارضا في احد الملاجىء او على كيس من الرمل في احد مواقع اطلاق النار، ويعطي طارق غلافات الطلقات الفارغة لكي يلهو بها...

هل كنت طائشة آنذاك؟

اعتقد الآن بانني كنت احيانا كذلك. وان لم يكن هذا الخاطر يراودني اطلاقا في خضم الحرب. لم يكن هناك مكان اكثر امنا من سواه عندما يحتدم القتال.

وفي يوليو (تموز) ١٩٧٦، حين اتخذت الولايات المتحدة الاميركية تدابير اجلاء الاجانب، وافقت بعد الحاح جهاد على ان اصطحب طارق في زيارة لاسرتي في اوستراليا. وكان الافتراق عن زوجي مؤلما للغاية. ولو لم نألف عدم الاطمئنان بين ساعة وساعة الى سلامة كل منا لما استطعت الارتحال. وخلال المرحلة الاولى من سفرتنا على متن طائرة نقل برمائية امريكية، كان طارق كثيرا ما يقف على منصة الملاحة ويلوح بيده مشيرا الى بعيد، ويقول: "الى اللقاء يا بابا".

وفي اوستراليا بدا الاحساس بالامن والسلامة شيئا كالاحلام بكل ما حفل به من حمامات وامتلأ به من اللحم والفاكهة الطازجين. وقضينا ثلاثة اشهر في هدوء سيدني وامنها، جعلت فظائع الحرب واهوالها تبدو لي على بشاعتها الحقيقية اكثر مما كانت وانا في غمارها.

غير اني، حين عدت مع طارق في شهر اوكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٦، اصبح العالم الخيالي ترابيا على الفور. فانقضت ساعات قبل ان اهتدي الى سائق تاكسي يرضى بنقلنا من دمشق الى بيروت. واضطررنا مرات عدة الى تجنب نيران القناصة المنبعثة من قرى كانت لا تزال تقاوم سيطرة الجيش السوري الزاحف.

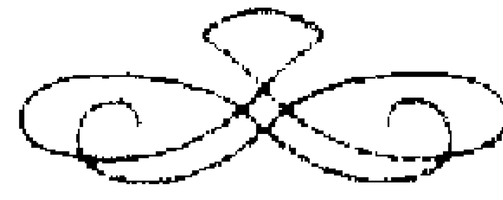
وكان جهاد متغيبا في عمله عندما

وصلت الى شقتنا وخرجت ترحب بنا عائلتان بقيتا في بيتيهما ولم تبرحا المدينة في اسوأ اشهر القتال.

كانت الشقة في حالة يرثى لها من الفوضى وحين عاد جهاد الى البيت عصرا اندفع طارق الى احضانه وهو يصيح في جذل: "بابا، بابا" وتملكني مزاج معاكس، فرحت اتذمر من الصراصير وقشور الفستق المتناثرة تحت المقاعد. واخذت اصيح بجهاد في لهجة الزوجة المشاكسة: "لقد تملكني المرض من القلق والخوف على حياتك، بينما انت تجلس هنا وتأكل الفستق". فقال جهاد وهو يبتسم: "لم يكن هناك شيء آخر يمكن عمله".

وحين انزلنا طارق من احضاننا بعد فترة، اخذنا جهاد وانا نتأمل احدنا الآخر. وقلت لزوجي انه يبدو على حاله من دون تغيير، فبادلني القول نفسه، لكن الامر استغرق وقتا حتى ادركنا مدى خطأنا واتضح لنا التغير الكبير الذي الحقته بنا الاشهر الثمانية عشر الاخيرة. لقد تحملت اسرتنا الصغيرة شدة المحنة، لكن الابتهاج بمجرد اللقاء على قيد الحياة لم يلبث ان خبا. فقد اصبحت غريزة المحافظة على الذات لدينا شيئا حيوانيا بالغ الارتباط بتجنب الدمار تمتد جذورها عميقة في انفسنا الى حد انها اصبحت القوة المسيطرة على حياتنا.

■ ديانا بشر



ينتظرون رسائل من ١٠٠ عام!

نشرت وزارة البريد الفرنسية نداءات في مجلة "هواة الطوابع" موجهة الى احفاد الباريسيين الذين لهم رسائل تنتظرهم ... منذ مئة عام.

فأثناء حصار باريس بالقوات البروسية في ١٨٧٠، لجأ الفرنسيون الراغبون في مراسلة انسبائهم او اصدقائهم المقيمين في العاصمة المحاصرة الى استخدام كرات مجنحة من الزنك المفرغ، تحمل عبارة "باريس عن طريق مولان"، فيلقونها في اعلى مجرى نهر السين قرب فونيتنبلو، وكانت تطفو في منتصف النهر تحت أنف البروسيين حتى تبلغ باريس، حيث تلتقطها شباك ممدودة عبر النهر.

وثمة عدد من هذه الكرات لم تبلغ اصحابها، والتقطها الملاحون بعد ذلك بسنوات وسلموها الى وزارة البريد، وقد حوت الكرة الاخيرة منها ٥٣٩ رسالة تحمل كلها طوابع بريد من ذلك العهد، مما يعزز شأنها لدى هواة الطوابع.

وهذا ما حمل وزارة البريد على البحث عن احفاد الـ٥٣٩ باريسيا من المحاصرين الذين لم يتسلموا رسائلهم، لان هؤلاء الورثة قد يطيب لهم ان يتلقوا اخبارا من امواتهم وان يحصلوا ايضا على طوابع نادرة وثمينة.

ومثل ذلك ان طابع البريد البنفسجي غير المختوم الذي كانت قيمته فرنكا واحدا في عهد الجمهورية الثانية (١٨٧٢) يباع الآن في باريس بخمسين الف فرنك (نحو عشرة آلاف دولار)، والطابع الاخضر غير المستعمل من اصدار عام ١٨٥٠ الذي كانت قيمته ١٥ سنتيما (اقل من ١/٦ دولار) يباع الآن بأحد عشر الف فرنك (٢٥٠٠ دولار تقريبا)، والطوابع البريدية العادية الصادرة في القرن التاسع عشر يتلقفها الهواة بشغف في اسواق الطوابع.

- ك. ب.

صخرة باردة بين عالمين

"ديوميد" جزيرتان توأمان في مضيق بيرينغ، بين سيبيريا والاسكا، تبرزان فوق سطح الارض طافيتين بين عالمين. غير ان الانفراج الدولي قد امتد اليهما.

تقوم جزيرة "ديوميد الصغرى" في مضيق بيرينغ المعتدل البرودة والغائم الجو، وهي في منتصف الطريق بين الاسكا وسيبيريا، في منطقة يغلفها الضباب المفعّم، وتتناوبها عواصف الشمال، فتبدو الجزيرة مكانا متفردا بانعدام الفتنة والجاذبية. وتنتصب القرية الوحيدة في "ديوميد الصغرى"، على قمة رابية عملاقة من الركام يغمرها الصقيع وتضم بقايا الذين سكنوا هذه القرية على مدى الفي عام.

ويبلغ طول الجزيرة اربعة كيلومترات وعرضها كيلومترين ونصف كيلومتر تقريبا، وهي ترتفع بانحدار شديد من جميع جوانبها حتى ذروتها التي يبلغ علوها ٣٩٩ مترا.

والواقع ان جزيرة "ديوميد الصغرى" هي جرف قديم من الغرانيت الممزوج بكتل الجلمود والحجر الجيري. وتحيط الاجراف العمودية الشاهقة بالجزء الاكبر منها، ولا يعتدل الانحدار الا في الركن الشمالي الغربي، حيث يقل الارتفاع تدريجا حتى يبلغ شريطا ساحليا ضيقا من الصخور الجلمودية الضخمة تقوم عليه القرية التي يعد سكانها ١١٩ نسمة والممتدة الى سفح الجبل في مواجهة الجزيرة الاخرى التوأم "ديوميد الكبرى" التي يسمونها بالروسية "اوستروف راتمانوفا" والتي تقع على بعد اربعة كيلومترات الى الغرب، ويبلغ حجمها اربعة اضعاف حجم "ديوميد الصغرى".

وبين الفينة والفينة، تنطلق طائرة هليكوبتر سوفييتية من جزيرة "ديوميد الكبرى"، وتتجه نحو الشرق على مسافة كيلومترين، ثم تتوقف فجأة وكأنها اصطدمت بحائط زجاجي، لتسير بعد ذلك نحو الشمال او الجنوب على طول هذا الخط الوهمي ثم تعود الى منطلقها. ويقع هذا الخط الحدودي في منتصف المسافة بين الجزيرتين حيث يفصل بين عالمين مختلفين: آسيا وامريكا الشمالية، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية، الشيوعية والرأسمالية. بل ان هذا الخط يفصل بين اليوم والغد، لان مسار الحدود هنا يتزامن مع خط تحديد التاريخ الدولي.

لهداية العابرين – وفي موضع هذه الحدود الحالية وهذا الحاجز الراهن، كان يقوم في الماضي جسر بيرينغ البري او "بيرنغيا"، تلك الرقعة

المترامية الاطراف التي زالت من الوجود. فخلال الفترة الجليدية من عصر البلايستوسين، في باكورة الزمن الجيولوجي الرابع كانت صحائف الجليد الهائلة التي يبلغ سمكها ١٥٠٠ متر متراكمة على مساحة ١٥ مليون كيلومتر مربع تقريبا، تمتد من امريكا الشمالية الى اجزاء وسيعة من اوروبا وآسيا، وكان هناك ممر ضخم عرضه ١٥٠٠ كيلومتر يربط بين آسيا وامريكا، وقد عبرت فوقه قطعان عدة من الحيوانات الآسيوية الثديية التي تعيش اليوم في امريكا الشمالية، كما انتقل عبره في الاتجاه المضاد اسلاف الجمل والحصان اللذين يعيشان الآن في آسيا واوروبا. وجاء الانسان، الجد الاعلى للهنود الحمر والاسكيمو، في الموكب الاخير الذي اجتاز بيرنغيا عبر سهول التوندرا الشاسعة. وفي نهاية العصر الجليدي الاخير، ذابت الواح الجليد واطلقت مخزونها الهائل من المياه، فاختفت بيرنغيا تحت سطح الطوفان الصاعد، وكأنها اطلنطيك اخرى في البحر القطبي.

وهكذا ظهر الى الوجود مضيق بيرينغ، تتوسطه جزيرتا "ديوميد الصغرى" و"ديوميد الكبرى" وكأنهما محطتان على الطريق لهداية العابرين المتأخرين.

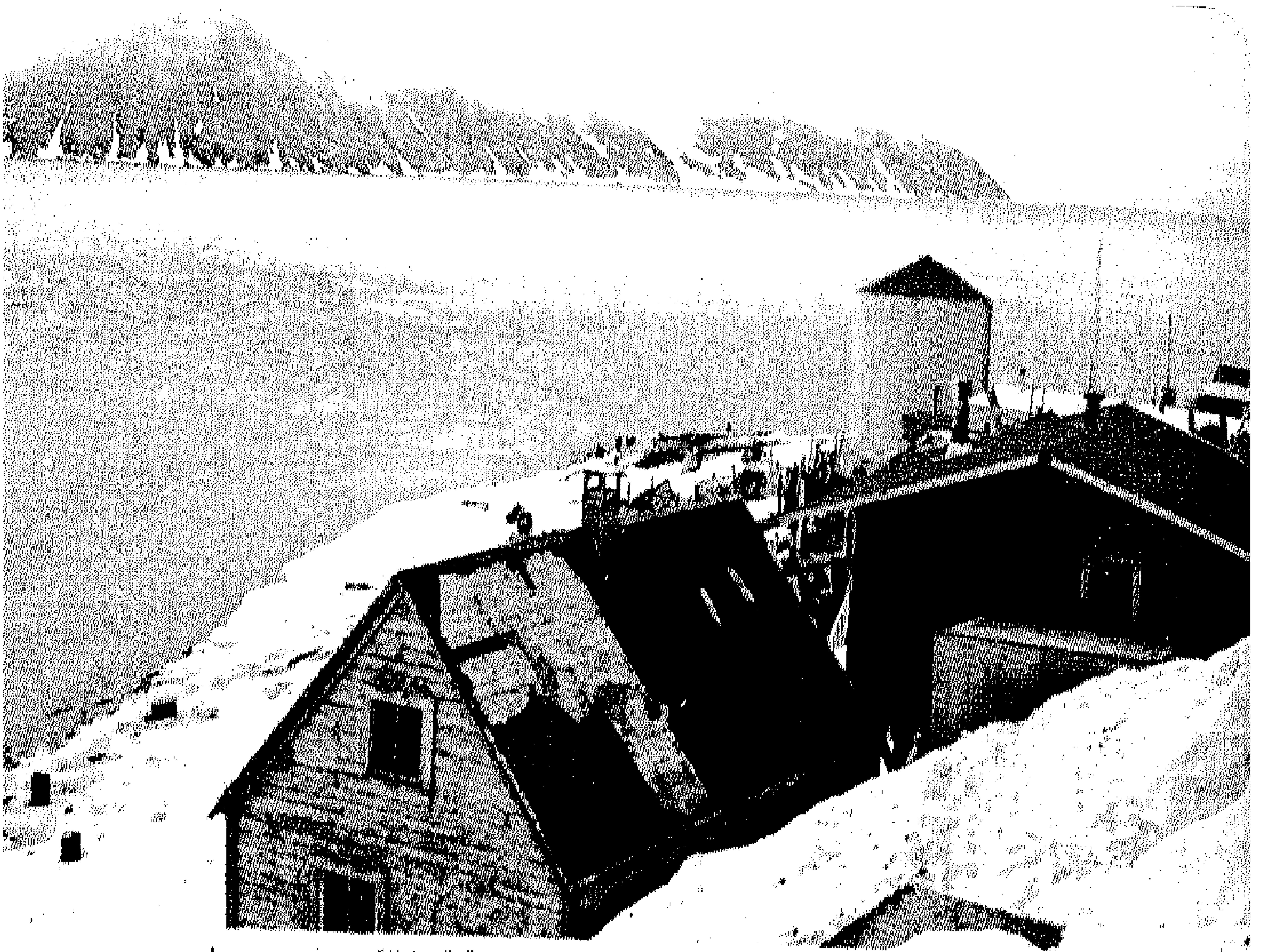
ويمضي التيار في هذه المنطقة مندفعا الى الشمال عبر مضيق بيرينغ، محملا بالمياه الغنية بالاملاح المعدنية، الى بحر تشوكتشي الضحل القليل العمق، حيث تتجمع ثروة غذائية تجتذب القطعان الضخمة المهاجرة كل عام من الحيتان القطبية والحيتان الرمادية وافيال البحر ومختلف فصائل الفقمة.

ولا مفر لهذه الحيوانات الكبيرة من ان تتجمهر معا في عبورها المضيق الذي لا يتجاوز اتساعه ٩٠ كيلومترا مما يجعله في فصلي الربيع والخريف جنة لصائدي الثدييات البحرية الذين لديهم الشجاعة الكافية لتعقب هذه الطرائد العملاقة في بحر عاصف يغطيه الضباب وتتلاطم فيه كتل الجليد المتزاحمة.

ولقد كان لسكان ديوميد الكبرى والصغرى موقع مثالي من جزيرتيهم لاستغلال تلك الثروة البحرية، معتمدين في ذلك على مهارتهم وجرأتهم اللتين تجعلان منهم حتى اليوم ابرع صيادي الفظ (الفوك او فيل البحر) والفقمة (عجل البحر). وقد قام هؤلاء السكان ايضا بدور الوسطاء في التجارة الرائجة حينذاك بين سيبيريا والاسكا. ذلك انهم كانوا يستعملون قوارب الاميك السريعة الرائعة المصنوعة من الجلود والتي لا تجارى على سطح البحر (يبلغ طول قارب الاميك ١٢ مترا وحمولته ٤٠ شخصا او خمسة اطنان من البضائع)، ولا تعدو الرحلة بها عبر المضيق ان تكون امرا يسيرا، ولا يستغرق عبوره بالمجاذيف والمراكب الشراعية اكثر من يوم واحد اذا كانت الريح مؤاتية.

وحين جاء المستكشفون في مطلع القرن التاسع عشر الى قرى الاسكيمو في الاسكا لزيارتها، وجدوا سكانها مزودين بما يكفيهم واكثر من البضائع التجارية الآسيوية.

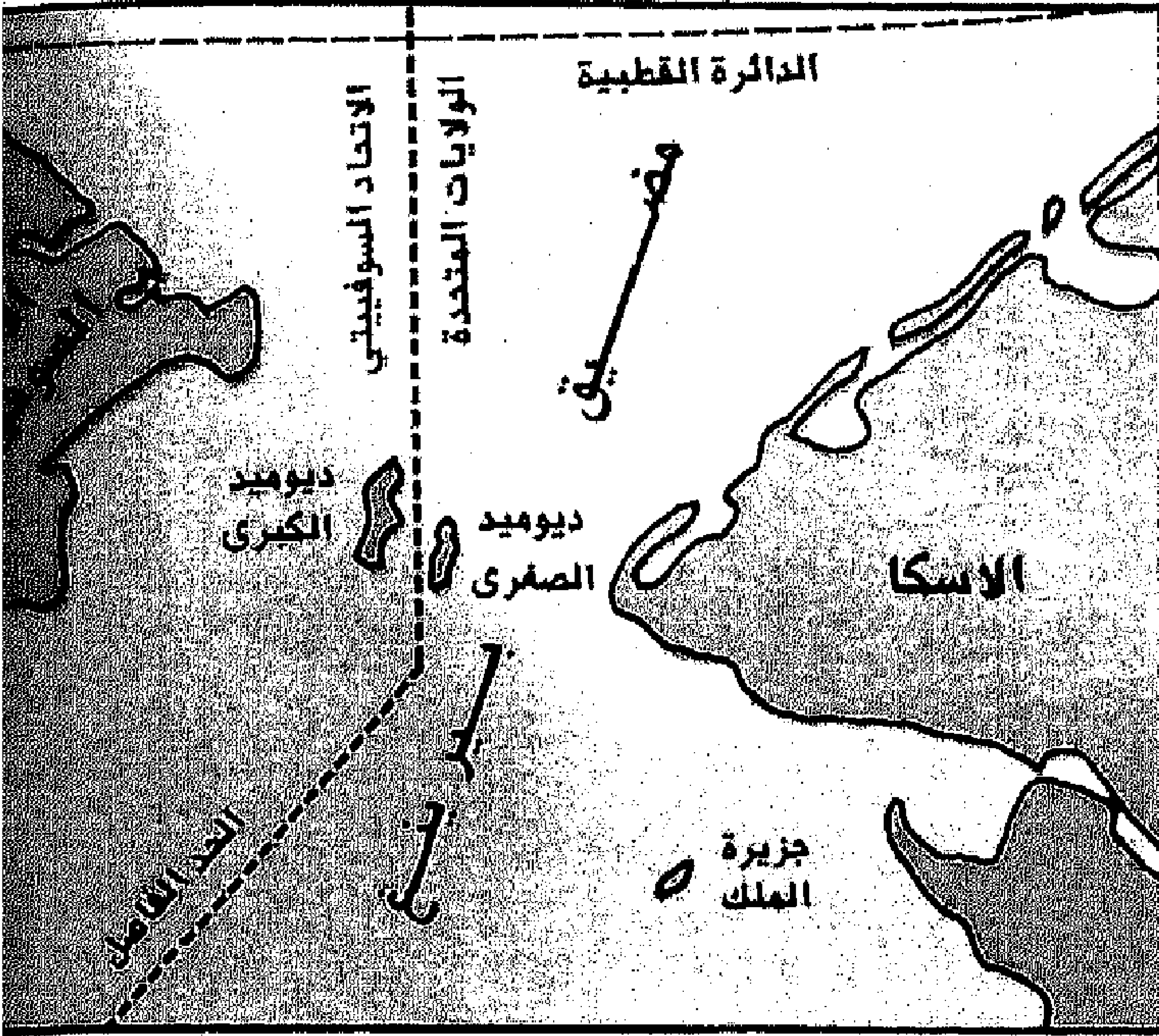
الصلات مع روسيا - ولعل من العوائق التي حالت دون التوسع في التجارة ان الاهالي الاسيويين واهالي الاسكا الاصليين كانوا في حرب دائمة مع



"ديوميد الصغرى" تتطلع عبر مضيق بيرينغ الى شقيقتها الكبرى في سيبيريا.

بعضهم البعض. وخلال فترة الحكم الروسي لالاسكا، منذ اكتشافها في عام ١٧٤١ حتى بيعها للولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٦٧، توقفت الحرب تدريجا وتزايدت حركة التجارة. وتنص معاهدة ١٨٦٧ المعقودة بين الولايات المتحدة وروسيا على ان خط الحدود بين الدولتين يمر في منتصف المسافة بين جزيرة "ديوميد الصغرى" وجزيرة "ديوميد الكبرى". وعلى الرغم من ان التجار الامريكيين منعوا اخيرا من ارتياد ساحل سيبيريا، فقد حافظ سكان جزيرة "ديوميد الصغرى" على صلاتهم بجيرانهم الروس، وكان لجميع السكان تقريبا اصدقاء واقارب على جانبي مضيق بيرينغ. وقد استمر اهل سيبيريا يزورون جزيرة "ديوميد الصغرى" حتى الثلاثينات من هذا القرن، كما استمر سكان جزيرة "ديوميد الصغرى" يبحرون الى سيبيريا كلما عن لهم ذلك، من دون اكتراث باي قيود، وهم كانوا يفعلون ذلك عادة مرة كل عام للاتجار بالفراء والعاج.

الا ان هذا الوضع في الشؤون التجارية انتهى فجأة عام ١٩٤٨، حين امتدت امواج الحرب الباردة الى جزيرتي ديوميد. ففي صيف ذلك العام ابحر ١٨ شخصا من سكان "ديوميد الصغرى" لزيارة جيرانهم في "ديوميد الكبرى"، فقبض عليهم بمجرد وصولهم وظلوا محتجزين لمدة ٥٢ يوما تعرضوا فيها لشتى



التحقيقات والاستجوابات الطويلة، واقتصر غذاؤهم على الخبز الاسود والحساء المائي. ولم يطلقوا الا بعدما بلغ الامر مسامع وزارة الخارجية الامريكية فتدخلت للافراج عنهم فعادوا الى جزيرتهم، والجوع والغضب يضطرمان بين جوانحهم.

وبعد هذا الحادث بفترة قصيرة اعادت السلطات السوفييتية توطين الاسكيمو من سكان جزيرة "ديوميد الكبرى" على الساحل السيبيري.

وظلت القطيعة تامة بين مجموعتي الاهالي على مدى ربع قرن تقريبا، حتى بلغ الانفراج الدولي اخيرا جزيرتي ديوميد. فاثناء اقامتي على جزيرة "ديوميد الصغرى" من ابريل (نيسان) الى يوليو (تموز) ١٩٧٥، فوجئنا ذات يوم من ايام الربيع برؤية بائنتين داكنتين مقبلتين عبر الجليد من الغرب، لا تكادان تظهران وسط الثلوج التي تذروها الرياح. وتدافع نصف سكان القرية متزاحمين الى زحافات الجليد وتسابقوا الى ملاقاة الزائرين اللذين اقبلا وكل منهما يرتدي سترة ضخمة من الفراء وسراويل من جلد الفقمة. وتبين انهما شابان بشوشان يدعيان فيكتور وفولوديا وينتميان الى احدى مزارع الدولة في سيبيريا، وقد اوفدتهما المزرعة لاقتناص الثعالب القطبية واصطياد الحيوانات لتوفير اللحم الطازج لحرس الحدود السوفييت المتخذين مركزهم على جزيرة "ديوميد الكبرى".

وكان الزائران يتكلمان لهجة غريبة جعلت التفاهم صعبا مع مضيفيهما، فتغلب الجميع على المشكلة بتبادل الحديث بالروسية والانكليزية، واستخدموني للترجمة بين الطرفين. بدأت بالتساؤل عما سيقوله حرس الحدود السوفييت عن رحلة الشابين للقاء الديوميديين فرد فيكتور وهو يلوح بيده مستهينا وكأنه يطرح الحرس جانبا: "اوه! هم! انهم لا يحبون ذلك، ولكن ما الذي يقدرون عليه، نحن صيادون نرتحل مسافات شاسعة، فكيف يمكنهم ان يتتبعوا خطانا؟ قالوا: "اذهبوا للقاء هؤلاء، هناك، ولكن كونوا حذرين فاننا لا نريد المتاعب!"

فنانون في صناعة العاج - يقول اهل جزيرة "ديوميد الصغرى": "ان العاج هو ذهبنا". فهو اساس اقتصاد الجزيرة، بل هو بمثابة عملتها الى حد

ما. ومعظم الرجال من سكان الجزيرة وعدد من نسائها، يجيدون النقش على العاج على نحو ممتاز. ويقبل متجر الجزيرة من اهل القرية العاج الخام والعاج المنقوش بدلا من النقود نظير ما يشترونه من الطعام والذخيرة والغاز او زيت الوقود. كما يمكن تسديد بدل المكالمات الهاتفية نقدا او بالعاج. وفي ليالي "البنفو"، اللعبة التي تعتبر من الهوايات الغالية لدى السكان، تدفع قيمة غالبية الاوراق بقطع العاج المنقوش. وتقدر قيمة زوج اسنان الفظ في نظر النقاشين من الاسكيمو، بعد النقش ما بين ١٢٠٠ و١٥٠٠ دولار.

ويعيش سكان جزيرة "ديوميد الصغرى" على نظام غذائي متنوع وصحي وتقليدي في جانبه الاكبر، تتألف عناصره الاساسية من لحم الفظ ودهنه. ويدخل زيت الفقمة في معظم الوجبات، ويعتبر المادة الرئيسية لحفظ الاغذية. ويجمع السكان بيض الطيور خصوصا بيض المور من طيور البحار الجنوبية بالآلاف في بداية الصيف، ويخزنونه منقوعا في الزيت نيئا او مسلوقا، فيتمكنون بذلك من حفظه قرابة عام كامل، كما يتمكنون من حفظ الطيور في حفر جليدية او يسلقونها ويخزنونها منقوعة في الزيت. ويبقي السكان شحم الحيوانات البحرية الضخمة حتى "ينضج" ويصفر لونه، ثم ينقعونه في زيت الفقمة ويستخدمونه مع الطعام كنوع من المشهيات. ويعد "الكبد المر" من مأكولاتهم الشهية فهم يأخذون الكبد النيء لعجل البحر ويتركونه بضعة اسابيع في طبق خشبي واسع بالقرب من الموقد حتى يتحول الى سائل بني لاذع الطعم، فيه شيء من مذاق الخل.

ويجمع سكان الجزيرة ويأكلون اصنافا متنوعة من النباتات الخضراء وسيقان النباتات وجذورها واعشاب البحر وانواع التوت البري. ولكن بقاءهم ونجاحهم يعتمدان الآن، كشأنهما في الماضي، على مهارة السكان وجرأتهم في الصيد والقنص وعلى قواربهم الرائعة المصنوعة من الجلود والمكسوة بطبقة من جلد فيل البحر المشقوق الذي يبلغ سمكه ٢٥ ملليمترا. وتبدأ صناعة القارب بخياطة عدد من الجلود ثم فردها على الهيكل وشدها اليه بسيور من جلد فيل البحر. وثمة شراع عرضه متر واحد من قماش القنب السميك (كان يصنع قبلا من جلد عجل البحر ايضا) يبقى مطويا عند شفير القارب (حافته العليا) متى يكون البحر هادئا، ويفرد ويرفع على مجاذيف واعمدة حول القارب لوقايته من رذاذ البحر العاصف. وتكسى الكيلة (قعر الزورق) بعظام فك الحوت الناعم والدقيق التعرق الذي يسهل معه انزلاق القارب عبر الجليد. وقد اصبحت كيلة القوارب الجديدة تكسى الان بخرطوم "الفينيل" الذي يؤدي الغرض نفسه. وهذه القوارب التي تدفعها محركات قوة كل منها ٤٠ حصانا، تعتبر غير قابلة للغرق، ولا يتردد اهل جزيرة ديوميد المعروفون بجرأتهم عن الابحار بها في أي جو تقريبا، سواء أكان عاصفا ام ضبابيا، بل وحتى عندما يكتظ البحر بكتل الجليد المتسارعة المتلاطمة.

ولئن كانت هذه القوارب مزودة عادة ببوصلات بحرية، الا ان الضباب

والتيارات القوية وتعرج طرق الصيد كثيرا ما يستصعب معها البحارون، عند عودتهم، الاهتداء الى جزيرتهم ثانية، نظرا الى صغر حجمها وسط المضيق الكبير، فيلجأون اذ ذاك الى اطلاق النار في الفضاء، لعل رجع الصدى من البر يرشدهم اليها، كما انهم يعاينون اتجاهات الطيور او مسار الجليد الطافي. فاذا لم يلقوا نتيجة من كل ذلك تفيدهم عن معرفة موقعهم بالضبط، اوقفوا محركات قواربهم توفيرا للوقود، وتركوا القوارب تطفو على وجه الماء، وناموا متلاصقين نشدا للدفء في الجو البارد الرطب، وانتظارا لانقشاع الضباب، واذ اعيتهم الحيل جميعا، عمدوا الى الابحار نحو الشرق، لانهم كما يقولون، لن يخطئوا بلوغ البر.

الصيد الكبير - يبدأ الربيع هادئا، فالرجال ينحتون العاج او يصطادون عجول البحر على الجليد الطافي، بينما يقضي النساء والاطفال ساعات طويلة من الصبر والاناة في صيد الحيوانات البحرية خلال ثقوب يحفرونها في الجليد. وفي شهر مايو (ايار) تفد الحيوانات والطيور المهاجرة عن طريق البحر والجو، ومثال ذلك ان قرابة ٢٠٠٠٠ طائر من غرانيق التلال وربع مليون طائر من لوز الثلوج تطير عبر مضيق بيرينغ في هذا الوقت، متجهة الى مواطن توالدها في سيبيريا، فيمتلىء الليل القطبي المضيء بصيحاتها العالية الملحة. وتجيء في المقابل من آسيا اسراب الطيور الصغيرة، كطائر الهزاز والمنشد القطبي وغير ذلك، قاصدة مواطن توالدها في الاسكا. وقد حدث لنا مرة ان كنا تائهين في الضباب نطفو نحو الشمال، في اتجاه بحر تشوكتشي، واذ بطائر صغير ضائع مثلنا قد هده التعب، فحط على قاربنا، وقد حرص الجميع على عدم ازعاج الضيف المنهك الصغير، فظل يؤنسنا بوجوده اللطيف الى ان بدت اليابسة على مرمى البصر.

وفي شهر مايو (ايار) ايضا تصل الطيور البحرية لتتوالد فوق جزيرة "ديوميد الصغرى"، مئات الالوف من طائر البطريق الصغير وعشرات الالوف من طائر البطريق المتوج ومن طيور الغرياق والميور، والجلموت وغيرها. وفي شهر يونيو (حزيران) تصل افيال البحر ويبدأ الصيد السنوي الكبير. وينعت الديوميديون يونيو (حزيران) بالشهر الذي لا ينام فيه الناس. وتمر الحيتان، ولكنها نادرا ما تطارد، لان اهل ديوميد بحكم تقاليدهم يميلون في المقام الاول الى صيد افيال البحر.

والصيد مرتفع التكاليف، فهو يكلف كل قارب ما بين ٣٠ و ٤٠ دولارا يوميا ثمنا للوقود، ويتحمل ربان القارب هذه التكاليف اضافة الى ثمن الجانب الاكبر من الطعام، ولكنه يحصل على نصيب اضافي من العاج يستعيض به عن جزء من هذه التكاليف على الاقل. وقد ينفق كل فرد من الملاحين نحو ٢٠ دولارا يوميا ثمنا للذخيرة التي يستهلكها. وفي اثناء الصيد، يتشاور الربان عادة مع جماعة الملاحين ولكنه صاحب الرأي الاخير. وكثيرا ما يبقى معظم الملاحين الصيادين مجموعة واحدة على مدى سنوات متزاملين في السباق الخطر بين كتل الجليد الطافية وافيال البحر الحانقة، عاملين معا في فريق ماهر، متكامل، قدير.

وفجأة، ينتهي كل شيء، وتمر آخر الذكور الضخمة من افيال البحر، وتزدحم المناشر الكبيرة في جزيرة ديوميد بشرائح اللحم الضخمة المجففة، وتكتظ المخازن باللحم المدخر، ويقتسم البحارون ما احرزوه من العاج وعظام الاصلاب، التي يشتد عليها اقبال السياح وتباع الواحدة منها بقرابة ١٠٠ دولار في الاسكا وعندها يصفو الجو، ناعما بالدفء وتحلو المياه باليسر الرخي.

ومع ذلك، فلن تنقضي بضعة اسابيع حتى يغادر معظم السكان جزيرتهم، قاصدين الاسكا لزيارة الاقارب في الجنوب، او للعمل في خط انابيب البترول. ويطول غيابهم ما بين شهرين وثلاثة اشهر، حتى مستهل سبتمبر (ايلول) اذ تبدأ العواصف تلذع البحر بسياط الرياح، فيعودون الى جزيرتهم كالطيور المتقاطرة الى مجاثمها.

ويعود الصيد لفترة قصيرة في الخريف، عندما تعود افيال البحر باعداد قليلة يندر معها ان يكون الموسم مزدهرا. ثم لا تلبث عواصف الخريف ان تزمجر برياحها الهوجاء فوق المضيق وتتساقط الثلوج من الشمال، وتغمر العزلة مرة اخرى سكان "ديوميد الصغرى" فوق صخرتهم الموحشة العائمة بين عالمين.

■ فريد برومير

زار فريد برومير المنطقة القطبية الشمالية للمرة الأولى عام ١٩٥٧، وتكررت زياراته لها منذ ذلك الحين، وعاش مع عدد من اهلها الاصليين مسجلا حياتهم وثقافتهم. وقد الف خمسة كتب عن المنطقة القطبية الشمالية اما بيته "الجنوبي" فهو في مونتريال.



على الطريقة الالمانية

كانت معركة كريت عام ١٩٤١ اولى العمليات الحربية التي شهدها الروائي الانكليزي ايفلين ووغ، لكنه ابدى فيها شجاعة ورباطة جأش احدثتا اثرا عميقا في نفس قائده بوبي لايكوك. وحين ركب الاثنان بعد ذلك باخرة مزدحمة ليعودوا الى الاسكندرية، سأله لايكوك عن انطباعاته عن اولى معاركه هذه، فقال ايفلين: "كانت شبيهة بالاوبرا الالمانية، اطول مما يجب وعالية الضجيج اكثر مما يجب".

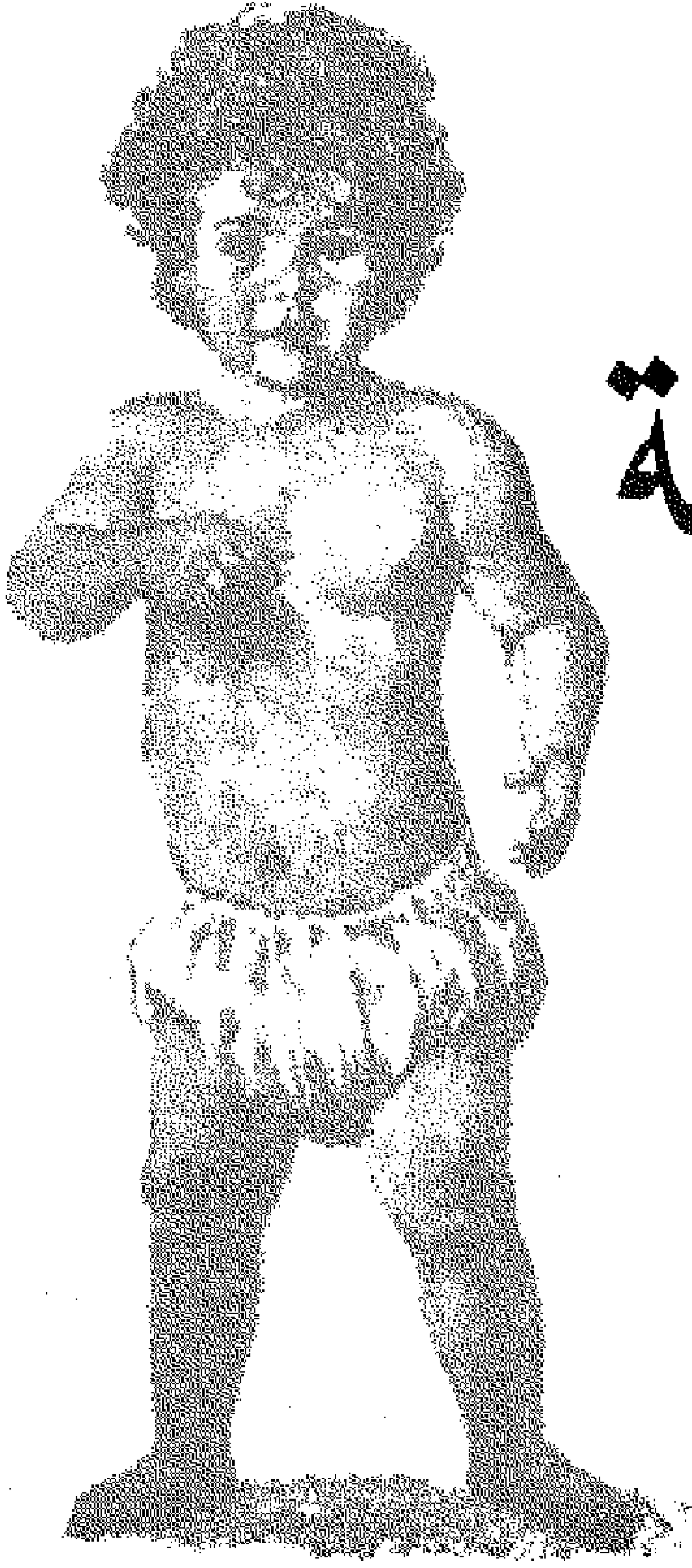
ك. س.

يتلقى الشباب كثيرا من اللوم لانهم يظنون ان العالم يبدأ بهم، غير ان الشيوخ اكثر اقتناعا بأن العالم سينتهي بهم.

ف. هـ.

ان نوع المستقبل الذي ينتظر اي مجتمع لا يتوقف على مدى اقتراب تنظيمه من الكمال، بل على درجة المثالية التي يتمتع بها كل فرد من اعضائه.

البرت شفايتزر



مـأسـاة واقعيـة

...وانقضّت الحيّة على الطفلة ولدغتها في ساقها

"... ورأيت من داخل المنزل مذعورا وعاجزا، ابنتي الصغيرة تدرج مباشرة في اتجاه الافعى المجلجلة، الملتفة على نفسها".

قارب النهار الاصيل، والجو لا يزال حارا خانقا في ذلك الاثنين ٢٨ اغسطس (آب). كانت زوجتي سوزي تعد العشاء في مطبخ بيتنا في ضواحي لوس انجيلوس، بينما وقفت خارج البيت اراقب ابنتنا دينا البالغة ٢٢ شهرا، واذ بزوجتي تناديني لمكالمة تلفونية. وبينما كنت اتحادث مع مخاطبي، نظرت من النافذة فشاهدت دينا تسير في الفناء نحو حصانها الهزاز.

وفجأة وقع نظري على افعى مجلجلة، بنية من النوع الذي يحدث صوتا كالجرس لدى تقلبه، ولم تكن دينا ابصرتها بعد. وراحت الافعى تتحرك وتتنصب امام الشجيرة الخضراء، وتستعد للدغ فريستها، وقد تعادل طولها مع طول دينا. وكانت الصغيرة لاهية، لا تبالي، وتبتسم لي من البعيد، عندما انقضت الافعى عليها مرة، ثم اخرى، فعلا صوت الاستغاثة الصارخ على وتيرة متقطعة ودوى في ذلك الجو الخانق، المثقل بالاسى.

وسرعان ما توشح وجه دينا بعلامات الارتباك والاضطراب، دلائل البراءة امام الغدر. وجمدت زوجتي الى جانبي، وفي صدرها نبرات كالحشرجة. ثم اندفعنا الى الفناء بينما كانت الحية تنساب عبر السياج. وعندما حملنا دينا الى المطبخ، كانت اصواتنا محتبسة في حناجرنا وكنا نهتز ارتعاشا بالترقب الملح. ونتساءل:

- "اين هو موضع اللدغ"؟

ونجيب: "هنا، انظر، في باطن فخذها".

تركت اللدغة اثرين بائنين

منفصلين، ينز منهما دم جديد كلما خفق قلب دينا. وعندما بدأنا نشق ساق الطفلة لامتصاص السم، علا صراخها خوفا والما. وقلت: "لا بد لنا من تهدئة اعصابها والا ازدادت دقات قلبها وتفاقم تدفق الدم منه".

وذهبت زوجتي الى الهاتف وطلبت المركز الطبي في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، وشرحت الحادث والضرورة القصوى لمعالجته، ثم قالت: "ها نحن في طريقنا الى المركز". واخذنا منشفة ولففناها على ملعقة خشبية، وجعلنا منها رباطا ضاغطا لوقف النزف من باطن فخذ دينا الايسر، ونقلناها الى السيارة.

كانت الشوارع مكتظة بالسيارات حتى الذروة، وقد استولى علي الغضب والذعر من جراء ذلك، ونحن نتحرك ببطء شديد وسط رتل طويل من السيارات المتلاصقة. واعتصر قلبي احساس يقيني مروع بان ابنتنا ستموت

وعندما وصلنا اخيرا الى المركز الطبي، بعد عشرين دقيقة، انتزع احد الاطباء المقيمين دينا من ايدينا ومنعنا من دخول غرفة الطوارئ، وكنا نسمع من وراء الابواب نحيب دينا يرتفع صراخا ثم يخفت من جديد. ثم عاد بها الطبيب المقيم، ملفوفة في بطانية المستشفى وحملها واسرع بها الى المصعد وهو متجهم الوجه.

وسألته: "الى اين تأخذها؟"

"الى قسم الاطفال، وحدة "العناية الفائقة".

ومضت ساعات جاء بعدها الطبيب المسؤول الدكتور كحيل ليتحدث الينا: "لا استطيع ان أؤكد لكم انها ستنجو، فهي صغيرة جدا، ولسنا نعرف بالضبط كمية المضاد لسم الافعى التي يمكن ان تتحملها، ولكننا سنراقبها عن كثب ونزودها بكل العناية اللازمة. ان دخول وحدة "العناية الفائقة" ممنوع، فلماذا لا تحاولان اخذ قسط من النوم؟".

لن اترك ابنتي - وقالت سوزي: "لن اترك ابنتي". وقبل ان يتمكن احد من منعها قطعت الردهة عدوا ودخلت "العناية الفائقة". وهناك، وقفت عند الجزء الادنى من سرير دينا، ولفت ذراعيها حول قضبانه، ولم يفلح احد في اقناعها بان تغادر القاعة.

وقال الدكتور كحيل: "لنعقد معا اتفاقا، ساضع لكما مقعدين خارج الباب، وساطلعكما على آخر تطورات حال دينا كلما استطعت ذلك".

وقضينا الفترة التالية بين وقوف وخطى حائرة، وفي عدا ذلك كنا نجلس وجها لوجه نرقب اندفاع الممرضات، داخلات خارجات، يحملن عشرات الزجاجات وادوات الحقن واخيرا خرج



الدكتور كحيل ليقول لنا:

"لقد تبين لنا، من كل ما استطعنا معرفته عن الحالات المماثلة، ان الفترة الخطرة هي فترة الثماني والاربعين الساعة الاولى. فاذا قويت على الصمود حتى نهاية هذه الفترة كتبت لها النجاة".

وفي الساعة الحادية عشرة اطفئت انوار الردهة، وتذكرنا انه لا مكان لنا في جناح الاطفال. وتناهت الينا في الردهة اصوات بكائهم، وصراخ بعضهم وهم يطالبون بذويهم الغائبين.

وقامت سوزي من مقعدها قائلة: ستحتاج دينا الى "بوه"، دبها الصغير الذي لا يفارقها ابدا.

وقلت، وقد خفف عني انني ساستطيع المساعدة باي شيء: "ها انذا ذاهب الى المنزل لآتيها به". وفي طريقي، وانا مختل بنفسي في سيارتي، تركت العنان لخوفي وانطلق من صدري نشيج عاجز متقطع.

وفي صباح اليوم التالي، قال لنا احد الاطباء: "اعتقد ان حالها في تحسن واضح، وانما لا بد لنا من الانتظار يوما آخر لكي نتأكد الامر، فربما كان للعلاج المضاد للسم الذي نستعمله بعض المضاعفات".

كنا، سوزي، وانا، قد قررنا ان نتناوب السهر على دينا، كل اربع ساعات. وعندما عدت عصر ذلك اليوم الى المستشفى لا تسلم نوبتي، وجدت ان زوجتي قد حصلت على الترخيص لنا بالجلوس داخل وحدة "العناية الفائقة". ولاحظت من كرسي الى جانب سرير دينا ان في ساقها اليسرى ورما مروعا وزرقة واضحة. وكانت تتغذى بحقن مستمر في الوريد، ولكنها بذراعها الاخرى كانت تضم بشدة الى صدرها صديقها الدب "بوه". وفي كل ساعة، كانت الممرضات يراجعن كل المؤشرات الحيوية: درجة الحرارة وضغط الدم والنبض. اما الورم الواضح في ساقها، فكان يتزايد ساعة بعد ساعة. ثم ارتفعت درجة حرارتها عندما دخل السم مع العلاج المضاد له في صراع حياة او موت. وامتدت الزرقة من فخذها حتى قدمها، بل وتسربت ايضا الى بطنها وقفصها الصدري.

الخطر باق - وفي التاسعة من صباح الاربعاء، حلت نهاية الساعات الثماني والاربعين الحاسمة، وما تحمله من امل في النجاة. وكانت ابنتنا لا تزال على قيد الحياة. لكن الدكتور مايو طبيب الاطفال الذي يعتني بدينا نبهنا الى: "اننا لم نتجاوز بعد مرحلة الخطر. وربما استلزم الامر بتر الساق".

وفي صباح الخميس ازاح الدكتور كحيل الرباط الضاغط عن فخذ دينا لكي يعاين حال الجرح، وقلت له وكأنني اتحداه: "ان الورم يتناقص، اليس كذلك؟ "من دون ان اجرؤ على النظر بنفسي الى الجرح.

وصمت الدكتور كحيل برهة ثم قال متنهدا: "اجل"، واشار الى علامة رسمت بالقلم وقال: "هذه علامة الورم امس، واما اليوم فقد وصل الى هنا".

الورم اذا ينحسر. ورفع الطبيب بصره الينا وابتسم ابتسامة عريضة.

وفي تلك العشية، عندما عدت الى طابق الاطفال، رأيت سوزي منكفئة على نافذة الردهة خارج غرفة "العناية الفائقة". وكانت احدى

الممرضات واقفة الى جانبها وتحيط كتفها باحدى ذراعيها . وما ان رأتني زوجتي حتى اقتربت مني وهي ترتعش وتبكي . وامسكت بمعصمي وقالت بصوت خافت: "يجب ان نصلي . فقد توقف قلب دينا . ربما ماتت".

قبل ذلك بقرابة ربع ساعة، كانت سوزي قد انتهت من تلقيم دينا اول وجبة طعام تتناولها منذ حادثها المشؤوم . وكان الطبيبان كحيل واولسون يراقبانها فخورين مبتهجين . وفجأة سعلت دينا مرتين . ثم زاغت عيناها ، وارسلت زفرات بطيئة عميقة . وعلى الفور حمل اولسون الطفلة وانطلق بها خارج الغرفة . ودوى في الردهة رنين جرس عال... وهو النذير بتوقف قلب المريض عن الخفقان . واسرع الى الغرفة طبيبان من اختصاصيي القلب ، وراحا يحاولان تنشيط القلب عن طريق التدليك .

انتعش القلب – وعند ذاك خرج كحيل من وحدة "العناية الفائقة" ووافانا عند النافذة قائلا : "لقد عاد القلب الى الخفقان . ولكنها تعاني ضعفا شديدا . وكل ما استطيع ان اقوله لكما هو ان الطبيبين اللذين معها لا يفوقهما احد . وانهما يبذلان كل ما في وسعهما".

ثم دنا منا رجل ضخم البنية يتصبب عرقا وقدم نفسه الينا ، قائلا : "انا الاب كيلي... انني قس اسقفي" . وتشابكت ايدينا نحن الثلاثة في شبه دائرة ورحنا نردد الدعاء وراءه . ولئن كنا انا وسوزي لم ندرج على التردد الى الكنيسة ، الا اند كان لابتهال الاب كيلي تأثير عظيم علينا ، فاتكلنا عليه ، ونفوسنا مفعمة بالرجاء والعرفان .

واخيرا سمحوا لنا برؤية دينا . وكانت بين الغيبوبة والوعي ، بينما الدم ينقل الى عروقها من زجاجة معلقة فوقها . وسألت: "كيف حدث ذلك؟" واجابني احد الاطباء: "لعل قطعة من الطعام انحشرت في حلقها . نحن لا نعرف على وجه التأكيد".

واستأنفنا ، سوزي وانا ، عيادتنا لها طوال الليل ، ونحن بين اليأس والرجاء . لم يكن في وسعنا ان نفعل لها شيئا ، وانما كان لنا اعتقاد عنيد بائس انها لن تموت ، ما دام احدنا الى جانبها .

وفي اليوم التالي ، لاحظت ان دينا تتنفس بصعوبة وحشرجة . وتبين للاطباء في ما بعد ان تدليك القلب احدث فجوة هوائية فوق الرئة ، واجريت لها جراحة لادخال انبوبة في الرئة تحسينا للتنفس .

وكنت اترقب ما يشير الى تحسن حالها ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث . وظلت دينا مربوطة باجهزة الانعاش ، وعيناها زائغتان . وبعد انقضاء يومين نزعت الانبوبة ووضعت دينا في خيمة الاوكسيجين . ولاحظت ان صلابة جسمها اصبحت اشد وان السواد اخذ يغلب على ساقها المصابة .

وكانت في غيبوبة تحدق عيناها بانشداد في عيوم من الضباب .

ومساء الاحد اضطرب تنفس دينا . وقال الجراح بصوت وديع: "سنفتح ثقبا في القصبة الهوائية لكي ينتظم تنفسها من جديد . انني اجهل سبب هذا الاضطراب . لعله استسقاء رئوي . على كل حال لن تستغرق العملية اكثر من ٤٥ دقيقة".

وحملوا دينا من غرفة "العناية الفائقة" وهي في سريرها وفي فمها انبوبة وعلى وجهها دماء متجمدة. وكانت عيناها مغمضتين.

وبينما كنت جالسا وحدي في غرفة الممرضات، اخذت اتصفح مرجعا طبيا، فلفتتني فقرة بعنوان: "الاستسقاء الرئوي" وكانت العبارة الاخيرة في الفقرة تقول: "وعادة ما يؤدي الى الوفاة..."؟ وسرت في مخيلتي صورة دينا كما رأيتها آخر مرة. ومضت ساعة. ثم سمعت صوت باب يفتح بعنف، ورأيت الممرضين في زيهم الاخضر يدفعون سرير دينا بسرعة عبر الردهة. ثم توقفوا عند باب "العناية الفائقة" وادخلوا السرير في الغرفة. واستطعت ان ارى خصلات شعر دينا الحمراء قبل ان تختفي عن ناظري. وحدثت نفسي قائلا: "انها على قيد الحياة!" ثم كررت بصوت عال: "انها على قيد الحياة!"

وفي الثامن عشر من سبتمبر (ايلول) بعد الحادث بثلاثة اسابيع، رخص لنا بان نحمل دينا ونضمها الى صدورنا للمرة الاولى. وبعد اربعة ايام عدنا بها الى بيتنا.

ان دينا لا تعي اليوم ما حدث لها. ولولا التورم الخفيف وندب الجرح في باطن فخذها الايسر لما كان هناك اي دليل على وقوع الحادث. لكن سوزي وانا نتذكر جيدا ما حدث، نحن، وبعض الاصدقاء، وربما ايضا عدد من الذين كان لهم الفضل في انقاذها. فاليهم جميعا اوجه ما كتبته هنا، فهو رسالة محبة وعرفان اليهم جميعا.

■ **برادفورد ديلمان**

(ممثل مسرحي وسينمائي امريكي شهير).

عندما وصل النقاش ليتولى دهان منزلنا، بدا عليه الأسف حين لاحظ ان والدي ضرير. وعلى رغم ذلك فقد دارت بين الاثنين محادثات طويلة وممتعة خلال الايام التالية، ولم تصدر من الرجل اي اشارة الى حالة ابي.

واخيرا انتهى العمل، وقدم النقاش فاتورته وقد اجرى فيها حسما واضحا. وحين سألته عن سبب ذلك قال وهو يضحك: "هذا من اجل ابيك. فلنقل انني حسمت مبلغا نظير ما خففه علي من عناء العمل".

ب.ج.

كان صبي صغير يقوم مع اصحابه بلعبة رعاة البقر والهنود الحمر، فانضم اليهم تلقائيا كلب ضخم متحمس، لم يلبث ان اوقع الصبي ارضا، فجاءت امه مسرعة تسأله بلهفة: "هل عضك الكلب؟".

فقال الصغير باكيا: "كلا، لكنه تذوقني".

ج.ب.

اتصلت سيدة بزوجها في عمله لتنبئه بان محرك السيارة قد تسرب اليه الماء.

فقال الزوج: "سأتصل بمن يصلحه، فاين السيارة الآن؟".

فردت الزوجة: "انها ترقد في النهر".

ج.ب.

شارلي شابلن أَدخل الفرح الى قلوب الملايين



منذ عام غاب الكوميدي المتشرد الذي جعل من اضحاك الناس تقنيـة تتجـاوز حـدود البـلاد واللغات.

ولد شارلي شابلن في لندن سنة ١٨٨٩، من اب سكير وام كادت ان تكون على عتبة الجنون.

اثنتان من سني حداثته قضاهما في بيوت البر ودور الايتام حيث عانى ضرب السياط والاذلال. لكنه، نتيجة لاحتراف التمثيل في السن الخامسـة كولـد شقـي يتسكـع فـي الشوارع خالي الوفاض، اصبح، في السن الثامنة والعشرين، احد اوائل نجـوم السينمـا الامـريـكـيـة ذوي الملايين.

وكممثـل وكاتـب ومخـرج ومنتـج للافلام الصامتـة فـي مطلـع القـرن العشرين، نال شهرة لتشخيصه دور "المتسكع الصغير" المتجول ابتغاء للتسول او السرقة، في اعمال من الطـراز الاول مـثـل "الـذراعـان المتـدليـان"، "الـولـد"، اضـواء المدينة"، "الهجوم على الذهب"، "العصر الحديث". وحين مات في الثامنة والثمانين، كانت ثروته ٤٠ مليون دولار، وكان، كما كتب احد النقاد، "قدم اكبر مقدار من الفرح والضحك الى اكبر عدد من الناس - وهو ما لم يفعله اي شخص آخر حتى الآن".

ان شارل سبنسر شابلن، المتشرد الكوميدي الصغير الذي واجه، في الوقت نفسه، مقدارا عميقا ومأسويا من الظلم والاضطهاد، نال اعجاب الناس في كل جزء من الكرة الارضية. فأفلامه الثمانون لا تزال تعرض في استمرار. وحتى اعمالـه الكوميديـة التي تعود الى ١٩١٤ و١٩١٧ لا تزال تعرض على اساس تجاري، اي ليس كآثار متحفيـة بـل كاعمـال تسليـة حديثة. وهي هي هذا تتفرد على الصور المتحركة التي تعود الى ذلك الوقت. ويقدر ان ٣٠٠ مليون شخص شاهـدوا كـلا مـن اعمـال شـابلـن الكوميدية.

(ثيودور هاف، "مجلة بيوغرافر")

لولا صوت امه - عبقرية شابلن كمسل كانت واضحة منذ البداية. وهو كتب في سيرته ما يأتي:

"انا مدين لتدهور حال الصوت لدى امي في ظهوري الاول على المسرح في الخامسة من عمري. وكانت امي تحيي الحفلات في مسرح متخلف، يقـدم ضـروب التسليـة، خصـوصـا للجنود. وكان هؤلاء زمرة مشاكسة، تنتظر اوهى المبررات للاسترسال في السخرية.

واذكر انني كنت واقفا في احد اطراف المسرح، حين بح صوت امي واستحال الى ما يقارب الهمس. فاخذ النظارة يضحكون ويطلقون صيحات الاستهجان، مما اضطـر امـي الـى التنحي عن خشبة المسرح. وما كان من المدير، الذي سبق ان رآني امثل امام اصدقاء امي، الا ان فاتحها في مسألة السماح لي باستكمال دورها. واذكر انه قادني باليد وسط الجلبة، ووجه الى الجمهور بعض الكلمات الايضاحيـة وتركـنـي وحـدي علـى الخشبة. ووقفت قبالة اضواء الخشبة الامامية، والوجـوه المتوهـجـة وسط الدخان، وبدأت أؤدي اغنية يعرفها الجميع.

وفي منتصف الاغنية انهمر وابل من النقود على خشبة المسرح. فتوقفت على الفور واعلنت انني سألتقط قطع النقود اولا، ثم اعود الى الغناء. فأثار كلامي موجة من الضحك. وبعدها تكلمت الى الجمهور، ورقصت، وقمت بعدة تقليدات، منها تقليد امي وهي تغني لحنها العسكري الايرلندي. ولدى تكراري لازمة النشيد، قلدت بمنتهى البراءة صوت امي الاجش، ودهشت للوقع الذي احدثه على الجمهور. فقد علا الضحك والهتاف، ورميت بقطع نقد اخرى. وعندما تقدمت امي الى المسرح لتأخذني، اثار حضورها تصفيقا حادا. وشهدت تلك الليلة ظهوري الاول على المسرح وظهور امي الأخير".

كانت شخصية "المتسكع الصغير" التي خلقها شابلن، ذاك الحدث الذي استهل به عمله السينمائي الضخم الذي استمر ٥٢ سنة. فقد ولد المتسكع سنة ١٩١٤، اي بعد اربع سنوات من هجرة شابلن الى امريكا. ويروى ان منتج شابلن الجديد ماك سينيت، كان يبحث عن شخصية روائية فذة، او زي بارز او طراز له طابعه الخاص لكي يصب فيه شابلن الخام ويستخرج منه شابلن النجم. وادار شابلن نظره في حجرة الملابس المسرحية، فرأى سروالا ضخما متدليا على كرسي فأخذه وهو، الذي يزن ٦٠ كيلوغراما، ولبسه، وتزنر بخيط. وارتدى ايضا سترة ضيقة جدا كانت معلقة بالقرب منه، وتناول قبعة مستديرة سوداء، صغيرة جدا هي الاخرى. ثم وضع شاربين مستعارين، مقصوصين الى حد يمكن معه ان يتلويا بسهولة. وجاء دور الحذاء، فوجد زوج احذية ملفوفا عند موضع الاصابع، وهو من الكبر بحيث ان الطريقة الوحيدة لثباته في الرجلين كانت لبس حذاء اليسار في الرجل اليمنى وحذاء اليمين في الرجل اليسرى.

(جو بولاك في "سان لويس بوست دسباتش")

ضحكوا ... ففهمت – ويضيف شابلن في سيرته:

"لم تكن لدي فكرة عن شخصية البطل، ولكن ما ان ارتديت ملابس التمثيل واضفت الماكياج الى وجهي حتى رأيتني اغدو ذلك الشخص المنشود. ورحت اشرح لسينيت ان "هذا الشخص، كما تعلم، متعدد الجوانب. فهو متسكع ورزين، وشاعر وحالم ومتوحد وشغوف بالمواقف الغرامية والمغامرات الفروسية، ويود ان يقنعك بانه في وقت معا عالم وموسيقي ودوق ولاعب بولو (لعبة رياضية تمارس على متون الخيل بمضارب طويلة وكرة خشبية). لكنه، في الوقت نفسه، لا يعف عن التقاط اعقاب السجائر او انتشال قطعة حلوى من يد طفل. واذا قضت الحال فهو، بلا شك، يرفس سيدة في المؤخرة، ولكن في حالات الغضب الشديد!". وبينما كنت اتكلم، كان سينيت يقهقه حتى اخذ جسمه يهتز. واشار علي بان اصعد الى الخشبة واري ما يمكنني فعله.

وفيما كنت اصعد الى المسرح زلت بي قدمي وتعثرت برجل سيدة، فاستدرت ورفعت قبعتي معتذرا. ثم عدت وتعثرت بمبصقة، فرفعت قبعتي لها ايضا. وراح الواقفون وراء الكاميرا يضحكون. وفهمت انني

أجدت والشخصية نجحت"٠

فيلم "المتسكع"، الذي بدأ عرضه سنة ١٩١٥، يعتبر باكورة اعمال شابلن الممتازة، ويبقى احد اهم هذه الاعمال٠ وهو اول فيلم يلقحه شابلن بعناصر العطف والشفقة التي بقيت تحتل اهمية قصوى في معظم افلامه اللاحقة٠ وقد تجرأ شابلن على اختتام تلك الكوميديا بنهاية "حزينة"، وهو امر لم يكن له مثيل في تلك الايام٠

في دور "المتسكع" ينقذ شارلي فتاة من عصابة لصوص، فيكافأ على ذلك بوظيفة في مزرعة ابيها٠ ويعود اللصوص الى سرقة هذا المزارع فيهزمهم شارلي، لكنه يصاب برصاصة في رجله٠ وتتولى الفتاة تمريضه، فيشعر وكأنه في منتهى السعادة الى ان يصل حبيب الفتاة الوسيم٠ وحزينا، يربط شارلي صرته الصغيرة وينطلق من جديد في طريق التشرد٠ ونراه في المشهد الانتقالي مديرا ظهره للكاميرا وسائرا باكتئاب في طريقه الطويل٠ وفجأة يتوقف، ويهز كتفيه كمن يفكر، ويقلب عقبيه، ثم يسير متمهلا ومرحا في اتجاه الافق٠

(ثيودور هاف)

اشهر شخص – على مَ ترتكز شعبية شابلن الهائلة؟

ان شهرة شابلن ترتكز على عنصر قوي من المطابقة بينه وبين تحسس الجمهور٠ فهو جسد شيئا كان معظم الناس يودون لو امكنهم التعبير به عن ذواتهم، اي المرونة لدى ابتلائهم بالشدائد، والرغبة، ان لم نقل العزيمة، في مقاومة الظلم، والترنح بالعواطف المشبوبة٠ وكان لمظهره المتشرد وللرقة التي اوحاها اثر في ايقاظ عطف النساء جميعا٠ كذلك هو ابهج الرجال برشاقته ومهارته في مقاومة اعدائه٠ وقد جسد شارلي هذه الصفات الانسانية، لكنه استطاع، فوق هذا كله، ان يثير الضحك لدى كل انسان٠

الى هذا ، كان الكل يعرف ان شارلي نفسه، في نظر اولئك الاكثر فقرا بين جمهوره، كان مثالا حيا لقدرة الانسان على غلبة الشدائد واكتساب الملايين الطائلة، مع آيات التقدير والاعجاب بل والتملق من كبار الاغنياء وذوي الالقاب وزعماء الدول، فغدا اشهر من اي شخص في العالم٠

(رودجر مانفيل في "بيوغرافر")

في العام ١٩١٦، وقع شابلن على اتفاق يجني بموجبه ٦٧٠٠٠٠ دولار في السنة٠ لكن هذا الاثراء المفاجيء لم يغير شيئا في طريقة حياته٠

ومع انه لم يفارقه الخوف ابدا من ان يفتقر مرة اخرى، فقد كان يصرف المال بلا حساب على الاشخاص الذين يحبهم، من دون ان يكون متهورا في حياته الشخصية٠ واصبحت الطمأنينة تعني له ان يأكل حين يشاء، وان يكون له مكان يطوف في ارجائه، مدندنا الحان التانغو القديمة، وعازفا على الاكورديون٠ وكانت الطمأنينة تعني له ايضا الا يقيده تقويم زمني او تضايقه شخصية من شخصيات هوليوود العالية النغمة٠ وغالبا ما كان النجوم الجدد يجرحون في كبريائهم من جراء عدم اكتراثه لشهرتهم او حفلاتهم٠ واذا كان مدعوا الى حفلة انس وسمر او الى حفلة موسيقية، واعترضه كتاب او صديق، فالمرجح ان ينقطع عن الحفلة٠

(اليستير كوك في "اتلانتيك مانثلي")

جامع الادوار – لقد بلغ شابلن مرتبة الكمال، فاخرج وانتج وكتب وحرر والف موسيقى افلامه. ويتذكر المخرج روبرت باريش عندما اراد، وهو صغير، ان يتمرن مع صديق له على دوريهما في "اضواء المدينة" وكانا يلعبان دور بائعي صحف يطلقان حبوب البازلا من بندقية خاصة على شابلن، وهو يساعد الفتاة العمياء الجميلة، فرجينيا شيريل، في عبور الشارع.

ارانا شابلن كيف كان لنا ان نمشي، وان ندير العصا، وان نمس طرف القبعة، وان نبتسم لفرجينا شيريل، وما الى ذلك. ثم اصبح هو فرجينيا شيريل، الفتاة الجميلة العمياء، والمتسكع في الوقت نفسه، قافزا من مكان الى آخر وهو يدير عصاه ويضع يديه امام عينيه "المطفأتين".

ولدى مروره من امامنا، رفعنا، اوستن جويل وانا، بندقيتينا لاطلاق حبوب البازلا، فقال شابلن: "لا... انتظرا!" وتوقف فجأة عن كونه المتسكع والفتاة العمياء، وتحول الى بائعي صحف يطلقان حبوب البازلا من بندقيتيهما. وكان يطلق حبة ويركض متظاهرا بانه اصيب بها، ثم يعود ويطلق اخرى. واصبح اشبه ما يكون بالدرويش، يؤدي الادوار جميعها ويستعمل معينات الاخراج: مبصرا وهازا عصاه كالمتسكع، ضريرا ومقرا بالجميل كالفتاة العمياء، مطلقا حبوب البازلا كبائعي الصحف. وبعدما حقق كل شيء بنجاح، رد الينا دورينا على مضض. وكان شعوري انه يؤثر القيام بجميع الادوار منفردا.

("النشوء في هوليوود")

ابو الثمانية – ان حياة شابلن الشخصية دوّنت بتفصيل مثير عبر ثلاثة طلاقات ودعوى ابوة شهيرة خسرها في النهاية. وفي ١٩٥٢، عندما كان يزور بلده الام بريطانيا، الغت حكومة الولايات المتحدة الترخيص له بالعودة الى امريكا، على اساس اتهامه بالفساد الخلقي والتعاطف مع الشيوعية. وقد كتب في سيرته: "خطيئتي الضخمة كانت ولا تزال انني غير ملتزم. ولكن على الرغم من كوني غير شيوعي، فانا ارفض الموافقة على ما يفعله الآخرون او يرغبون في فعله، عن طريق كره الشيوعيين..."

ومنذ حادثة ١٩٥٢ حتى آخر حياته، اتخذ شابلن مقرا له في فيلا قائمة على مساحة ١٥ هكتارا وتشرف على بحيرة جنيف في سويسرا، حيث عاش مع زوجته الرابعة اونا اونيل (سابقا)، ابنة الكاتب المسرحي الامريكي يوجين اونيل. وكانا قد تزوجا سنة ١٩٤٣، عندما كان شابلن في الرابعة والخمسين والآنسة اونيل في الثامنة عشرة. وانجبا ثمانية اولاد.

(ج. سميث في "الواشنطن بوست")

الدنيا حظوظ – كأب، كان معرضا لان يكون مرهقا للغاية. فهو عديم الصبر مع الأولاد، ويؤمن بالطاعة والمثابرة والعمل الشاق والعادات الحسنة، وأن يكون الاولاد مقرين بالجميل ويسلمون حقيقة بان اهلهم يعرفون ما هو الافضل لهم. ويعبر شارلز جونيور عن هذا بقوة: "ابي لا يدع اطلاقا واحدا من الاولاد يتصرف على طريقته الخاصة".

وكان من عادته ان يلبس ثيابا

رديئة بقصد التخفي، ويصطحب ابنيه شارلز جونيور وسيدني الى "شارع السقوط" في لوس انجلس، وهو منطقة حافلة بالحانات والفنادق الرخيصة ووكالات الاستخدام التي يألفها العمال المهاجرون والسكيرون والمتشردون، مشيرا الى اولئك المنبوذين وبيئتهم البائسة. ويعود بالولدين الى البيت ليلقي عليهما الدرس الآتي: "انظرا كم انتما محظوظان".

(جيرولد فرانك في "لايديز هوم جورنال")

الاجلال والتكريم — لقد كانت حياة شابلن طافحة بما هو مجرد امنية لمعظم الناس: الغنى، والشهرة، والتسلية الخلاقة، والنساء الجميلات. لكنه لم يعرف كيف يتمتع بأي من هذه الاربعة.

(ماكس ايستمان في "لايديز هوم جورنال")

مع التقدم في السن زادت الاسقام. فكان شابلن يوضع على كرسي ذات عجلات، خائر البصر والكلام والسمع. لكن سني حياته الاخيرة تميزت ايضا بمظاهر الاجلال والتكريم. ففي ١٩٧٥ انعمت عليه الملكة اليزابيت الثانية بلقب فارس (سير). وفي ١٩٧٢ دخل هوليوود مرة اخرى دخولا مظفرا لتسلم جائزة اوسكار خاصة به، مكافأة له على "اثره الذي لا يقدر في جعل الصور المتحركة الشكل الفني لهذا القرن".

(ج. سميث في "الواشنطن بوست").

ففي، سويسرا، ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧: مات شارلي شابلن، الغلام اللندني الرث الثياب الذي اصبح فنانا خالدا لتصويره مجابهات الانسان المبكية - المضحكة مع القدر تصويرا سينمائيا. وقد توفي خلال نومه، في عزبته المطلة على بحيرة جنيف. وكان له من العمر ٨٨ عاما. وقال طبيب العائلة ان شابلن "مات من الشيخوخة، بهدوء وامان". وحصلت الوفاة في الرابعة فجراً، بضع ساعات قبل بدء احتفال العائلة التقليدي بعيد الميلاد.

(يونايتد برس انترناشونال)

حين كان يعمل، كان يخلق شيئا اكثر من محض الافلام... كان يخلق الحياة كما ارادها ان تكون: حياة ملؤها الضحك والحب، الاحلام والآمال، الفقر والقسوة، ولكن حيث النهاية دائما سعيدة، وان لم تكن اكثر من مسيرة على طريق الغد.

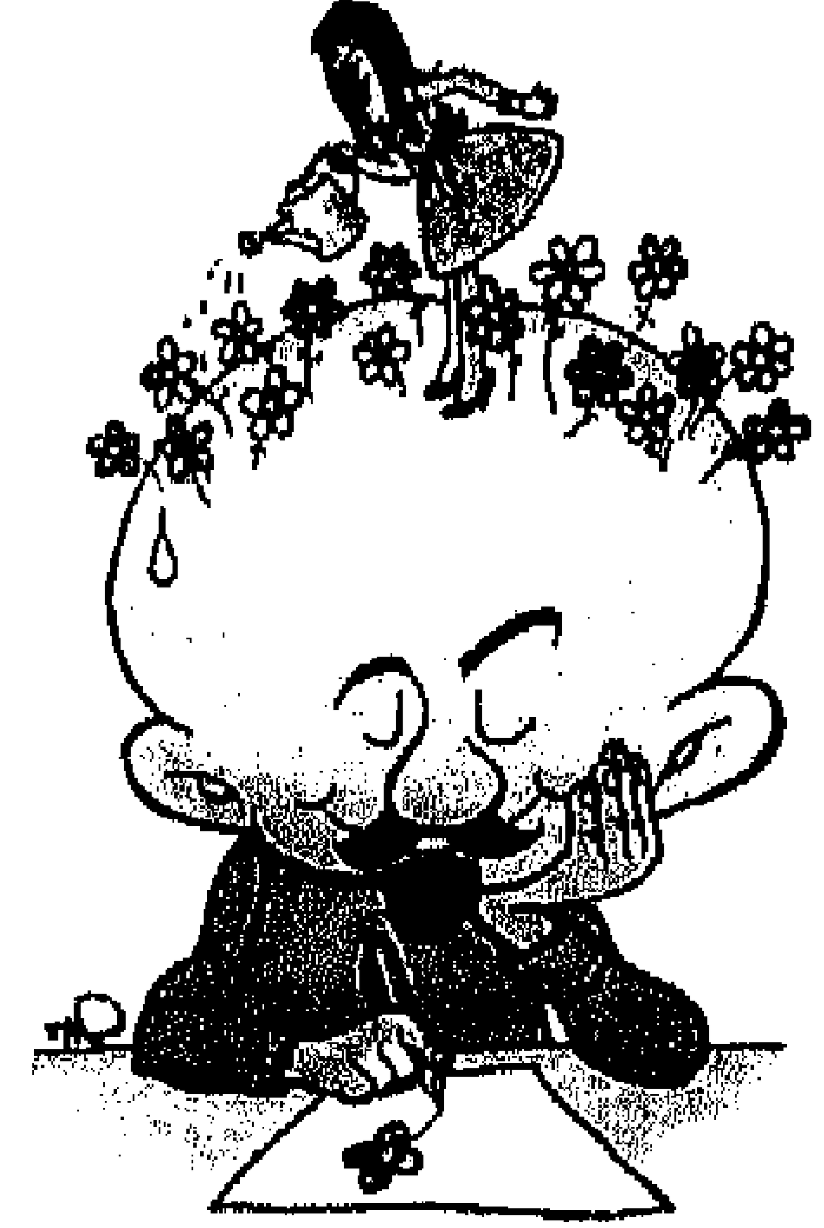
(دنيس غيفورد في "بيوغرافر").



اللعب بالاسماء

يرى الزائر القادم الى مكتب النائب الامريكي توماس كايندنس عبارة "حاول قليلا من اللطف" منقوشة نقشا بهيا على جدار المكتب. ويوضح النائب تلك الكلمات حين يقول: "ذلك شعار حملة انتخابية قديمة. اما لهذا العام فان هيئة المكتب تفكر في الشعار الآتي: "اللطف يؤدي الغرض".

والطريف في الامر ان اسم عائلة النائب تعني بالعربية "اللطف".



حديقة افكار

- انا ضد اصحاب الملايين ولكن من الخطورة ان تعرض علي هذا الموقف.

مارك توين

- البشاشة مثل الربيع، تتفتح بها الازهار الكامنة في الانسان.

جان بول ريختر

- ذكرى الزواج هي الاحتفال بالحب والثقة والتعايش والتسامح والتماسك. ويختلف هذا الترتيب باختلاف السنوات.
- من غالى في قلة ثقته بالآخرين استحق لنفسه اقل الثقة.
- حالما تظن انك تخرجت في مدرسة الخبرة، راح شخص آخر يفكر في فرض درس جديد.
- تبادل القليل من اللطف والمودة بين شخص وآخر افضل من حب يتسع للانسانية بكاملها.
- اذا شئت ان تستعيد صباك فجرده من الاباحة.
- الرغبة في الشفاء هي جزء من العلاج.
- اللجنة المثالية تتألف من شخصين اثنين، او اربعة او ستة ممن ليس لديهم وقت، وشخص واحد يشاء ان يدير الامور بطريقته الخاصة.
- الاعتذار خير الوسائل للاحتفاظ بالكلمة الاخيرة.
- استقبل الافكار بترحاب يليق بالملوك، فربما كانت احداها هي الملكلة.
- الغرباء اصدقاء لم تقابلهم بعد.
- نصف الفن هو ان تعرف متى تتوقف.
- كلما فعلت اكثر، كلما اصبحت اكبر.
- لولا المتفائلون لما عرف المتشائمون مقدار تعاستهم.
- شرط السفر الممتع ان يكون لك مقر مريح تغادره وتعود اليه.



حكاية صبي وكلبه : حقيقة حلوة ومريرة

لولا الحب...

وجدناه مع بقية المواشي في المزرعة التي اشتريناها. ولم يخطر في بالنا ان نحتفظ بذلك الكلب الاسود المجنس الغزير الشعر، بل جل ما كنا نريده هو اقتناء جرو صغير من الكلاب الحارسة ندربه للعمل في المزرعة ويصبح رفيقا لابننا تيم البالغ الخامسة من عمره. لكن اصحاب المزرعة السابقين اغفلوا اصطحاب كلبهم معهم وتخلفوا عن العودة لاخذه

فلم نجد مفرا من الاحتفاظ به مع اعتقادنا ان الامر سيكون موقتا. وقلت لزوجي كارل الذي يعلم في احدى المدارس: "لعلنا اذا تجاهلناه غادرنا ومضى الى سبيله". لكن الحيوان الضخم لم يفعل ذلك وراح يتصرف وكأن مسؤولية المزرعة ملقاة على عاتقه. فهو يخرج يوميا في الفجر ليتفقد المواشي ومباني المزرعة ثم يجول جولة استطلاعية

كاملة في هكتاراتها الخمسة والعشرين (٦٠ فدانا)، وعندما ينتهي من ذلك، يمضي متواثبا عبر الحقول المنحدرة، ويخرج زاحفا من تحت السور لكي يقوم بزيارته اليومية للسيد غوليف العجوز، الذي يعيش قرب الجدول الصغير عند حافة المزرعة.

وقد عرفنا من السيد غوليف ان اسم هذا الكلب الضخم "سبع الليل". وهو بدا مهموما ومتباعدا بنفسه خلال الاسابيع الاولى، كئيبا، لاختفاء سيده السابق، فلم يطلب العطف من احد ولم نقدم اليه نحن من جانبنا اي عاطفة باستثناء ابننا تيم، الذي كان يجلس ساعات على درجات الباب الخلفي وهو يتحدث برقة الى الحيوان الذي لا يبدي اي استجابة. حتى حدث ذات صباح ان زحف "سبع الليل" مقتربا من الصبي ووضع رأسه في حجره، ولم ندر بما حدث، الا بعد ان اصبح "سبع الليل" ظلا ثانيا لابننا تيم، لا يفارقه على الاطلاق.

قضى الصبي والكلب ذلك الصيف باكمله، يتواثبان عبر الحقول ويتجولان في الغابات المجاورة ويكتشفان جحور الثعالب وغيرها من الحيوانات ويعودان كل يوم محملين بالمغانم لاقتسامها معنا. فكان تيم يصيح لدى اطلالته: "ماما، ها نحن قد عدنا!"، وهو يفسح الباب المكسو بشباك السلك ليمر منه "سبع الليل"، ثم يستطرد: "تعالي، انظري ما احضرناه!" ثم يغرز يديه في جيوبه ويعرض محتوياتها على طاولة المطبخ: ريشة طائر جميل وزهور شقائق نعمان ذابلة ذات وريقات تشبه الدهان المبتل، وبضع حصوات من جدول المياه تسترد الوانها في ما يشبه السحر حين يلعقها بلسانه.

وسرعان ما حل شهر سبتمبر (ايلول) فذهب كارل وتيم الى المدرسة، واصبحت الايام حافلة بالوحدة لي ول"سبع الليل". وكنت قبل ذلك قليلة الاهتمام بالكلب، فغدا الآن يصحبني الى صندوق البريد، والى حظيرة الدجاج وعبر الممر الضيق الطويل حين اذهب لزيارة السيد غوليف.

القطة في فراشه - وفي احدى العشيات، سألت غوليف: "لماذا لم يرجع اصحاب "سبع الليل" لاسترداده؟ فأجاب: "لماذا؟ ليحبسوه في شقة في المدينة؟ ان سبع الليل كلب مزرعة وقد يموت ان هو ذهب الى المدينة. وفضلا عن ذلك، فمن حسن حظكم ان يبقى لديكم".

من حسن حظنا؟ تواردت على ذهني خواطر مؤسفة عن الثقوب المحفورة في الساحة المعشبة، والملاءات المغسولة المنزوعة من مناشرها، والكراكيب الملقاة على العتبة الخلفية: من عظام قديمة واحذية عتيقة رماها اصحابها وقوارض ميتة وعلب البيرة! ففي كل صباح كان "سبع الليل"، وهو عائد من زيارة السيد غوليف، يحمل علبة بيرة فارغة من جانب الطريق ويضعها معتدلة على عتبة الباب. وكان كثير الضوضاء ايضا، يتابع كل سيارة نقل وجرار على الطريق بنباح عال يجعلني اهرول اليه لارى ما الخبر.

وعلى رغم ذلك، فلا مفر لي من الاعتراف بان "سبع الليل" كان كلب مزرعة ماهرا. وقد ادركنا ذلك في اوائل الربيع، عندما لفتنا نباحه

المتواصل الى نعجة على وشك الولادة، وقد وقعت في حفرة على ظهرها العريض وعجزت عن النهوض. ولولا انذار "سبع الليل" لماتت. وكانت له طريقة عجيبة للتحسس بوجود الكلاب الضالة التي تهدد القطيع، او بشرود نعجة من اغنام القطيع.

وذات صباح لم يحضر "سبع الليل" علبة البيرة المألوفة، وانما احضر بدلا منها قطة رمادية صغيرة يستبد بها الجوع ووضعها على عتبة الباب واخذ يتجول حولها بقلق بينما كانت تبدو هي مثل كرة صغيرة من الفراء وهي تلعق اللبن الدافيء حتى الشبع. وحين انتهت، حملها الى البطانية التي ينام عليها في حظيرة الماشية واخذ يلعق جسمها كله باتقان لينظفها، ثم قبع بجانبها عندما استغرقت في النوم. ومنذ ذلك اليوم اصبحت القطة تشاركه فراشه.

ولكن اعمق مشاعر الحب في قلب "سبع الليل" كانت من نصيب تيم. وفي عشية كل يوم، عندما كانت حافلة (اوتوبيس) المدرسة تقعقع على الطريق، كان "سبع الليل" يركض في ابتهاج للقائها. وكانت تلك اروع لحظات اليوم كله عند "سبع الليل" - وعند تيم كذلك.

وذات يوم من اواسط اوكتوبر (تشرين الاول) كنت في المدينة، فمررت على المدرسة واصطحبت تيم بعد انتهاء الدراسة في سيارتنا. وحين وصلنا الى الممر المؤدي الى البيت ولم نجد "سبع الليل" في انتظارنا، بدت على تيم بوادر الذعر. فقلت له: "لا تقلق يا تيم. ان سبع الليل ينتظرك ان تعود دائما في الحافلة ونحن قد وصلنا مبكرين. ولعله قد عاد يتمشى على حافة الغابة".

وجرى تيم في الممر الضيق وهو ينادي بلا انقطاع، وبينما كنت انتظر عودته رحت ابحث في الساحة فلم ار اثرا ل"سبع الليل"،فاستولى علي الجزع.

وفجأة تملكني الانزعاج فجريت الى حظيرة الماشية وتيم في اثري ودفعنا الباب الثقيل وبحثنا في ظلام الحظيرة الرطب فلم نعثر على شيء. وفيما كنا نهم بالخروج تناهى الى سمعنا عواء خافت باك صادر من ركن بعيد في مربط احد الخيول فوجدناه هناك يترنح قليلا على ثلاثة ارجل وعيناه الغائمتان بالالم تلتمسان الغوث. وعلى رغم الضوء الخافت، استطعت ان ارى ان احدى رجليه الخلفيتين تتدلى بلا حول، وقد انفصمت عظمتها انفصاما جزئيا، فصدر انين خافت من تيم وجرى نحو "سبع الليل" يدفن وجهه في عنقه.

وحين وصل الطبيب البيطري كان زوجي كارل عاد من عمله. فوضعنا الكلب على بطانيته ورفعناه برفق الى محفة الاسعاف. وعوى "سبع الليل" في الم، فبدأ تيم يبكي. وقال الطبيب البيطري: "لا تجزع يا بني. فامامه فرصة جيدة للنجاة". لكن عينيه كانتا تحكيان قصة مغايرة.

هل يعود غدا؟ـ كان وقت نوم تيم قد حان، فاخذته الى الطابق الاعلى من البيت حيث غرفته واستمعت الى تضرعاته. وحين انتهى منها نظر الي وسألني: "هل يعود سبع الليل الى البيت غدا؟".

قلت: "ليس غدا يا تيم، فهو مصاب بجرح بالغ".

قال: "لقد قلت لي ان الاطباء يعيدون الصحة الى الناس. افلا يشمل ذلك الكلاب ايضا؟" فنظرت من النافذة عبر الحقول التي يغمرها ضوء عنبري اللون. كيف السبيل الى افهام صبي صغير ان لا مفر لكلبه من ان يموت او ان يعيش عاجزا؟ وقلت في النهاية: "نعم يا تيم. اعتقد ان ذلك يشمل الكلاب ايضا." ولففت حوله الاغطية ثم نزلت الى الطابق الاسفل.

كان كارل قد انهى نصيبه من العمل المنزلي وتأهب للخروج الى اجتماع في المدرسة، فوضعت رداء صوفيا على كتفي، وقلت: "سأذهب الى بيت غوليف، فلعله يعرف ما حدث".

ووجدت العجوز جالسا الى طاولة مطبخه في الضوء المتلاشي، فتناول كرسيا آخر لاجلس عليه، وقدم الي فنجانا من القهوة، وسأل: "هل تيم في فراشه؟ انني افتقده الآن بعد ان انتظم في المدرسة. ومن حسن الحظ ان سبع الليل لا يزال يأتي لزيارتي، وان خطر لي انه لن يأتي هذا الصباح، فساورني شيء من القلق عليه".

ولسبب ما، انعقد لساني دون الحديث عن الكلب، وبدلا من ذلك سألته: "هل تعلم اذا تولى احد اليوم قطع الحشائش؟"

فأجاب غوليف: "يبدو لي انني سمعت صوت جرار على بعد، بجانب الجدول هذا الصباح. لماذا؟ "ونظر الي متسائلا: "هل حدث شيء لسبع الليل؟" قلت وحلقي يغص بالكلمات: "نعم. لقد قطعت ساقه تقريبا، وجاء الطبيب البيطري واخذه..." واردت ان اقول اكثر من ذلك، ولكني عجزت. واخيرا همست: "ان الظلام يهبط، والافضل ان اعود الى البيت".

وتبعني غوليف الى الساحة امام بيته وقال في تردد: "في خصوص سبع الليل، اذا عاش فاري ان اعطيه فرصة، فهو لا يزال ينعم بصحبتكم وصحبة تيم، والمزرعة والمواشي وكل ما يحبه. وبعد، فالحياة غالية.. خصوصا حيث وجد الحب".

قلت: "نعم. ولكن اذا فقد ساقه، فهل الحب يعوضه عجزه؟"

فقال شيئا لم اتبينه، ولكني حين استدرت اليه كان قد خلع نظارته واخذ يمسح عينيه بقفا يده العجوز المتصلبة.

وحين وصلت الى ساحة بيتنا كانت الشمس قد غربت، وخلفت العالم لسحر رطيب رقيق من الفضة والظلال، فمشيت الى حظيرة الماشية ووقفت مسندة ذراعي الى اعلى السور. وكانت الجياد وراء الممر تتهادى نحو الغابة وهي ترعى الكلأ في اثناء سيرها، فراقبتها حتى اختفت كالاشباح في الضباب المشبع بضوء القمر الذي يملأ المرج، ثم اسندت رأسي الى ذراعي واطلقت العنان للدموع...

بكيت لان "سبع الليل" كان بالغ الرقة مع المواشي، ولانه يحب تيم حبا لا مزيد عليه، ولان تيم يبادله هذا الحب. لكن اكثر ما ابكاني هو انني لم اكن في الحقيقة اريده حتى تلك اللحظة، عندما اصابته هذه الكارثة، ترى لماذا بندر ان نعرف مدى حبنا للشيء الا عندما نواجد بفقده؟

ولم يكن في الامكان انقاذ "سبع الليل". وعاودتني الذكريات. وهو

يجري عبر الحقول والمروج، سريعا حرا وكأنه ظل سحابة. وترددت في اذني المتشائمتين كلمات الطبيب البيطري وهو يحاول ان يطمئننا بقوله: "انه صغير السن وقوي، ولن تصعب عليه الحياة بثلاث قوائم".

وتلقى تيم النبأ بهدوء مدهش، وقال: "لا بأس. المهم ان يعود سبع الليل الى البيت".

فقلت احذره: "لكن تلك الجولات الطويلة التي اعتدتما ان تخرجا فيها معا سترهقه الآن".

قال: "لقد كان دائما ينتظرني حتى الحق به، وسأنتظره الآن بدوري حتى يلحق بي. وفضلا عن ذلك، فليس هناك ما يدعونا الى العجلة"

الحنين يمرضه - وزارنا الطبيب البيطري بعد ايام قليلة وقال: "يحسن بكم ان تسترجعوا كلبكم لان الحنين الى البيت يسقمه". فذهبت على الفور وصدمني التغيير الذي بدا على "سبع الليل": فقد خبا النور في عينيه وتدلى ذيله كالخرقة البالية بينما كانت الجدعة الباقية من ساقه ملفوفة برباط مبقع بالدم. وما ان رآني حتى جاء عارجا الى جانبي، واتكأ الى ساقي في عياء. وسرت رعشة في جسده الساخن النحيل، ثم تنهد تنهيدة طويلة عميقة مليئة باحاسيس التعاسة والوحدة التي انزلتها به الايام القليلة الماضية.

ولدى وصولنا الى المزرعة، ساعدت "سبع الليل" على الخروج من السيارة، اقبلت القطة الرمادية الصغيرة مسرعة لاستقباله تنساب خلال اوراق الشجر المتناثرة ولكنه لم يبد انه شاعر بوجودها. وتوجه اولا بانظاره الى الاغنام وهي ترعى في المرج، ثم مد بصره عبر الحقول المكسوة بقمح الشتاء الاخضر الى الغابات التي يلونها الخريف، حيث كانت الجياد المرقشة بضياء الشمس تتنقل بين الاشجار. وامتلأ قلبي الما حين لمست مدى حنينه الى هذا المكان. واخيرا، سار متطلعا الى الحظيرة وانزلق بين مصراعي بابه الثقيلين.

وبينما كان جرح "سبع الليل" يلتئم، بقي يلازم الحظيرة، ولا يبرحها الا في الامسيات، حين تميل اشعة الشمس الغاربة عبر الحقول وتأتي الجياد لتشرب، فيظل واقفا الى جوار المسقى الى ان تعود الجياد الى المرج، فيؤوب مختفيا في الحظيرة.

وقد تملكني شعور اليم طيلة تلك الايام، وكنت اقول لنفسي: "انه جبن منك ان تتركيه يعيش. فانت تخافين ايذاء مشاعرك ومشاعر تيم". ولكني لم اتأكد من ذلك في اعماقي، وقلما يعرف المرء الاسباب الحقيقية لما يفعله، ولما يمتنع عن فعله.

وبعد اسبوع تقريبا من عودة "سبع الليل" كنت اقلب اوراق الشجر في ساحة البيت، وحين انتهيت من ذلك تحت شجرة الاسفندان (القيقب)، جلست على درجات العتبة لاستريح. كان جو الخريف مثاليا في ذلك اليوم وكان طريقنا الريفي شبيها بنفق ذهبي، وازهار شجيرات السماق تتدلى كاللهب المنخفض على طول المرج الجنوبي، فمددت يدي من دون حماسة للعمل كي اتناول المدقة المسننة لتقليب التربة والعشب. ثم احسست بهبة خفيفة في كومة اوراق الشجر واذ بـ"سبع الليل" يقف الى

جانبي. فركعت واخذت امسح شعره بيدي فعاد لامعا ناعما مرة اخرى. ولما تحرك ولاحظت ساقه الضائعة، تملكني الم شديد، وقلت: "انني لشديدة الاسف، يا سبع الليل". وطوقت عنقه بذراعي، واسندت رأسي الى رأسه فجلس في حرجي جلسة مربكة ووضع كفه على ركبتي ونظر الي بعينين وديعتين ذكيتين. وبعد لحظة ارهف اذنيه وادار رأسه صاغيا، ولم يلبث ان انطلق ليستقبل حافلة المدرسة. كان يعدو وفي هيئة معوجة تعوزها الرشاقة، ولكنه كان يعدو بابتهاج.

ووثب تيم من سلم الحافلة العالي وتلقى الكلب في احضانه، وصاح:

"اوه، يا سبع الليل، يا سبع الليل". واخذ "سبع الليل" يلعق وجه تيم وهو يتلوى ويتأوه فرحا واغتباطا. وبقيا على هذه الحال بعض الوقت، متناسيين كل شيء الا نشوة الاجتماع مرة اخرى.

وتبينت وانا اراقبهما، كم كنت مصيبة اذ تركت الكلب يعيش. فنحن جميعا مخلوقات الله، ومن منا لم يصبه بعض التشويه الجسدي او العاطفي، ويندر بيننا من يريد ان يموت. ولقد عبر عن ذلك السيد غوليف خير تعبير عندما قال:

"ان الحياة غالية.. ولا سيما حيث وجد الحب".

■ **اليثا جين ليند ستروم**



الحصان يعرف مصلحته

استبد القلق باحد المزارعين على حصانه بسبب الطعام الذي يقدمه اليه اصحاب النيات الطيبة من الزوار القادمين لقضاء اجازاتهم، فعلق على السور لافتة كتب عليها: "ارجو عدم تقديم الكعك والفطائر الى الحصان. التوقيع: صاحب الحصان".

وبعد فترة قصيرة، ظهرت تحت اللافتة الاولى لافتة اخرى تقول: "ارجو عدم الاكتراث بما تقوله اللافتة اعلاه. التوقيع: "الحصان".

الاسماك والتماسيح

ذهبنا لنسبح على شاطىء صغير قرب مصب نهر زامبيزي في موزامبيق، فسألنا صبيا يصطاد السمك على صخرة قريبة ما اذا كانت ثمة اسماك قرش مفترسة في مياه تلك المنطقة، فاجابنا بلهجة تبعث على الشك: "كلا!".

ولم نابه كثيرا للامر، فوثبنا الى الماء واستمتعنا بالسباحة بعد الوقت، ثم انتابني القلق، فعدت أصيح بالصبي: "هل انت متأكد من انه ليست هناك اسماك قرش في هذه المنطقة؟".

فاجاب: "كلا، لان اسماك القرش تخاف من التماسيح!".

ف.ب.

وصفت احدى السيدات مشهدا مأسويا في فيلم رأته لتوها، فقالت: "هناك على قمة التل وقف البطل الوسيم، وقد تطاير شعره في مهب الرياح بينما كبرياؤه منعته من الجري وراءها!".

س.ا.ا.

تمارين تساعدك على الاسترخاء

اليكم طريقة بسيطة وفعالة للتخفيف من حدة الانفعالات الناجمة عن التوتر المفرط.

تمارس الدا تروي وظيفة مرهقة في احد اقسام المشتريات الشديدة الزحام. ولقد اعتادت الشكوى من الصداع لدى عودتها من العمل كل يوم. كان هذا الشعور ينتابها مع تزايد ضغط العمل بعد الظهر، ثم يتصاعد حتى يبلغ اقسى مراحله في فترة انتهاء العمل، ويظل ملازما لها طوال المساء، كما تقول.

اما اليوم فقد طرأ تغيير كبير على حياة الدا بعدما استفادت من برنامج تعليم الاسترخاء الذي نظمته جامعة ولاية بنسلفانيا، بالاستناد الى اعمال ارنولد لازاروس، استاذ علم النفس في جامعة راتغرز. وقد بدأت ماريان ووكر، وهي مدرسة فن التمريض، في اعداد هذا البرنامج على شكل سلسلة من دروس الاسترخاء كعلاج مضاد للتوتر.

تقوم اساليب هذا البرنامج على خطوات بسيطة وفعالة يمكن تعلمها وتطبيقها بسهولة في المنزل.

ليس الاسترخاء البسيط امرا سهلا في متناول معظم الناس. وقلما يجدي المرء، وهو في حالة مثيرة للانفعال، ان يعظ نفسه بضرورة عدم الانجرار للغضب. وهكذا فكثيرا ما ينتابنا الشعور بالانهاك ونحن في غمرة المتطلبات الوظيفية والعائلية والمشاكل الاخرى التي يفرضها علينا محيطنا، وما التوتر الا استجابة طبيعية في مواجهة هذه المتطلبات لكنه يؤدي الى شل العضلات ورفع ضغط الدم وتعريض صحة الانسان لجملة امراض يسببها او يزيد من حدتها الضغط العصبي، كقرحة المعدة وصداع الشقيقة وامراض القلب والتهاب المفاصل وآلام الظهر، حتى داء السكري.

بيد ان اتقان الاساليب التي تقترحها السيدة ووكر كفيل بان يعلم كل شخص طريقة "اخماد" التوتر والقلق حسبما يشاء. ويمكن تطبيق هذه الوسائل في اثناء معاناة الفرد لحال مؤدية الى الانفعال، كما يمكن اتباعها في شكل منتظم للتخفيف من ضغوط الحياة اليومية. وفي كلا الحالين يمكن تحقيق مجموعة من الفوائد السريعة والدائمة الاثر، حسب تعبير السيدة ووكر.

المفصل والمختصر : لكي تتعلم هذه الاساليب في المنزل، عليك ممارستها في غرفة هادئة· وللوصول الى تطبيقها المثالي لا بد لك من قضاء ثلاثين دقيقة يوميا خلال ثلاث فترات تمتد كل منها على اسبوعين· ولكن اذا لم تتمكن من التفرغ اكثر من بضع دقائق يوميا، يمكنك الوصول الى نتائج مفيدة بفضل برنامج مختصر· ومن الممكن لمن يمارس التمارين ان يقرأ التعليمات بنفسه في فترة تطبيقها او ان يهتدي الى من يقرأها له او ان يتبع طريقة التلاميذ في تسجيل التعليمات على اشرطة والاستماع اليها وهو يمارس التمارين·

تنصب تمارين فترة الاسبوعين الاولين على توضيح الفارق بين الشعور بالتوتر والشعور بالاسترخاء· وحسب تعبير السيدة ووكر، "ان هذه التمارين تجعلك اكثر يقظة تجاه التوتر المتسلل الى جسمك· وهي بمثابة مقدمة لابراز الطريقة الآلية الطبيعية للتخلص منه"·

اما الاسبوعان اللاحقان فيركزان على الوسائل الذهنية التي يمكنها مساعدتك في ازالة طبقات التوتر والقلق "هنا تبدأ بادراك قدرتك على الاسترخاء لمجرد تفكيرك في ذلك"، وهذا يعني تحقيق الاسترخاء عند الحاجة اليه·

وتتجه فترة الاسبوعين الاخيرين الى التركيز على ايقاظ المشاعر المسترخية، سواء كنت جالسا او واقفا او سائرا "والغرض من ذلك هو تمكينك من الاسترخاء حيثما كنت، وفي اي وضع كنت"، كما توضح مديرة البرنامج· وتضيف: "ان الامر شبيه، الى حد كبير، بقيادة السيارة، اذ يكون المرء واعيا كل ما يقوم به في البدء، لكن العملية تغدو تلقائية في اثناء الممارسة"·

المرحلة الأولى : استلق على ظهرك في غرفة مظلمة واغمض عينيك طارحا ذراعيك الى جانبيك· لتكن ساقاك في وضع مستقيم· ضع الوسائد تحت العنق والركبتين والقدمين اذا كان ذلك يبعث فيك الراحة· ارخ او اخلع الملابس المقيدة كالاحذية والاحزمة والياقات الضاغطة· ثم ابدأ بعملية متناوبة يتتابع عبرها تقلص اجزاء جسمك وارتخاؤها بحيث يتم التركيز على جزء معين كل مرة· خلال عملية تقليص العضلات، حاول ان تتركها مشدودة قدر الامكان مبقيا على هذا الوضع لفترة تقارب نصف دقيقة· بعدئذ ابسط عضلاتك ببطء شديد، متحسسا الارتخاء النامي·

وفي ما يأتي السياق المقترح لحركات التقلص والاسترخاء:

- ☐ اطبق قبضتي يديك باحكام·
- ☐ اثن الذراعين وكلا المرفقين وشد قويا العضلات ذات الرأسين في اعلى الذراع·
- ☐ جعد جبينك حتى تشعر بالتوتر تحت جلدة رأسك·
- ☐ اعبس بشدة حتى تتقلص كل عضلة في وجهك·
- ☐ اغلق جفنيك باحكام·
- ☐ صر على اسنانك وتحسس التوتر يدب في فكيك وخديك وعنقك·
- ☐ اضغط لسانك على سقف فمك·
- ☐ ادفع ذقنك نحو صدرك واحن رأسك الى الامام·
- ☐ ارفع كتفيك حتى تلامسا اذنيك·

توقف قليلا عند هذا الحد، وتحسس دبيب الاسترخاء من اخمص قدميك حتى رأسك، الى العنق والكتفين.

☐ وجه اهتمامك الآن الى الاجزاء الوسطى. خذ نفسا عميقا، واحتفظ به قبل ان تزفرد ببطء. كرر هذه العملية.

☐ قلص عضلات بطنك قدر المستطاع، من دون ابتلاعها الى الداخل.

☐ اجذب معدتك الى الداخل وابق عليها كذلك.

☐ قلص ظهرك وابقه كذلك اطول مدة ممكنة.

توقف ثانية عند هذا الحد، وعاود التفكير في الاسترخاء الزاحف من رأسك، مرورا بكتفيك فالذراعين. تخيل مشاعر الاسترخاء هذه تتغلغل في الصدر والظهر والبطن.

☐ركز ساقيك وقدميك واضغط كلا الكعبين بقوة على الارض.

☐ وجه قدميك واصابعهما في اتجاه معاكس للرأس ما امكنك ذلك.

توقف هنا وتأمل هذا الشعور بالاسترخاء المنطلق من اصابع قدميك ليتسلق جسدك. تخيل التوتر الذي كنت ستشعر به لو كانت ساقاك مرفوعتين بالفعل. ويمكنك الاسترسال في حالة الارتخاء طوال الفترة التي ترغب. واذا ما عاودك الاحساس بالتوتر ثانية، فحاول استعادة شعور "الارتخاء" الذي خبرت.

المرحلة الثانية : استلق بوضع مريح في غرفة مظلمة وتنفس بعمق مرات عدة. خلال عملية الزفير البطيئة تأمل الاحساس الدافىء والعميق والمهدىء الذي ينتشر عبر جسدك. فكر في تلك الموجة من الدفء تغمرك في تعاقب بطيء، منتظم.

ومع كل عملية زفير، اقض بعض الوقت متأملا في كلمة "استرخاء". ولتكن هذه منطلقا لكلمات اخرى مثل: هادىء، ساكن، صاف، دافىء، مستريح، مستكين... توقف بعد كل عملية محاولا ربطها بالشعور بالاسترخاء. اختر كلمتين يبدو مفعولهما اكثر تأثيرا عليك ورددهما ببطء قرابة عشرين مرة حتى تعمق استرخاءك. وتبرز السيدة ووكر اثر هذه العملية اذ تقول: "ان مجرد التلفظ بتلك الكلمات مع نفسك يوقظ فيك مشاعر الاسترخاء وان كنت في وضع متوتر. ولكن لا بد لك من الممارسة لكي تصل الى ذلك".

انصرف، بضع دقائق، الى تخيل هذا الاسترخاء منتشرا ببطء عبر جسدك، حيث يبدأ عند الجبهة وينتهي باصابع القدمين. وفكر في ما ينطوي عليه من احاسيس اذ يتسلل من عضلة الى اخرى او من منطقة الى اخرى.

تخيل لوحة كتابة فارغة، ثم ابدأ بوضع ارقام متسلسلة من واحد الى عشرة. ومع ظهور كل رقم عمق استرخاءك عبر استرجاع الاحاسيس التي اوحت لك بها كل كلمة حافزة (دافىء، هادىء، ساكن). فما ان تصل الى العدد عشرة حتى تكون غمرتك حالة استرخاء تام.

المرحلة الثالثة : أبدأ جلستك اليومية بالاستلقاء في وضع مريح على الظهر. وتنفس بعمق مرات عدة، متأملا دبيب الاسترخاء في انحاء جسدك. استخدم ما اخترت من كلمات حافزة في محاولة للتوصل الى الهدوء

حتى يأخذ شعور التوتر بالانحسار. وعند ذاك يمكنك الانتقال الى الخطوات الآتية:

□ تخيل منظرا مريحا لاعصابك، كأن يكون ساحلا مشمسا او كوخا وسط غابة او امسية يتساقط فيها الثلج او بحيرة على سفح جبل او جلسة جنب موقد. واصرف بضع دقائق متأملا المنظر فسترى انه تكونت لديك "صورة شخصية للاسترخاء" يمكنك اللجوء اليها الى جانب الكلمات الحافزة الرئيسية، للتخلص من حالات التوتر، وذلك حين تغدو خبيرا في الاستجابة لها.

□ اجلس على كرسي في وضع مريح، واغمض عينيك ملقيا ذراعيك الى الجانبين. ارفع كل ذراع على حدة ثم ارفع الاثنتين معا. استشعر التوتر الناجم عن رفعهما عاليا، ثم دعهما تسقطان جانبا. عليك بتكرار العملية، على ان يصاحب رفع الذراعين تنفس عميق، في مقابل زفير يصاحب سقوطهما. وانتبه الى ضرورة بقاء جسدك مسترخيا في اثناء رفع الذراعين.

□ انتصب وحاول استعادة الشعور بالاسترخاء، وبخاصة عند الكتفين والبطن والذراعين. سر مسافة قصيرة مجيئا وذهابا مع ابقاء عينيك مغلقتين، مؤرجحا ذراعيك بلطف. وهنا حاول اخماد اي توتر قد يدب بالتصاعد.

تنفس ببطء وانتظام في اثناء وقوفك ساكنا، ولاحظ انتشار الاسترخاء بطيئا عبر جسدك. استعن بما انتقيت من كلمات حافزة لتعميق هذا الشعور.

□ استلق واختبر كم يلزمك من الوقت كي تستعيد الشعور بالهدوء. استحضر في ذهنك "صورة الاسترخاء الشخصية"، صارفا قرابة دقيقة في تأملها.

لعلك ستكتشف ان هذه المراحل تتفاوت في مدى فائدتها لك. فذلك ما يجده سائر الطلاب ايضا. عند ذاك عليك اتباع المرحلة التي تعطيك نفعا اكبر، كما تنصح السيدة ووكر. لكنك لن تتعرف الى الجزء ذي المزايا الاكبر في تحسين اوضاعك او في جعلك تستجيب للضغوط بهدوء اكبر، الا بالممارسة اليومية. ولا بد من مضي فترة قبل ان ينبئك ايقاع جسمك نفسه بحاجتك الى هذه الاساليب.

■ شارل وبوني ريمزبرغ



معادلة شخصية

سألت الام ابنها البالغ من العمر اربعة عشر عاما عن سبب استهوائه الرفيقة المقربة اليه، فقالت: "ما الذي يجذب هذه الفتاة اليك؟" فأجاب: "انها تفكر في انني جميل، مرح، ذكي، موهوب، وراقص ممتاز".

- وانت، لماذا تهواها؟

- لانها تفكر في انني جميل، مرح، ذكي، وموهوب، وانني اجيد الرقص.

هذه دراسة رائدة تلقي اضواء جديدة على عتاة المجرمين وتقترح اسلوبا لتغيير عقلية البعض منهم .

هل يمكن التغلب على عقلية الاجرام؟

ماذا عسانا نفعله لمجرم يدمن الاجرام مثل شارلي؟ فأن حياته المسلكية لا تنطبق عليها اي من النظريات الاجتماعية والسيكولوجية المعروفة والمقبولة على نطاق واسع، في ما يتعلق بأسباب الجريمة واساليب معالجتها . فهو من اسرة متوسطة متماسكة، يسودها التآلف بين الوالدين واولادهما الثلاثة . بل ان اثنين من اخوة شارلي الاصغر منه سنا متخرجان في الجامعة ويعيشان عيشة المواطنين والموظفين الجادين .

اما شارلي، فقد اصبح مجرما محترفا . وكان، وهو طفل، كذابا ولصا مشاغبا يهدد رفقاءه بشهر السكاكين، ويسرق السلع من المتاجر، ويسطو على المنازل ليلا، ويرتكب جرائم السطو المسلح، فضلا عن الاعتداءات والعشرات من جرائم الاغتصاب قبل ان يبلغ الخامسة عشرة من عمره .

ثم قضى تسعة اشهر في اصلاحية للاحداث، ولكنه لم يرتدع . وما ان بلغ السن الثامنة عشرة حتى كانت الجنايات التي ارتكبها تعد بالآلاف .

وفي السن التاسعة عشرة قبض عليه بتهمة اللصوصية والاعتداء والاغتصاب . ولكنه تصنع الجنون فحكم عليه بالاقامة في مستشفى الامراض العقلية، حيث قضى عشر سنين، ثم افرج عنه، ووجد وظيفة مجزية كسمسار عقاري . بيد ان ذلك لم يثنه عن العودة خفية الى اسلوبه الاجرامي السابق في السرقة والسطو والاعتداء . وقبض عليه بعد ثلاث سنوات بتهمة محاولة اعتداء واغتصاب . وصدر ضده حكم مخفف بالبقاء قيد المراقبة مدة عشر سنين .

وهو اليوم في السابعة والثلاثين، هائم على وجهه، يقترف عشرات الجرائم كل عام وكأنه قنبلة موقوتة قد تتسبب في هلاك شخص ما . اذا

لم يسجن مدى الحياة او لم يدهمه الموت قتلا .

وبدهي ان شارلي، ومن على شاكلته، يواجهون المجتمع بمشكلة هائلة . فثمة دلائل متزايدة على ان نسبة كبيرة جدا من الجرائم يرتكبها قلة من المجرمين العتاة من امثال شارلي، وان نظام القضاء الجنائي قد اخفق اخفاقا ذريعا في الاهتداء الى امثال شارلي وعزلهم عن المجتمع، وان نظام السجون الحالي عاجز عن اصلاح هؤلاء المجرمين او الاهتداء اليهم وحبسهم لكي يعيش المواطنون الصالحون في امان من براثنهم .

وقد صدرت اخيرا دراسة في ثلاثة مجلدات عن الشخصية الاجرامية استغرق اعدادها، بتمويل من الحكومة الامريكية، ١٧ عاما، ويمكن اعتبارها كاعمق دراسة صدرت حتى الان عن شخصيات المجرمين من امثال شارلي . وان النتائج المذهلة التي كشفت عنها هذه الدراسة تبعث على القنوط من اصلاح معظم هؤلاء المجرمين العتاة . وكل ما يمكن عمله في المستقبل القريب، هو ان نودعهم السجون مدى الحياة .

العقلية الضارية .. انشأ الطبيب الدكتور يوشلسون في ١٩٦٠ عيادة للعلاج النفسي في بافالو في ولاية نيويورك، وذاع صيته في الاوساط الطبية . فطلب اليه الدكتور ونفريد اوفرهولسر، مدير مستشفى سانتا اليزابيث الحكومي للامراض العقلية في واشنطن، ان يشرف على اجراء استقصاء واسع النطاق حول السلوك الاجرامي . ووافق يوشلسون على القيام بهذه المهمة بشرط واحد هو ان يطمئن المجرمون الذين يقابلهم الى ان ما يدلون به من معلومات لن يؤثر مطلقا على معاملتهم او مقاضاتهم او اطلاق سراحهم . وبذلك، قلما تبقى لديهم ذريعة لتصنع المرض او التحسن او اخفاء الحقائق .

وفي غضون الخمسة عشر عاما التالية، درس يوشلسون وزملاؤه ٢٥٢ حالة من حالات المجرمين العتاة، من بينهم ١٦٢ بالغا و ٥٩ يافعا تراوح اعمارهم بين السادسة عشرة والواحدة والعشرين . وفي السنوات الاولى كان يقتصر اختيار المجرمين الخاضعين للدراسة على مستشفى سانتا اليزابيث فقط، من بين النزلاء المفرج عنهم بدعوى الجنون . ثم تناولت الدراسة مجرمين مختارين من السجون، ومن المفرج عنهم قيد المراقبة وبعد ذلك مجرمين من الشارع . كما تحدث القائمون بالدراسة الى اسر المجرمين وصديقاتهم، وارباب عملهم، وزملائهم .

وقد حاول يوشلسون، في بادئ الامر، تطبيق جميع النظريات المقبولة عن الاسباب الاجتماعية والنفسية للجريمة . كما جرب الاساليب التقليدية للعلاج النفسي والتحليل النفسي، واجرى عددا من اختبارات الدم والهرمونات والكروموزومات، في محاولة للاهتداء الى الاسس الفيزيولوجية لسوء السلوك .

ولكنه ادرك في عام ١٩٦٥، بعد انقضاء خمس سنوات على بداية تجاربه، ان كل هذه النظريات والاساليب لا تؤدي الى شيء . وخلص الى الاستنتاج الآتي:

ان مفاهيم المعالجة المعهودة واساليبها لا تفلح مع المجرمين لانها تشخص العقلية في غالبية الاحيان .

ناشيء عن اختلاقات المجرمين انفسهم.

ومع ذلك، فقد استمر يوشلسون في محاولاته، فقرر في عام ١٩٦٦ تجربة اسلوب جديد مهم هو اسلوب "تيار التفكير" او تقرير "الظاهرات". فكان يقول للمجرم الذي تتناوله الدراسة: "انس الماضي وركز على الحاضر، واسرد افكارك كل يوم. وتصور ان عقلك متصل بكاميرا تلفزيونية تنقل افكارك وتسجلها. فسجل كل شيء بالتفصيل ثم اسمعني التسجيل غدا".

وقد تبين ان اسلوب "الكاميرا التلفزيونية" هذا مفتاح سحري يفتح مغاليق عقول المجرمين. فقد ظل هؤلاء طيلة سنوات "يحاورون" يوشلسون ويخادعونه بحكايات ملفقة وحيل شتى. اما هذا النوع الجديد المراوح بين سرد الماضي البعيد والحاضر القريب، فكان من الصعب ان يتسنى معه الايهام والتلفيق.

صورة الشر ـ وكان من الامور المذهلة التي اكتشفها يوشلسون، عند اصغائه الى المجرمين وهم يسردون افكارهم، كثرة مظاهر ضراوتهم واتساع نطاقها. اذ تبين له ان كلا منهم قد ارتكب عشرات بل آلاف الاثام قبل القبض عليه للمرة الاولى. واعترف له كل من المجرمين المئتين والاثنين والخمسين بارتكابه من الاثام ما يكفي لتبرير الحكم عليه بالسجن اكثر من ١٥٠٠ سنة. كما تبين له، فضلا عن ذلك، ان كلا منهم قد اقترف جرائم تندرج تحت الفئات الجنائية الثلاث: الملكية، والعرض والاعتداء على الارواح.

وفي ١٩٧٠، طلب يوشلسون الى اختصاصي الطب النفسي الاكلينيكي ستانتون سامنو ان يشاركه في الدراسة، فاتضح لهما ان تطور شخصية المجرم العتيد واحد في جميع الحالات سواء اكان من فئة الاوباش الذين يعتدون على الارواح ام من فئة الموظفين الذين يختلسون الاموال. فقد لاحظ الوالدان ان ابنهما الاصغر كان مختلفا عن سائر اخوته منذ نعومة اظفاره. وهو لفرط نشاطه البدني والعقلي، مع تمتعه عادة بذكاء متوسط او فوق المتوسط، يدمن "الاثارة" اي انه كان محمولا على افتعال المنكرات. وهو دائم القلق، سريع الغضب، لا يعجبه العجب، وهي طباع تلازمه طيلة حياته. وهو، حتى قبل التحاقه بالمدرسة، كان يسرق النقود من كيس امه ويكذب ويغش ويشاكس الآخرين.

ومع ذلك، فاكثر من نصف هؤلاء المجرمين العتاة ينتمون الى اسر راسخة تتوافر فيها عناصر الاستقرار واسباب الرعاية، اسر غنية واخرى فقيرة، ويأتون من احياء فقيرة وأوساط ثرية. وهم تعلموا منذ صغرهم التماس التبريرات لتصرفاتهم بلوم آبائهم او اعتبار انفسهم "من ضحايا البيئة" ناسين ان اخوتهم واخواتهم قد نشأوا في الظروف نفسها وعاشوا مواطنين صالحين.

وقد تبين ان المجرم العتيد يعزف دوما عن مشاعر الحنان فهو لا يتقبلها من الآخرين ولا يتحسس بها نحوهم. وهو لا ينتظر ان تأتي الجريمة اليه بل هو الذي يتوجه اليها عامدا متعمدا وغالبا ما يرتحل عن المنطقة التي نشأ فيها بحثا عن

"الاثارة" وعن احداث جانحين آخرين يقلدهم ويحاول التفوق عليهم. فهو يريد ان يكون الزعيم والاول.

وعندما يكشف امره ويقبض عليه، فانه يستمتع بالاثارة الناشئة عن تهربه من العقاب او نجاحه في تخفيف وطأته. وعندما يمثل امام القضاء الجنائي تراه يطالع كتب القانون ويتعلم الكثير عن الامراض العقلية فيصبح خبيرا في تصنع الجنون. وقد تدارس يوشلسون وسامنو اكثر من ١٠٠ حالة من المجرمين العتاة الذين برئت ساحتهم بسبب الجنون وانتهيا الى الشك في تشخيص اي حالة من حالاتهم.

واكتشف يوشلسون وسامنو ان وراء الصلابة التي يبديها المجرمون "الكبار" تكمن شخصيات ضعيفة وجبانة. وقد يتذكر آباؤهم انهم في صغرهم كانوا يخشون النوم في الظلام، ولا يتحملون اقل الم، ويخافون اكثر من غيرهم من الطبيب ومن الرعد والمرتفعات، و"الغول" والتأذي في العراك. بيد ان معظمهم يتغلبون على الخوف لئلا يسخر منهم الآخرون. ويتكون لدى كل منهم نوع من الحجاب الواقي يجعلهم في مأمن من الخوف وتأنيب الضمير عند ارتكاب الاثام.

ولعل اغرب ما اكتشف يوشلسون وسامنو هو ان كلا من المجرمين المئتين والاثنين والخمسين، لصوصا كانوا او سفاحين، يعتبر نفسه انسانا دمثا وطيبا ولطيفا. وعادة ما يقف مثل هؤلاء المجرمين، وهم في طريقهم الى ارتكاب جرائمهم، لمساعدة عجوز تعبر الطريق، ويهبون غنيمة سطوهم المسلح الى اصدقائهم المحتاجين. ولعل هذه الحسنات تساعدهم على خفت الوازع الداخلي عندهم، فتبعث فيهم بعض الارتياح لدى ارتكاب آثامهم.

برنامج التغيير – وبحلول عام ١٩٧٢، توصل يوشلسون وسامنو الى افتراض اساسي يختلف اختلافا جذريا عن الافكار السيكولوجية والسيوسيولوجية التقليدية، وهو "ان المجرم يستطيع ان يختار ويعمد الى اختيار اسلوب حياته بمطلق حريته. في تطلعه الى النفوذ والسطوة والاثارة. وهو، فضلا عن ذلك، يستطيع ان يغير نفسه اذا ما توافرت لديه الشجاعة والعزيمة الكافيتان لتحمل عواقب اختياره".

ولكي يؤكد يوشلسون وسامنو سداد اسلوبهما، فقد تخليا عن تسمية نفسيهما "اختصاصيين في المعالجة" واعتنقا لقب "معلم" اعتبارا لانهما يستهدفان تعليم هؤلاء المجرمين العتاة القيم والضوابط الاساسية التي يكتسبها الصغار تلقائيا قبل ان يصلوا الى الصف الابتدائي الثالث، واعلنا انهما يتخذان موقفا اخلاقيا سافرا.

وعملية تغيير انماط التفكير لدى المجرمين، طويلة ومملة. ففي المقابلة الاولية مع المجرم يبدأ المعلم الجديد على الفور بالمعلومات التفصيلية عن شخصية المجرم بما في ذلك مخاوفه وانطباعه على الكذب والسرقة والغش منذ نعومة اظفاره. ويجتهد المعلم في استثارة اشمئزاز المجرم من نفسه، فيصف له ضحاياه. فتكون هذه، بالنسبة الى معظم المجرمين، اول مرة يشعرون بانهم يجابهون صراحة تهمة الاجرام، ويسمعون فيها اوصافهم التي يعلمونها في قرارة انفسهم.

ويختم المعلم الدرس بتوجيه انذار

صارم الى المجرم قائلا له: "امامك ثلاثة اختيارات لا غير: فاما السجن واما الاعدام، واما أن تغير نفسك. وهي سبيلك الوحيد الى النجاة، لاننا نستطيع ان نعلمك كيف تغير نفسك. فذلك الخيار ما شئت".

والواقع ان معظم المجرمين يهملون هذه الفرصة. ففي السنوات الاربع الاولى، اقتصر عدد الذين اختاروا على ٣٠ مجرما فقط، اي دون نصف العدد الذي عرضت عليه هذه التجربة، بيد ان هذه الاقلية ادت الى استنتاج مشجع، وهو ان المجرم اذا التزم باشتراطات برنامج "التعليم" يستحيل عليه الا يحقق التغيير الاساسي المطلوب.

في مايو (ايار) ١٩٧٦ اصبح ١٣ من المجرمين العتاة الثلاثين الذين تناولتهم التجربة، يعيشون كمواطنين مسؤولين لهموظائفهم وزوجاتهم وابناؤهم ويلتزمون الى حد كبير بالمعايير السبعة والثلاثين التي حددها يوشلسون وسامنو ضمانا لنجاح التغيير المنشود. بل يمكن اعتبار كثرة من المجرمين الآخرين الذين تناولتهم التجربة انهم اجتازوا هذه التجربة بنجاح اذا ما نعموا بتطبيق المعايير الاصلاحية التقليدية وهي التوظف، وعدم الوقوع مرة اخرى تحت طائلة القانون. ولكنهم سرعان ما واجهوا نواقص جدسدة في امور مثل سوء التصرف المالي والافراط في شرب الخمر، والاكثار من تغيير الوظيفة والافتقار الى الحس بالمسؤولية في ممارسة الجنس.

"اشعر انني نظيف!" – ويقضي البرنامج الاصلاحي ان يلتقي المجرم المفرج عنه تحت المراقبة، لمدة عام كامل بمعدل ثلاث ساعات يوميا في مدة خمسة ايام اسبوعيا، "المعلم" هو واثنان او ثلاثة مجرمين آخرين، وان يمتنع عن شرب الخمر، ويظل وفيا لزوجته او خطيبته. ويجب عليه ايضا ان يجد عملا لنفسه، وعادة ما يكون عملا يدويا يمارس ليلا لاضطراره الى حضور الدروس نصف النهار، كما يجب عليه ان يطلع رب العمل على سجله الاجرامي.

ويسجل المجرم افكاره كل يوم في تقرير يبدأ بعرض ما تعلمه في اليوم السابق. واذا ما كذب المجرم او غش ففي وسع "المعلم" ان يعرف الحقيقة سريعا، بالتحقق منها من الاسرة او من صاحب العمل. وعندئذ يودع المجرم السجن من جديد.

ويتعين على المجرم، لدى التحاقه بالبرنامج، ان يمتنع عن الانزلاقات التي اعتاد عليها في حياة الاجرام. واما اذا تاق الى "الاثارة" فانه يعاني الكثير من اعراض الحرمان: كالدوار والصداع واضطرابات المعدة وارتجاج النبض والتعرق والارق والبكاء. ولكنه يتعلم. وقد تعرض احد المجرمين لنوبة من البكاء والارق طيلة عطلة نهاية الاسبوع، ولكنه سجل في تقريره شيئا جديدا يوم الاثنين اذ قال "احس بالانتعاش واشعر بانني نظيف". ومع الوقت، يستطيع "المعلم"، بالرجوع الى المعايير السبعة والثلاثين، ان يتحقق مما اذا كان المجرم قد تغير حقا.

وقد احتدم نقاش واسع حول التجارب الرائدة التي قام بها يوشلسون (الذي توفي في نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩٧٦) وسامنو، لما فيها من احراج لاساليب الصحة العقلية

والعلاج النفسي في مداواة السلوك الاجرامي فضلا عن استياء علماء الاجتماع الذين يعتقدون ان الاجرام ينجم عن الفقر وسوء المعاملة. ولكن هذه التجارب قد لقيت ايضا الكثير من الثناء. ويقول روبرت ب. ميلز استاذ علم النفس المسؤول عن برنامج اصلاح المجرمين في جامعة سينسيناتي في الولايات المتحدة: "ان دراسة "الشخصية الاجرامية" توفر لمستشاري الاصلاح مخططا اساسيا للبدء في عملية تأهيل جادة".

ويخطط سامنو حاليا لاجراء بحوث جديدة عن المراحل الاولى لحياة المجرم العتيد. وهو يقترح سلسلة من البرامج الرائدة لمواصلة عملية التغيير واختبارها، مثل احداث عيادات جماعية تعمل فيها فرق عدة من المعلمين والمعاونين يعالج كل منها في آن نحو عشرة من المجرمين المفرج عنهم والموضوعين قيد المراقبة. ولكنه يصر على ان من يخادع "المعلم" من هؤلاء المجرمين لا بد ان يعاد الى السجن من دون رحمة او شفقة، لان المجرمين العتاة لن يغيروا ما في انفسهم من ضراوة ما لم يجبروا على مواجهة البدائل المطروحة عليهم.

■ يوجين ميثنين



نوادر

الزبون لخادم المطعم: "احضر لي غذاء رجل اعمال". اما زوجتي فتكتفي "بغداء بسيط لربة بيت".

حمل الموظف في يده شيكا بمرتبه ودخل على رئيسه وقال: "في خصوص علاوتي يا سعادة المدير، كنت اظنها شيئا اقرب الى التضخم من هذا".

تلا الرجل صلاته قبل ان يتناول طعامه، وختمها بقوله: "وامنحنا يا رب المناعة من اثر ما يحويه هذا الطعام من المواد الكيميائية".

مشنوق مع وقف التنفيذ

هناك قصة قديمة عن قاض ريفي في مقاطعة ساساكاتشوان (في كندا)، كان عليه ان يحاكم رجلا متهما بسرقة زورق صغير من زوارق التجديف. وكان على القاضي ايضا ان يساعد الشرطي الذي اعتقل المتهم في صياغة الاتهام، نظرا الى عدم وجود ممثل للنيابة في المنطقة. واخذ القاضي يقلب صفحات القانون الجنائي حتى استقر رأيه اخيرا على ان سرقة القارب عمل من اعمال القرصنة، فكانت تلك هي التهمة التي وجهت الى الرجل. وفي المحاكمة، اعترف الرجل بانه مذنب، فعاد القاضي يقلب صفحات القانون الجنائي ليعرف العقوبة التي ينص عليها. وهاله ان يجد ان تلك العقوبة هي الاعدام. غير ان القاضي كان يملك نصيبا من التفكير السليم، فأمر المذنب بأن يقف، ونطق بالحكم الآتي: "انني احكم عليك بالشنق... مع وقف التنفيذ".

أ.ج.ب.

ينّي، طفل في الثالثة، ملح، لجوج، كثير المطالب والاسئلة، لكن قبلاته مفعمة بالرقة والحنان، وعناقه طافح بالنعومة والطيبة.

عندما يتعهّد الجد حفيده الصغير

كانت والدة الطفل منهمكة في ترتيب حياتها العملية، خارج البلد، فاضطررت الى رعاية طفلها البالغ من العمر ثلاث سنوات لفترة شهر. الطفل يدعى ينّي، وهو تصغير اسم "يوانيس" الذي سمي به تيمنا بجده اليوناني الأصل. اما انا - الجد الآخر - فيدعونني الآن "بوبي" وهو الفضلة التي بقيت من الأسم المصغر "بابو" الذي اختارته لي امه وكانت تناديني به منذ حداثة سنها.

نقيم الآن في منزل ريفي قديم، على ضفاف بحيرة حيث تزورنا الجدة الكريمة في عطلات نهاية الاسبوع، لدى انتهاء عملها في المدينة. والمشكلة العظمى تبقى تحضير الطعام.

فلست اذكر ان احدهم قال عني يوما انني اجيد الطهي. الا ان وجبة الفطور ليست بالامر الصعب، فينّي يهوى الكعك والحلوى على اصنافها، وهذه اشياء بتّ اجيدها الآن واحيانا ينقضي الامر معنا باكل البيض او الحبوب.

وتنحصر المسألة الكبرى في الهائه عندما انصرف الى ترميم الزورق. فهو يلتهي بتكويم الرمال لفترة قصيرة، ثم يلحّ عليّ في مشاركته في اللعب، ويشدد على استخدام كلتا اليدين، فتبادر الى المصارعة مثلا، (ويبدو انه يتقن هذا الفن) او نتقاذف الكرة (وهو لم يتقنها بعد) فاضطر الى التظاهر بضعف همتي التي باتت ضئيلة. الا ان الجدة قد احتاطت لهذا الامر، وهيأت لينّي انماطا من

Condensed from The Montreal Star (October 5, '77) Copyright by The New-York Times Co. 229 W St New York N Y 10036

التسليات المشوقة، كأن تجلسه على طاولة صغيرة على مقربة ثلاثة امتار منها حيث يلهو بلعبته البلاستيكية ويصدر عنه سيل من الاصوات: كلام وتنهد وتلهف وصياح، تعكس ما يتحسس به من بهجة او حرمان.

ناموس الحياة المتبدل ـ عندما ننقل النفايات فيالعربة الصغيرة الى مقلب الاقذار، فالويل لي ان لم تكن البقرات فيْ مرعاها كالعادة، اذ وجب علي تعليل الامر تعليلا وافيا. ثم يتهلل بهجة لرؤية حصان، لكن ذلك لا يثنيه عن طرح الاسئلة وابداء التعليقات من دون ادنى انقطاع.

ولدى الانتهاء من تناول الغداء، يرفض قطعيا ان يأخذ سنة من النوم، الا ان الجدة بواسع حيلتها، استنبطت ما سمته "فترة الصمت والاسترخاء" فيتمدد كل منا على سريره، من دون تبادل الكلام. لكن بني كثيرا ما يغافلني ويختطف الدب الصغير المطروح الى جانبه ويمضي به مسرعا. وليس من النادر ان انهض واتعقب خطواته.

وكثيرا ما يقبل علي، بعد الظهر، بينما انجز بعض الاشغال، ويطلب الي بالحاح ان اساعده على دق بعض المسامير، فلا يسعني الا ان اشك له صفا من المسامير على لوحة مربعة صغيرة من خشب الصنوبر، ويأخذني العجب حين اراه يمسك المطرقة بكلتا يديه، ويدق المسامير بضربات متينة. ثم يتحول انتباهه بغتة الى شيء آخر. وفي بعض الاحايين يمسك بساقي ويشدني قائلا: "بوبي، اعطني قبلة" وليس هذا الا من باب الاغواء المدروس بكل دم بارد خصيصا لتفتيت قلب ابو الهول.

ثم نتوقف عن العمل قرابة الرابعة والنصف ونقصد البحيرة للاستحمام. والطفل شديد الحذر والحرص حيال الماء، ولكن يكفي لتخطي هذه المسألة ان تقذف بالكرة الى البحيرة فيهم، او بالاحرى يلح بسائلا، الى اللحاق بها. ولم يمض اسبوع حتى اخذ يسبح بيديه ورجليه ويتخبط في الماء ويجذف ولكن بمساعدتي بالطبع.

ليست الامور اضواء وانوارا، وليست الحياة مفروشة بالورود على الدوام. فعلى الرغم من التنبيه والتحذير خرج، وكأن امرا لم يكن، يتجول تحت وابل من المطر. ولدى عودته، قابلته بتأنيب شديد اللهجة وببعض الصفعات المدروسة على مؤخرته مما اثار لديه نوبة من الصراخ والعويل. لقد ذهبت بعيدا هذه المرة فشعرت بتأنيب الضمير، وتساءلت عما اذا انقطع الود بيننا الى الابد. ولم اعد احتمل الامر فما كان مني الا ان التقطته ورفعته، وهو لا يزال يبكي وينوح، وحاولت ان اشرح له الموقف، لكن الكلمات لم تكن ضرورية لانه، والحمد لله، لا يعرف الضغينة.

وما اعذب الهدنة بعد الخصام. وما اطيب قبلاته المفعمة بالحنان وقد شعرت بوقعها في نفسي اعذب مما بقي عالقا في ذاكرتي من قبلات وحنان اولادي الثلاثة لخمس وعشرين سنة خلت. ولكنني اذا تفحصت هذا الامر، وانا في حالة شعورية اقل حدة من حالتي هذه، لوجدتهغير مبرر. فهذا نمط من الشعور غير المنطقي الذي لا يستبعد صدوره عن قلب الجد، الا ان الفكرة تنباط في الظهور.

■ وليم. ب. بروير (الابن)

نحوَ عقلٍ يفوق عقل الانسان

التطور المدهش الذي حققته الادمغة الالكترونية بات يفرض ايجاد نماذج جديدة من البشر قادرة على التعايش مع "الاحياء" الاصطناعية.

ان ما قاله الدكتور صموئيل جونسون في عصر منصرم عن النساء اللواتي يقفن واعظات، يصلح قوله الآن عن الادمغة الالكترونية: فالمسألة ليست ان هذه الادمغة تفكر اقل كثيرا من الانسان، بل أنها تفكر فحسب.

ان الدماغ الالكتروني الاول لم يبق من حسناته سوى ذاكرته المذهلة وبعض مهاراته الحسابية. اما اليوم فقد اصبحت افضل النماذج المصنوعة مزوّدة بأسلاك كهربائية تمكنها من التعلم عن طريق الخبرة ومتابعة مناقشة معينة وطرح اسئلة وثيقة الصلة بالموضوع وكتابة شعر وموسيقى ممتعين. كما يمكنها التغلب على ابطال الشطرنج والقيام بنوع من المحادثات المتقطعة.

هذه صفات تضفي بعض الانس على الكمبيوتر: فهو يقلد الحياة وكأنه نسناس الكتروني. وكلما زادت هذه الآلات تعقيدا، تحسن التقليد، الى ان يمحي الخط الفارق بين الاصل والتقليد. ومن المحتمل في غضون ١٥ سنة او أكثر ان ننظر الى الكمبيوتر كشكل طارىء من أشكال الحياة.

وقد يبدو هذا الظن سخيفا للوهلة الاولى اذ ان الادمغة الالكترونية، من ناحية واحدة على الاقل، تنقصها دوافع الكائنات الحية وانفعالاتها. لكن الدوافع يمكن ان تبرمج في الدماغ الالكتروني كما فعلت الطبيعة

Condensed from Time (February 20 '78) Copyright by Time Inc
Time & Life Building Rockefeller Center New York N.Y.

بأدمغة اسلافنا تجهيزا لهم لمعركة البقاء.

الانسان ملك — لقد غدت الادمغة الالكترونية تجاري الناس في القيام ببعض الادوار. وهي غالبا ما تفوق الانسان في الازمات التي تستدعي الاسراع فياتخاذ القرارات. فالدماغ البشري تطور عندما كانت حركة الحياة ابطأ منها اليوم، مما جعل فيه خللا سلكيا يحول دون استيعاب معلومات متعددة المصادر في وقت واحد، والاسراع في بتها... فاذا ما القمت الدماغ اشياء كثيرة في وقت معا، لجعلته يتجمد.

الانسان لا يزال مالكا زمام امره حتى الآن. لكن قدرات الكمبيوتر تزداد على نحو مدهش، في حين ان الذكاء البشري يتغير بطيئا، اذا كان يتغير على الاطلاق. ان قدرة الكمبيوتر تنمو على وتيرة أسيّة. فهي، منذ ١٩٤٦، ازدادت بمعدل عشر مرات كل ثماني سنوات. وهناك اربعة اجيال من الكمبيوتر توالت في تطور سريع، وسينزل الجيل الخامس الى السوق في الثمانينات. وعندما يظهر الجيل السادس في التسعينات، ستبدأ القوة الذهنية للعقل المصنوع من مادة "السليكون" في مجاراة العقل البشري.

في ذلك الحين، ستتعاون الآلات الخارقة الذكاء مع افضل العقول البشرية على حل جميع مشكلات العصر الخطيرة. وما الذي يحصل بعدئذ؟

ان رئيس كلية دارتموث (في هانوفر، ولاية نيوهامشير الامريكية)، جون كيميني، وهو احد رواد استعمالالكمبيوتر، ينظر الى العلاقة الاخيرة بين الانسان والكمبيوتر كوحدة تكافلية تنطوي على تعايش صنفين من الاحياء، يعتمد الواحد منهما على الآخر لبقائه. فالكمبيوتر - وهو شكل جديد من الحياة موقوف على الفكر الخالص - سينال عناية من شركائه الآدميين الذين سيُشبعون حاجاته الجسدية الى الكهرباء وقطع الغيار. وفي المقابل، سيلبي الكمبيوتر حاجاتنا الاجتماعية والاقتصادية.

شركة موقتة — غير ان هذه الشركة لن تدوم طويلا جدا.فذكاء الدماغ الالكتروني ينمو قفزا ووثبا، من دون حدود ضمن مرمى البصر، فيما يكاد التطور البشري يصبح فصلا منتهيا في تاريخ الحياة.

ان الدماغ البشري لم يتغير، على الاقل من حيث الحجم الاجمالي، في السنوات الـ١٠٠٠٠٠ الماضية. وكمية المعلومات والاسلاك التي يمكن حشرها في جمجمة محددة الحجم محدودة هي الاخرى.

بيد ان هذا لا يعني نهاية تطور الذكاء على الارض. فاذا بنينا حكما على الماضي، أمكننا ان نتوقع نشوء شكل بشري جديد من انسان اليوم، يتخطى انجازات هذا الانسان، كما تخطى هو انجازات سلفه، "الانسان المنتصب"، وليس سوى مغال في التعصب للقديم من سيفترض ان الشكل الجديد لا يتحدر الا من لحم الانسان ودمه. ذلك ان هناك احتمالا اقوى لان يكون الشكل الجديد للحياة العاقلة مصنوعا من "السليكون".

ان تاريخ الحياة يوحي بان هذا التطور للاحياء الجديدة سيستغرق قرابة مليون سنة. وبما ان غالبية الاجرام الكونية تفوق الارض قدما،

ليس بملايين السنين فحسب، بل بالمليارات فالحياة علىهذه الاجرام - اذا كان ثمة حياة - تكون قد تجاوزت المرحلة التي نتصدى لها منذ زمنبعيد ٠

ان مليار سنة حقبة طويلة في مجال التطور ٠ فأرقى شكل من الحياة على الارض، لمليار سنة خلت، كان دودة ٠ والحياة العاقلة في الافلاك الشمسية الاخرى، الاقدم من فلكنا، مختلفة عنا ولا شك، كما نحن نختلف عن الكائنات التي تعج في المستنقعات ٠

في أي حال، ربما أشبِع فضولنا قريبا ٠ فهناك الآن فلك من الاشارات التلفزيونية يدور حول الارض بسرعة الضوء٠ وجيراننا (في الافلاك الاخرى) يعرفون اننا هنا، وأجوبتهم واردة في طريقها الينا ٠ وسنتسلم رسالتهم بعد ١٥ او ٢٠ سنة، ونواجه مستقبلنا ٠ فلا نتعجبن اذا كان على شكل "آرتو ديتو"، العليبة الذكية الجذابة، المحشوة بشرائح "السليكون" ٠

■ روبرت جاسترو



البلاستيك يفني نفسه

اكتشف فريق من الكيميائيين في بيرمنغهام طريقة تجعل المواد المصنوعة من البلاستيك تضمحل من تلقائها بعد طرحها مع المهملات ٠

وبدلا من ان تظل الزجاجات والاكياس واللفافات المصنوعة من البلاستيك متناثرة على الشواطىء، وفي المنتجعات تنتظر ان يجيء عمال التنظيف لرفعها، فانها تضمحل وتختفي بعد بعض الوقت، فتتحول اولا الى جزئيات حبيبية، ثم تصبح هذه الحبيبات فريسة تبتلعها البكتيريا، وفي النهاية يختفي اثرها تماما ٠

وقد تحدث البروفسور جيرالد سكوت، رئيس فريق جامعة آستون الذي اهتدى الى هذه الطريقة، فاوضح ان هذا الاكتشاف الحاسم هو عبارة عن مجموعة من الاصباغ التي تضاف الى العجائن البلاستيك لدى طبخها فتجعلها بعد ذلك تضمحل بتأثير الاشعة فوق البنفسجية في ضوء الشمس المباشر ٠ وقد كانت هناك جماعات اخرى من العلماء تعمل في الاتجاه نفسه، ولا سيما في كندا واسوج ٠

ويقول علماء بيرمنغهام ان هذا النوع من الاصباغ لا يتأثر بالاشعة فوق البنفسجية التي تخترق زجاج النوافذ، فلا خوف اذا منها على منتجات البلاستيك الموجودة على رفوف المطابخ او في واجهات المحلات التجارية، باعتبار ان عملية الاضمحلال لا تبدأ الا اذا تعرض البلاستيك مباشرة لضوء الشمس وبقي كذلك لمدة معينة ٠

والجهود المبذولةحاليا تستهدف تحسين هذه الطريقة بما يكفل تدمير البلاستيك خلال ثلاثة اشهر من التعرض لضوء الشمس في الصيف ومن الجائز ان تتدنى هذه المدة الى فترة لا تتجاوز اربعة اسابيع، اذا دعت الحاجة الى ذلك ٠

ولكي يطمئن اصحاب المحلات التجارية وربات البيوت الى عدم مفاجأتهم باضمحلال زجاجات البلاستيك التي تحوي المواد المنظفة وتحولها الى حبيبات، فقد احتاطت "طريقة بيرمنغهام" لهذا الامر وارفقت براءة الاكتشاف بوسيلة انذار مبكر في هذا الصدد ٠ وفي صورة عامة فان الاصباغ الملونة تبدأ بفقد الوانها اولا قبل ان يبدأ اضمحلال البلاستيك بفترة معينة ٠

هذا القلم جزء من اناقتك

قلم " ... ا "
صنع ... يكون
خلواً من ال... ، تماما
كما تصنع ... ة الجيدة،
يوجد منه ... : قلم حبر
ناشف و... حبر سائل،
والاثنان ... ملؤهما كلما
فرغ ...
... "تارغا" في الأيدي

Sheaffer

SHEAFFER EATON TEXTRON
Sheaffer Eaton Division of Textron Inc.

رحّالة الفضاء

الاستكشاف الذي تجاوز حدود كوكبنا لم يقتصر اثره على اسلوب حياتنا ، لكنه احدث ايضا تغييرا عميقا في طريقة تفكيرنا .

ثمة شيء حصل في السنوات العشرين الاخيرة، يبزّ بالتأكيد كلّ شيء آخر حصل سابقاً، وقبل كل شيء. فان المؤرخين المقبلين سينظرون الى هذه المرحلة ويتذكرونها لا لأنها اتسمت بخطر الابادة النووية الشاملة، او التفجّر السكاني، او ازمة الطاقة، بل لأنها المرحلة التاريخية، التي بسط فيها الانسان المتململ، الذي ينقصد الكمال، راحتيه الى خارج جوّ الارض، وشرع في استكشاف خفاياه. فأصبحنا، للمرة الأولى، رحالة في ارجاء الفضاء.

ويقول بعض المؤرخين اليوم ان الاندفاع نحو الفضاء يمثل نقطة تحول في التاريخ. ويعتقد عالم الفلك والمؤلف كارل ساغان ان استكشاف الفضاء "سيغيّر التاريخ على نحو غير معكوس". ومرة قال رائد الصواريخ ورنر فون براون ان التحليق الى القمر لم يكن ليقل عن خطى تضاف الى التطور البشري وتجعل الحياة قبلها مشابهة للحياة التي نشأت من البحر ووطدت نفسها على البرّ.

بيدَ ان موضوع الفضاء لم يثلج صدور الجميع الى هذا الحد. فالنقاد - وهم كثيرون - يقولون ان خوض الفضاء فرّط في استعمال موارد كان يجب تحويلها الى تغذية الناس واكسائهم وايوائهم. وفي حين لا يستطيع احد إنكار وجود عدد من القضايا الملحة التي لم تلق اهتماماً، كما كانت الحال دائما، لكن هذا ربما لا يعود امره الى نشاط الانسان المبذول لاستكشاف الفضاء. فالموازنة السنوية الخاصة بالادارة القومية للطيران والفضاء، تقل عن واحد في المئة من مجموع الموازنة الامريكية الشاملة التي يذهب معظمها الى

شؤون الدفاع والصحة والتربية والانعاش الاجتماعي. وفي هذا الصدد، تقول عالمة الانتروبولوجيا مارغريت ميد: "ليس هناك ادنى برهان على اننا لو لم نهتم بمسائل الفضاء لكنا قمنا بعمل يفوقها قدراً في قيمته الانسانية". وكفانا ان نكون تعلمنا امثولة واحدة، وهي ان للبحث والاستكشاف طريقة رائعة في ردّ أتعابهما، اضافة الى دلالتهما على حيوية الانسان وحبه النّهِم للاستطلاع.

العالم يتوسع - وقد اتاح لنا هذا الفضول ان نشهد المنبسطات الواسعة لحفرة كوبرنيكوس البركانية على سطح القمر، وان نتفرس في سهول المريخ الحمراء وصدوعه العميقة. ويعتقد فيزيائي عصر الفضاء جيمس فان الن الذي اكتشف احزمة الارض الأشعاعية، ان عربة الفضاء المزدوجة "الرحالة" (فوياجر) التي اطلقت خلال صيف ١٩٧٧ سترسل معلومات من النظام الشمسي الخارجي، طوال السنوات الثماني المقبلة على الاقل، على مدى طريقها الى اورانوس. ومن الواضح ان معرفتنا بالطبيعة قد اتسعت رحابها، بحيث صار لزاما على العلماء الاحيائيين ان يوسعوا آفاقهم العقلية للبحث في شكل الحياة المحتمل على الكواكب الاخرى.

في هذه الاثناء، غدت بعض المردودات الناتجة من استكشاف الفضاء جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية. ففي حالة الاتصالات الفضائية، مثلا، اهتدينا الى تكنولوجيا تتيح تبديل الطريقة التي نتعامل بها بعضنا مع بعض، وطريقة تفكيرنا في ذواتنا وفي العالم. وان الاشارات التلفونية - التلفزيونية المنقولة عبر البحار، مع تضاؤل اصواتها وصورها التي تبدو كأنها مرسلة من مكان قصي، لم تعد بعد اليوم الطريقة المثلى في مجال الاتصال.

لقد اصبحت غالبية المكالمات الهاتفية وجميع البرامج التلفزيونية المذاعة عبر القارات والمحيطات تنقل عن طريق الاقمار الاصطناعية، وهكذا، اصبح في استطاعة المزيد من الناس الذين تفصلهم آلاف الكيلومترات ان يشاركوا في الاحداث وكأنهم يعيشونها، كالاحتفالات الرسمية والالعاب الاولمبية. لقد اقتضى مرور زهاء ثمانية اشهر على ابحار كولومبوس قبل ان تنجلي الآمال المعقودة عليه. ولم يصل خبر اغتيال لنكولن الى اوروبا الا بعد مضي اسبوع تقريبا على وقوعه. ولكن لم يلزم اكثر من ١،٣ من الثواني (وهو الوقت الذي استغرقته اشارة التلفزيون المتحركة في سرعة الضوء للوصول الى الأرض) كي يشاهد مئات الملايين رائد الفضاء آرمسترونغ في "وثبته العملاقة لمصلحة الجنس البشري".

الاقمار الاصطناعية - ومن المكافآت الاخرى التي جاءت عن طريق الفضاء، تلك الصور التي تبثها الأقمار الاصطناعية عن تكون الغيوم وحقول الرياح، بما لها من اهمية في التنبؤات الجوية. ولئن تكن هذه التنبؤات لا تزال اقرب الى الفن منها الى العلم، فقد افلحت الاقمار الاصطناعية - من بين اشياء اخرى - في تعيين امكنة العواصف العاتية وتيارات المحيطات الخطرة،

ومراقبتها، وانذار الناس والسفن باخلاء المناطق المهددة.

وهناك القمر الاصطناعي الخاص بالموارد الأرضية الذي لم يكن له ذكر في المخططات الفضائية الأولى. ولكن بعدما عاد رواد الفضاء بروايات عن حسن رؤيتهم للارض، فكر العلماء الجيولوجيون في ابتكار مجموعة "لاندسات" من الاقمار الاصطناعية المعدة لمسح الارض وتفحصها بدقة من خلال سلسلة من الصور الطيفية. فأخذت هذه الأقمار تدور حول الأرض ١٤ مرة يوميا، وترسل من نقطة ممتازة تبعد ٩٠٠ كيلومتر عن سطح الارض صورا بالراديو ساعدت في رسم الخرائط التفصيلية للمناطق النائية، وفي عمليات البحث عن المياه في الاراضي القاحلة، والتنقيب عن المعادن، ومراقبة المحاصيل والغابات.

اما الاستطلاعات العسكرية فقلما يتكلم عنها الناس، ظنا منهم انها امور سرية. لكننا نعرف ان الاقمار الاصطناعية الخاصة بهذه الاستطلاعات تعتمد تقنيات للاستشعار عن بعد تفوق تقنيات "لاندسات". والمراقبة التي تجريها هذه الاقمار من مدارات عالية، تشمل القذائف البالستية (الذاتية الدفع) ما بين القارات والتغييرات الرئيسية في خطط الدفاع وخرق اتفاقات الحد من الاسلحة. والحقيقة انه لولا وجود هذه الوسائل للمراقبة لما امكن التوصل الى اي اتفاق حول السلاح، ولما كانت اية دولة من الدولتين العظميين مستعدة لوضع ثقتها بالثانية.

هذا بعض المردود المباشر من استكشاف الفضاء، ناهيك بكاشفات الحريق المصممة لعربة "سكايلاب" الفضائية والتي اصبحت اليوم متوافرة للاستعمال المنزلي، فضلا عن صناعات معينة بأكملها. وقد ازدهرت بعض التقنيات الالكترونية المتناهية الصغر، على طراز المستنبتات الزجاجية، استجابة لمتطلبات الطيران الفضائي الجديد، واصبحت في عداد الصناعات الانمائية المتقدمة وذات اثر مطرد في حياتنا اليومية.

التصور الجديد للأرض - الا ان ما حدث في هذه السنوات العشرين يتجاوز وطء سطح القمر وكاشفات الحريق وإلفَتَتَنا الجديدة للنظام الشمسي. بل هو اعمق من هذه كلها، ان لم يكن الآن ففي غضون السنوات المقبلة. ذلك لاننا طبعنا في اذهاننا الآن تصورا جديدا مذهلا للأرض وللمكان اللائق بنا جميعا في الكون.

وحينما صورت الارض من مسافة القمر بدت صغيرة جدا وكأنها جوهرة في بحر المدى الاسود، بل شيء استثنائي لا نظير له. وقد كتب ارشيبالد مكليش على اثر تجربة "أبولو ٨": "اذا ما رأينا الارض كما هي في الواقع، رأينا انفسنا وكأننا نمتطي الأرض معاً".

وفي نظر العالم والكاتب رينه دوبو، ربما كانت تلك التجربة باعثا على تحول روحي ثابت، وصفه في كتابه "اله في الداخل" بأنه "لاهوت من الأرض". ويقول دوبو: "الى ان تحققت رؤية الارض من مسافة بعيدة، ظلت الفكرة القائلة بأن الانسان يستمد انسانيته من الأرض، وبان عليه ان يتعهد الارض اذا ما شاء هو الحفاظ على انسانيته، فكرة

مجردة وغير ذات معنى لغالبية الناس".

ويضيف: "ارى ان اعظم انجاز حققه ابولو كان تحويل تلك الافكار المجردة جميعا، مثل "ارض السفينة الفضائية" و"علم التبيؤ الكوني" (الايكولوجيا)، الى ايقاظ الوعي بوجود حقيقة فريدة حول الأرض وحقيقة فريدة حول الانسان. ومن شأن هذا التفرد الأرضي والتفرد الانساني ان يهيبا بالجنس البشري التحسس بشعور خلقي جديد".

ويقول دوبو، في تعبير عملي يتناول المدى الطويل، ان لاهوت الأرض الشمولي الجديد "بدأ يؤثر في البرامج الخاصة بالبيئة، ليس بالمعنى الضيق المنحصر في التلوث وانقراض الموارد، بل بمعنى النظر الى الكرة الارضية على انها وحدة بيولوجية متماسكة". ويضيف ان هذا تغير أساسي لانه "يحملنا على الثقة بأن في استطاعة الانسان ان يدرك الكرة الارضية كنظام كلي، وبالتالي يمكنه ان يتدخل فيه ويدير شؤونه".

لقد قصرنا الكلام حتى الآن على المرحلة البدائية، اي السنوات العشرين الأولى من عصر الفضاء، ولكن بعد سنة او ما الى ذلك، سنشهد تدشين نوع جديد من مركبات الفضاء، هو المكوك الفضائي. فقد صممت العربات الفضائية الضخمة لتنطلق كالصاروخ، وتحلق في مدار معين كالسفينة الفضائية، ثم تعود وتهبط في مدرج كالطائرة الشراعية. ويتوقع لهذه العربات أن تجعل مراحل الفضاء القريبة في متناول الناس العاديين، من دون الاقتصار على كبار رواد الفضاء، بحيث تشمل العلماء

وسواهم من المسافرين.

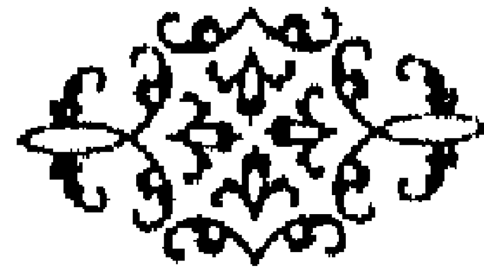
ويقول فيليب موريسون من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا: "ان امكاناتنا لم تتحقق بعد. ومع الوقت، سيتسع حضورنا، الآلي على الأقل ان لم يكن البشري أيضاً، ليشمل النظام الشمسي بأسره".

نحو الخلود - اجل، ربما كنا نتجه، الآن نحو نوع من الخلود، فيما تجتاز عرباتنا النظام الشمسي لتصل بنا الى دهور لا نهاية لها، حيث يعيش الناس لا على الأرض وحدها، بل أيضاً في مخيمات التنجيم على سطح القمر وفي افلاك صنعها الانسان امدادا لسكان الأرض بالطاقة الشمسية.

ويقول فريمان دايسون، الفيزيائي في معهد الدراسات العليا في برنستون: "اذا كنتم تعتقدون اننا سنبقى ملتصقين بسطح الارض الى الأبد، فانكم تقفون موقفا متشائما. أنا لا أظن ان الحال ستكون هكذا في المدى الطويل. فالفضاء يهيىء لنا مستقبلا لا حد له".

ولعل ارتحالنا الى الفضاء يتسبب في هذا التغيير الذي كنا قبله عرضة للانقباض الذي قد يبلغ بنا حد الجنون، فقد توافرت لنا عبر رحيلنا الفضائي عوالم جديدة يمرح فيها الخيال البشري. وربما اهتدينا، في كشفنا وتسخيرنا للفضاء، الى اعظم الاكتشافات طراً، وهو معرفة مكاننا من الكون، وتقدير نواحي ضعفنا ومحدوديتنا الأرضية.

■ جون نوبل ولفورد



مصابيح البعوض الكاشفة

خرج صديقان في نزهة طويلة في العراء لايام عدة، وفي اول ليلة اقاما فيها مخيمهما هاجمهما سرب من البعوض فاسرعا الى الاختباء داخل اكياس النوم. وعندما جرؤوا على اخراج رأسيهما بعد فترة كان البعوض قد ذهب.

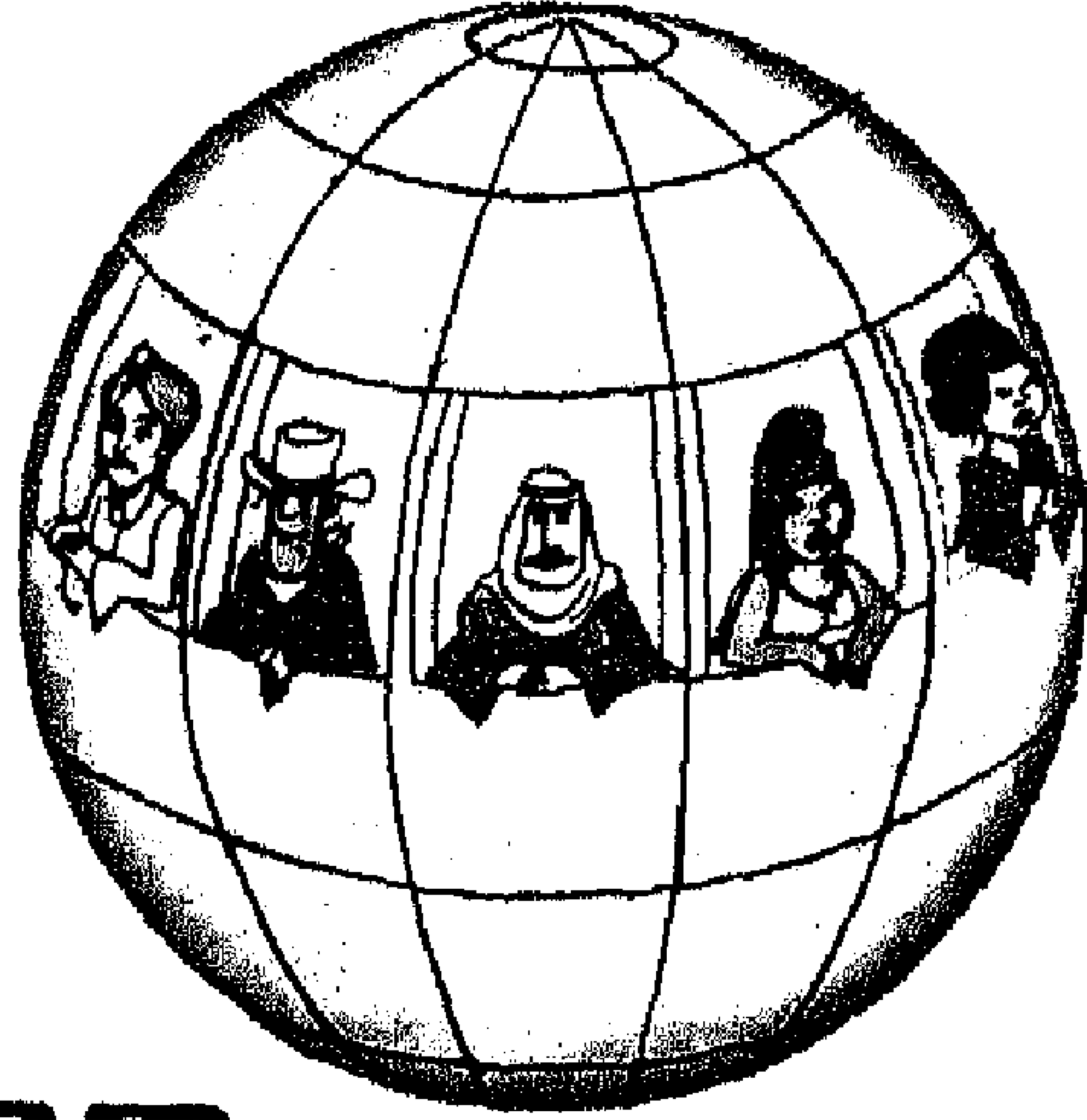
وبعد بضع دقائق، رأيا سربا من الفراشات المضيئة يتجه نحوهما فقال الاول للثاني، وهو يتنهد في يأس: "لقد ضعنا هذه المرة، فها انهم جاؤوا يبحثون عنا بالمصابيح الكاشفة".

ت.ن.م.

احتكاك

ركبت سيارتي ذات صباح متوجهة الى عملي. لكن رجلا تحرك بسيارته من جانب الرصيف امامي واخطأ المناورة واصاب جانب سيارتي. فخرجنا من سيارتينا لتسجيل ما حصل.

وعندما اصلحت سيارتي، ارسلت اليه الفاتورة، فتلقيت منه الرد الآتي: "ارفق مع هذا شيكا بالمبلغ المطلوب، آملا في الا اكون قد سببت لك في ازعاج كبير. ولكم يسعدني دائما ان احتك بسيارة سيدة رائعة الجمال".



حكايات صغيرة من العالم

مدينة لا تدخن

اعلنت مدينة سوشي الروسية الواقعة على البحر الاسود، انها اولى مدن العالم "غير المدخنة". فالقوانين الجديدة تحظر التدخين في جميع المطاعم والمسارح ووسائل النقل العام والمدارس والمستشفيات، بل وعلى الشواطىء. ويقول فياشيلاف فورونكوف في هذا الصدد: "اننا نريد ان يصبح التدخين في مدينتنا نادرا كندرة التجول في الشوارع الرئيسية بالبيجاما".

والمعروف عن الروس انهم من اكثر المدخنين في العالم، وان هناك قرابة ٣٠٠ صنف سجائر في الاتحاد السوفياتي تبلغ مبيعاتها نحو ٤٠٠ الف مليون سيجارة سنويا.

سوق سوداء

نظمت حملة في اوروبا الشرقية لوقف تدفق السراويل الزرقاء (البلودجين) بطريقة غير مشروعة من الغرب، فسجلت نجاحا جديدا بالقضاء على مركز تهريب ايطالي على الحدود اليوغوسلافية، وذلك ان رجال الشرطة قد عثروا على سلك عبر نهر اندريا بين يوغوسلافيا وايطاليا يستخدم في نقل كميات كبيرة من سراويل "الدجين" لبيعها في السوق السوداء في يوغوسلافيا.

وقد ادى ولع الشباب في اوروبا الشرقية بسراويل "الدجين" الى بروز مشكلات عدة انحاء المنطقة. فقد كان من شأن التعريفات الجمركية الباهظة وغيرها من القيود المفروضة على الملابس المستوردة في غالبية الدول الشيوعية، ان فسحت المجال لظهور سوق سوداء واسعة، خصوصا في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا اصبح معها ثمن سروال "الدجين" المهرب، وهو من اكثر الملابس رواجا، قرابة ١٠٠ دولار.

اقزام وجبابرة

كان من بين ما عرضه احد متاحف ارهوس في الدانمرك، مائدة افطار وكراسي بالغة الضخامة يتقزم امامها الزوار من الكبار. والغرض من هذا المعرض الذي كان عنوانه "امزاح ان يكون المرء صغيرا؟" حمل الزائرين على العزوف عن التباهي بانفسهم وتذكير الكبار، لاسيما اولئك الجالسين الى المائدة، بما يشعر به الطفل وهو في وسط الكبار.

فالدانمركيون يدينون بالفلسفة القائلة بان الاطفال ليسوا مجرد كبار لم يكتمل نموهم، وانما افراد صغار يجب ان تؤخذ احجامهم واهتماماتهم في الاعتبار.

نقود خاصة بالمكفوفين

يستطيع المكفوفون في هولندا تحسس اوراق النقد بالنقاط البارزة التي تحملها وتمكنهم من معرفة قيمة كل منها. وتطبع سويسرا ايضا مثل هذا النوع من النقود.

الزواج على الطريقة اليابانية

منذ اربع سنوات اضاف تجمع شركات ميتسوبيشي اليابانية نشاطا اجتماعيا جديدا الى قائمة انشطته المتزايدة، وهو تنظيم الجمع بين الناس عن طريق الزواج. فانشأ نادي "دياموند" العائلي الذي يعنى بتبادل المعلومات الخاصة بالعاملين في ميتسوبيشي الراغبين في الزواج. وقد قرر رؤساء الشركات الثماني والعشرين التي يضمها ميتسوبيشي السماح بقبول طلبات الزواج من غير العاملين في هذا التجمع.
وقد بلغ عدد المسجلين في نادي "دياموند" العائلي ١٢٠٠٠ طالب او طالبة زواج، وهو يستخدم الان حاسبا الكترونيا لتعريف هؤلاء الى بعضهم البعض. وهناك، بعد ذلك، عملية متابعة ينظمها لفيف من المستشارين يضم عادة زوجات مديري ميتسوبيشي وكبار موظفيه. ويتقاضى النادي رسما على التسجيل مقداره ٧٠ دولارا، ويرتفع هذا المبلغ الى ٣٥٠ دولارا اذا تم الزواج. وقد تحققت ٤٢٠ زيجة عن هذا الطريق.

اجمع المال واطرح السروال

بدأ يوناني من اصحاب المطاعم في مونريال عمله بطريقة فريدة في معالجة حساباته. فقد وضع علبة سيجار فارغة على كل من جانبي آلة صرف النقود امامه، وكان يضع في العلبة اليسرى الفواتير التي يجب عليه دفعها، بينما كانت الآلة تحتوي على دخله اليومي. وكان كلما سدد قيمة فاتورة ينقلها مع ايصال الدفع الى علبة السيجار اليمنى.
وعندما انهى اصغر ابنائه دراساته واصبح محاسبا قانونيا، اعرب عن تخوفه من الاسلوب البدائي الذي يعالج به ابوه شؤونه المالية، وقال: "لست افهم كيف يمكنك ان تدير عملا بهذه الطريقة. كيف تستطيع معرفة ارباحك؟"
فأجاب الاب: "حسنا يا بني. عندما نزلت من السفينة التي حملتني من اليونان لم أكن املك سوى البنطلون الذي ارتديه. اما الآن، فان شقيقك طبيب وانت محاسب قانوني وشقيقتك اختصاصية في علاج عيوب النطق وامك وانا نملك سيارة جميلة وبيتا في المدينة ومثله في الريف، اضافة الى عمل مزدهر، وهذا كله قد دفع ثمنه بالكامل. واذا شئت معرفة الربح الذي تبحث عنه، فما عليك اذا سوى ان تجمع ذلك كله، وتطرح منه البنطلون".

و.ج.ك. ـ مونريال

جمال مشعة

اصبح التنقل بالجمال سببا شائعا للحوادث التي تقع ليلا في بعض بلاد الشرق الاوسط الى حد اقتضى معه اتخاذ بعض التدابير لمواجهة هذا الامر. وكان الحل في تزويد الجمل بعدة من مادة فوسفورية مشعة تيسر رؤيته بعد حلول الظلام.

الامارة.. في خير

اعلنت ليختنشتاين، وهي امارة تبلغ مساحتها قرابة ١٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها ٢٤٣٠٠ نسمة، ان شؤونها الاقتصادية تسير على ما يرام على رغم الاضطرابات المالية في دول العالم الاخرى.
ويتضح من احصاءات البنك المركزي هناك ان عدد العاطلين عن العمل قد تدنى من ٥٨ الى ١٧ كما انخفض عدد العاطلين من غير المتفرغين من ١٣٩ شخصا الى شخص واحد، وان هناك ١٤ وظيفة خالية.

"زميل" متواضع!

في مطعم من افخم مطاعم الريفييرا الايطالية، حدق الزبون الوجيه في فاتورة الحساب، وشهق، ثم تمالك نفسه وقال مخاطبا خادم المطعم: "خمسة آلاف لير (٨ دولارات) لوجبة واحدة؟ آمل في ان يكون لديكم حسم لزميل لكم في هذه المهنة".
فسأله الخادم: "هل انت ايضا خادم في مطعم؟".
فقال الرجل: "كلا. انا لص".

المحسن الفقير

هذه قصة رجل فذ، عادي الموارد، لم يسمح أبداً للمال - أو لعدم وجوده - بأن يحول دون قيامه بما يعتقد انه الصواب

ليست هناك مكتبات تحمل اسم توماس كانون. وهو لم يوقف مالا وعقارا على اي كلية، ولم ينشىء اي متحف. ومع ذلك فان هذا الرجل المتين البنية، ذا الشعر الذي مسه المشيب، والبالغ الاثنين والخمسين من العمر والذي يعمل موظفا في بريد ريتشموند في ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة قد جاد بتبرعات مالية لأوجه الخير ربما فاقت - بالنسبة الى ضآلة دخله الذي لا يكاد يبلغ ١٧٠٠٠ دولار في العام - ما قدمه كثيرون من كبار المحسنين الامريكيين.

فقد استطاع كانون، بفضل الانكباب على عمله وتقشفه في عيشه منذ عام ١٩٦٨، ان يقتصد ٣٥٠٠٠ دولار قدمها منحا وهبات الى مستحقيها من معارفه والغرباء عنه، وشمل عونه المباشر عشرات الناس، وكان قدوة طيبة لآلاف سواهم من المحسنين.

يقول كانون: "يظن بعض الناس اني مؤسسة خيرية من رجل واحد، ولكني لست كذلك. انا اعطي الناس، لان الله اسبغ علي نعمته، كأمريكي وكفرد، واريد ان اتشاطر النعمة مع الآخرين. كما اريد ان اضرب مثلا يحتذى في مكافأة العمل الطيب، او الشجاعة الفائقة، او مساعدة اولئك الذين ناضلوا وهم الان على حافة اليأس".

ومثال ذلك ان لصين مسلحين دخلا بعد ظهر احد الايام، قبل بضع

سنوات، مركزا لتوزيع طوابع الغذاء على المحتاجين والعاطلين الذين يتلقون اعانات من الدولة. وكان يتولى الحراسة آنئذ ضابط الشرطة الشاب فرنون ل. جاريل، الذي يبلغ من العمر ٢٢ سنة. واعقبت دخول اللصين معركة بالاسلحة النارية قتل فيها جاريل مخلفا وراءه ارملة وطفلة رضيعا من دون مورد او معيل. وفي اليوم التالي، قرأ كانون في الصحف خبر الكارثة التي حاقت بالسيدة جاريل، فأرسل اليها شيكا بالف دولار.

ويقول كانون: "كنت اجهل حالتها المالية. لكن الموقف بالنسبة الي كان موقفا استطيع انا، بتصرفي الفردي، ان اقدم عونا فوريا. كانت السيدة يعوزها التشجيع في تلك اللحظة، وفي ذلك اليوم عينه، وليس بعد ذلك باسابيع او اشهر".

وبلغ كانون يوما ان هناك صبيا يجهد في كسب القوت لاسرته على الرغم من اصابته بورم خبيث في المخ يوهن قواه، وقد ثابر ايضا على الدراسة فنال الشهادة الثانوية. وتأثر كانون باقدام هذا الصبي وشجاعته، فوقع على شيك لامره بالف دولار.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧، قرأ كانون في الصحف قصة اب شاب يدعى بوبي هدسون، راحت زوجته في غيبوبة بعد ان وضعت طفلها الخامس. وكان هذا الاب الشاب يقوم مجتهدا بعملين لكي يعول اسرته. وحين مرضت زوجته، اصبح مضطرا الى وضع اطفاله او بعضهم في دار للحضانة، ما لم يجد امرأة تتولى رعايتهم. وما ان قرأ كانون القصة حتى ارسل الى هدسون شيكا بالف دولار، مصحوبا بكلمة وجيزة يقول فيها: "ان ما يدفعني الى ارسال هذه الهبة، ليس مجرد حاجتك اليها فحسب، وانما ايضا ما تبديه من ابوة متفانية شجاعة".

وليس في فهم كانون لاعمال البر، اي سذاجة على الاطلاق. فهو ادرك منذ زمن بعيد ان مصاعب المحتاجين في العالم تتجاوز كثيرا موارده المالية الضئيلة، لكن ذلك لم يثنه عن ان يفعل ما في قدرته. وهو يقول: "كنت استطيع ان اكتفي بالقعود والتأسف على احوال العالم من دون ان افعل شيئا، لان المشكلات كثيرة وضخمة ودخلي محدود وقليل. ولكن تلك ليست شيمتي. فانني استطيع الكثير، بمجرد ان افعل ما في قدرتي".

الخروج من الفقر - ولقد كان لهذا الاسلوب، مضافا اليه مقدار كبير من الانضباط الشخصي، الفضل، في اول الامر، في انتشال كانون من اعماق الفقر في الريف. فهو ولد لاسرة من فقراء السود ولم يكد يبلغ الثالثة من العمر حتى توفي ابوه تاركا اسرته بلا مورد او عائل سوى مجموعة متواضعة من الاشياء، من بينها قصص مصورة من الكتاب المقدس كان لها تأثيرها الكبير في نفس كانون.

وفي السن الثالثة عشرة، انقطع كانون عن الدراسة كي يعاون في اعالة والدته ويتولى اعالة نفسه. وفي السابعة عشرة التحق بالاسطول الامريكي وعين في كتيبة، كل افرادها من السود، تولى شحن سفن الذخائر المتجهة الى منطقة القتال

في المحيط الهادي. وفي ١٦ يوليو (تموز) ١٩٤٤، نقل كانون الى مدرسة المدفعية، وفي يوم نقله بالذات من كتيبته القديمة، انفجرت سفينتان من سفن الذخائر التي كان يشترك في شحنها، وقتل في الحادث ٣٢٢ شخصا من زملائه السابقين. فتعجب كانون لنجاته، واخذ يتساءل عن سببها، فقال: "انني عازب ووحيد، ولا تنجم عن وفاتي خسارة كبيرة بينما لكثير من الرجال الذين قتلوا في الحادث اسر تحتاج اليهم. ومع ذلك، فقد قدرت لي النجاة وحملتني على التفكير العميق". لكن هذا لم يهده الى تفسير حسن طالعه، الى ان وقع له حادث مماثل آخر، هو الآتي:

بعد انتهاء خدمته في الاسطول، اشتغل كانون عاملا في تفريغ السفن المحملة سكرا وذات يوم كانت الرافعة ترفع من عنبر احدى السفن حملا من السكر "وكنت قد ابتعدت قليلا لاحصل على شربة ماء. وما ان سرت حوالى عشر خطوات حتى سمعت الزملاء يصرخون، فنظرت الى اعلى، واذا بي ارى بالة وزنها عدة اطنان تهوي نحوي. واذا حاولت ان اجري تعثرت، فصدمتني البالة الساقطة في اثناء وقوعي وطوحت بي في بقعة مخفوضة وسط بعض اكياس السكر. وبدا ذلك امرا لا يمكن تفسيره بانه مجرد مصادفة، فتحققت آنذاك من ان هناك قوة ترعاني، واقتنعت بأن داعيا دعا لانقاذي".

وقرر كانون ان يعود الى المدرسة، فسجل نفسه في الصف الابتدائي الثامن، بطريقته المباشرة الخاصة، ويصف كانون ذلك بقوله في ضحكة خافتة: "اعترف بان الامر اثار دهشة الكثيرين حين تقدمت لابدأ الدراسة، فقد كنت في الثالثة والعشرين اكبر تلميذ في الفصل".

ولفت كانون في فصله معلمة كان لها اثر كبير في حياته. وهو يروي ذلك بالآتي: "بعد ان تبادلت المعلمة الرأي مع مستشار التوجيه المدرسي، تحققت من طاقتي على متابعة الدراسة في مستوى اعلى من الصف الثامن، فاتخذت الترتيبات لكي اتقدم لاختبار القبول في احدى الكليات، وقد نجحت فيه فانتقلت خلال عام واحد من الصف الابتدائي الثامن الى الكلية ولما تحقق ذلك لي لولا اهتمام المعلمة بأمري".

وفي تلك الاثناء، تزوج كانون وراح يعمل ليلا في مصنع للنسيج كي يعول نفسه وزوجته برنسيا وطفليهما. وقد ترتب على نجاحه في امتحان القبول في الكلية ان اصبح له حق الانتفاع بقانون حقوق المجندين المسرحين الذي يكفل لقدامى المحاربين المشتركين في الحرب العالمية الثانية بعض الفوائد التعليمية وغيرها. ولم يعتبر كانون هذه الفوائد كحق خولته اياه خدمته العسكرية، وانما اعتبرها نعمة اسبغها عليه وطنه.

موظف البريد — واراد كانون بعد انتهاء دراسته في الكلية ان يشتغل في تدريس الفن، ولكن لم تكن هناك وظيفة خالية من هذا النوع في أي مدرسة ثانوية، فانتهى الى الالتحاق بخدمة البريد. وطلب بعد ذلك ان يعمل في فرز الخطابات في عربات البريد الملحقة بالقطارات. وهو يقول

في ذلك: "اتاح لي ركوب القطار في الليل وقتا طويلا للتفكير. واحسست احساسا بالغ العمق بوجوب مساعدتي للآخرين في شكل ما، لكنني لم اهتد الى الوسيلة".

ثم نقل كانون للعمل في مكتب البريد المركزي في ريتشموند حيث جرى له حادث غريب يرويه هنا: "كنت مع عدد من الزملاء نعمل في فرز الخطابات على حزام ناقل، ونحن نتجادل في مسألة فلسفية. وفي لحظة معينة، تفوهت بعبارة مستقاة من رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية فقلت: "ان الانسان انما يحصد ما زرع". ولم تكد العبارة تخرج من فمي حتى انفتح امامي على الحزام الناقل مظروف كبير تبعثرت منه اوراق كثيرة، تعلوها جميعا ورقة عليها الآية نفسها مطبوعة بخط واضح".

كانت رغبة كانون في مساعدة الاخرين تلقائية من دون تكلف، اما الآن، بعد هذه الواقعة، فقد تملكته الرغبة في القيام بعمل مباشر ومنظم. ولكن ما الذي يستطيعه كاتب بسيط في البريد مثلا؟

"لقد اتضح لي الامر بأكمله عندما ادركت ان المال هو اقوى الرموز في حضارتنا هذه، فرأيت انني اذا استخدمت مبالغ - وان صغيرة - من هذا المال استخداما سليما لتمكنت من مساعدة الناس، وتسجيل كلمتي عالية قوية. فاذا اجتهدت في كسب اكثر ما استطيع، وراعيت الحرص والاقتصاد في نفقاتي واستخدمت الفائض من المال لمعاونة الآخرين اصبح للحياة معنى لدي، آنذاك".

ان كلمة "فائض" غامضة. فبعض الناس لا يتوافر لديهم اي "فائض" على الاطلاق، مهما كسبوا. غير ان كانون، بحكم نشأته الفقيرة، يملك احساسا لا يخيب بما هو ضروري وما هو كمالي. فهو يعيش في بيت قديم يستلزم كثيرا من التحسينات ويركب سيارة عمرها ١٤ عاما، وينفق القليل على الملابس، واقل القليل على المشروبات ولا شيء اطلاقا على التدخين. ويقول كانون: "اننا ننعم بالدفء، ونأكل كفايتنا، ولا نفتقر الى شيء من ضروريات الحياة".

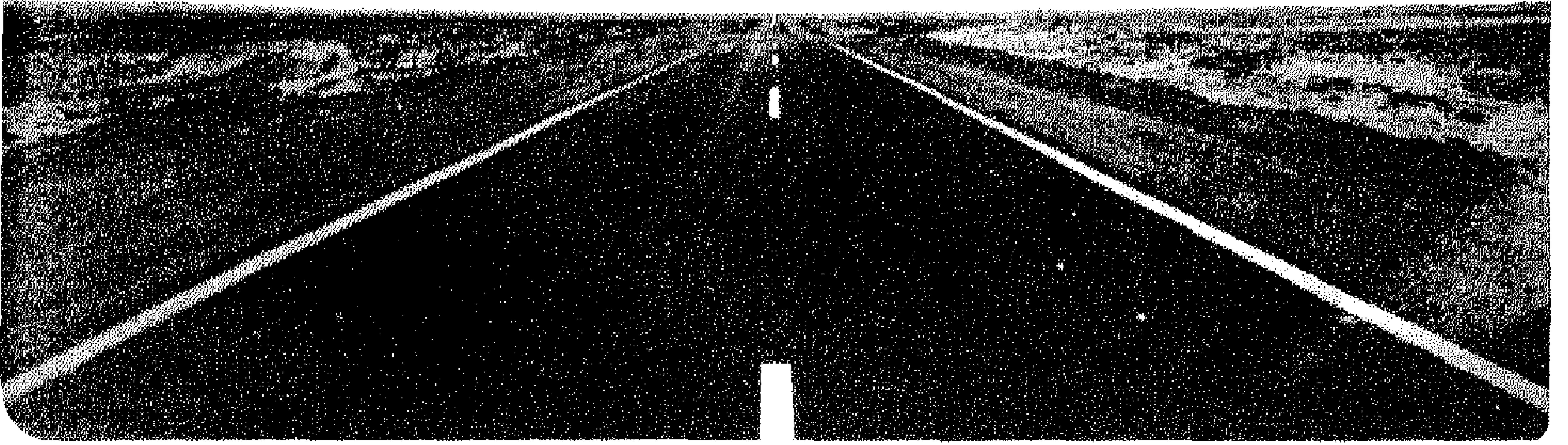
بيد ان كانون لم يهمل اسرته من اجل الانفاق على الهواية التي اختارها لنفسه. فهو انفق على تعليم ابنائه حتى تخرجوا في الجامعة، ويجتهد في ادخار الفين او ثلاثة آلاف دولار لمواجهة الطوارىء التي قد تتعرض لها الاسرة، ولكنه نادرا ما يتجاوز ذلك الى اي انفاق كمالي آخر، اذ ان كل دانق بعد ذلك ينفق على مساعدة الآخرين.

ولا تقابل اعمال كانون دائما بالثناء. وهو يقول: "ان بعض جيراني يعتقدون اني مخبل، شديد الاهتياج، ويحذرون برنسيا بأن تصدني عما افعله. الا انها - بعد ٣١ عاما من الزواج - تفهم ما افعله وتدرك دواعيه".

وهناك فئات اخرى من الناس تفهم اعماله وتقدرها حق قدرها. فقد تلقى كانون منذ عهد قريب خطابا من تلك الخطابات التي تفحم كل نقد، جاءه من تلاميذ الصف الابتدائي الثالث في مدرسة سان دييغو، في كاليفورنيا، يقولون له فيه: "ان بلادنا لمحظوظة بان تضم مواطنا من امثالك يهتم كل هذا الاهتمام بالآخرين".

ويقول كانون معلقا: "ان خطابا كهذا لأثمن من كل ما يشرى بالمال".

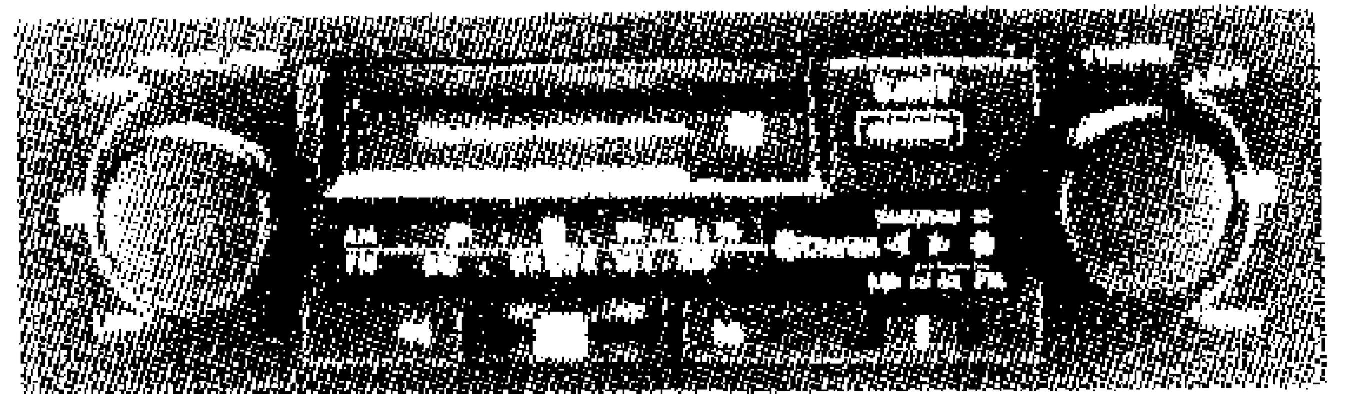
■ جيرالد مور



كلاريُون

رفيقـك المفضل على الطرق

اثبت جهاز كلاريون انه جدير بثقتك على الطرق
الاشد وعورة وفي الطقس الاشد حرارة. وهو مصم
ليكون سهل التشغيل فيساهم بالتالي في راحتك واه
سيرك. وكلاريون التي اشتهرت بجودة منتجاتها
ومتانة ادائها تزودك بمجموعة كبيرة من
ستيربوهات السيارات، وكلها سهلة التركيب:
فاختر منها الجهاز الذي يروقك.
كلاريون — يجعل القيادة اكثر متعة.



PE-663

Clarion

Clarion Co., Ltd. Tokyo, Japan

رحلة مدهشة في قلب مريض

لكل منا قلب آخر يخفق في حناياه، قلب فيه من النشوة والعذوبة ما يتعذر على اي علم من العلوم الطبية·

بعد انقضاء ستة عقود تقريبا من الصحة الممتازة، اتممت اخيرا الدورة الثلاثية المراحل التي بات يخضع لها كل المصابين بمرض القلب: النوبة الحادة، الشفاء، التكيف لاستعادة الحالة الطبيعية· وها أنذا اتمتع بالمزايا - وهي كثيرة - التي ينعم بها الاعضاء العاملون في ذلك النظام الشامل المنبثق من زوال الاعتدال الجسدي·

ومن هذه المزايا استعادة العافية· فلكم سمعنا من اصدقائنا اننا لم نبد بصحة افضل قبل الآن، ولكنهم هم اول من يدهشون عندما يكتشفون انهم كانوا يخلصون القول في الوقت الذي لم يقصدوا سوى المجاملة· واما نحن فلا تلحق بنا الدهشة لعلمنا اننا عدنا قبل فوات الوقت الى الحمية الحقيقية، والى اقامة التوازن الدقيق بين التمرين والراحة، والى نبذ العادات القديمة عن طيب خاطر، فاتاحت لنا بعض الوقت - وان على حساب غيره - للتحسس بالمزيد من الحياة·

فنحن، مرضى القلب، نجد العالم وكل ما فيه، اكثر رونقا وبهجة· عندما تقرر امر مرضي القلبي في المرة الاولى، ونقلت علىالفور الى احد المستشفيات في سولفاج (ولاية كاليفورنيا)، بدأت مغامرات قلبي، بينما رافق ما تبقى مني - مجرد وعاء - ذلك العليل ·ورحت انتظر وكأنني من لحمة اقربائي خارج حلقة المعالجين الذين انحصر اهتمامهم في مداواة قلبي، وكان يفطن احدهم احيانا قليلة الى تحرير نشرة طبية او

Condensed from Blair and Ketchum's Country Journal (January 1978) Copyright 1978 by Country Journal Publishing Co., Inc., 139 Main Street, Brattleboro, Vermont 05301

وضع وسادة تحت رأسي.

ولكي يتيسر الحصول على استشارة طبية عاجلة مساء السبت، حين يتعذر الاهتداء الى اي اختصاصي محلي، فقد لجأ عدد من المستشفيات الريفية الى الاشتراك في احدى مؤسسات "عصر الفضاء" التي تهتم بنقل نبضات القلب المريض الى طبيب يقيم على مسافة نائية. فحاولنا الاتصال به بواسطة الهاتف المعلق الى جانب السرير، وانتظرنا المهلة اللازمة لتركيب رقم المكالمات البعيدة. ثم انفتحت طريق المكالمة بطنين عميق ومرتفع، على غرار صفارة الانذار، وعلى الاثر تم انذار الطبيب بالامر، فاتصلت شرايين قلبي في الحال بسان فرنسيسكو، وراحت ابرة التسجيل تتأرجح على شريط من الورق المخطط، في غرفة تطل، حسبما خيل الي، على خليج سان فرنسيسكو. وكانت المسافة الفاصلة بين قلبي واذن الطبيب لا تقل عن ٥٠٠ كيلومتر، ومع ذلك فقد سمعني الى الصميم.

ولما كنت انتظر، بعيدا عن مسمع الاذن، فقد تساءلت حول هذا الموضوع:

هل قضى الطبيب امسية سبته على غرار ما قضيته انا؟ وهل كان يتبين من خلال الخط المترجرج الذي سجله المخطط الالكتروني للقلب، طوية افكاري في تلك الآونة؟ ام انني لم اكن بالنسبة اليه سوى عضلة منتفضة في مكان ما على الساحل؟ وعلى اية حال، فان نبضة القلب، التي يتحسسها امرؤ على بعد ٥٠٠ كيلومتر تبعث في نفس مخاطبه التلفوني شعورا بما هو عليه من الاهمية. وهكذا كان تأثيري على الاقل.

قلبي على الشاشة ـ وبعد تلك الليلة الاولى التي قضيتها منعزلا في قسم المعالجة القلبية، التحقت بمجموعة صغيرة من الممرضات لمشاهدة "ماراثون" تلفزيوني. فبعد ان وضعت الاسلاك الناقلة بالشكل الذي يلائمني، استلقيت تحت الجهاز التلفزيوني المثبت على الحائط، فوق سريري.

ولدى اشارة من مدير البرامج، بدأت خفقات قلبي ترقص عبر الشاشة. وقد ادت هذه الخفقات المترجرجة الى تكسر الخط الضوئي الافقي في منحنيات عنيفة مليئة بالمسننات والوثبات البارزة، كما يتكسر الجليد على سطح بركة متجمدة.

انها حقا طاقة بالغة وقدرة هائلة على الاحتمال.

ولكن هل سينزل الكلل بالراقص قبل انتهاء العرض؟ وماذا لو غلبنيالنعاس وفاتتني الخاتمة؟ هل ينحني الراقص وينصرف، ويتجاوز الخط الابيض المستقيم متبوعا بعزف النشيد الوطني؟

وتمنيت لو ان لراقصي حذاء احمر على غرار بطلة هانز كريستيان اندرسونكلما كان يتوقف عنالرقص.

واستمر "الماراثون" التلفزيوني طيلة خمسة ايام وليال، ولم يحل التعب ابدا بالراقص، ولكنه استولى على الحضور. وظل الراقص يرقص فيما نحن سئمنا. ثمةفترة استراحة تحل في مغامرات قلب مشهور لا يتخللها اي ظهور علني. انها مرحلة

قصيرة من الراحة حظيت فيها اخيرا بنصيبي من الاعتبار ولقيت مزيدا من العناية فاصبحت انعم بالخدمة المناسبة وأساعدُ على اقتعاد كرسي خلال اعداد السرير وأسألُ عن الطعام الذي ارغب فيه للعشاء. ولكنها مرحلة خطرة ايضا: ففي الوقت الذي يرتاح القلب يبدأ الذهن بالرقص، قافزا بين الماضي والحاضر، شديد القلق والاضطراب لكونه في هذا الجوار. وسلاح الدفاع الوحيد فيهذا الوضع هو التسلية. التقطت رواية بوليسية من على منضدة السرير. وكانت الحبكة القصصية تتناول القاء حبوب كافية للقتل في زجاجة من الشراب. وقد كشف التحليل ان السم هو حبة القلب نفسها التي كنت ابتلعها مرة كل يوم.

وكان زائري الاول خلال هذه الفترة صديقة مات زوجها اخيرا على اثر نوبة قلبية. وما كان منها الا ان روت لي الحادثة. وعندما انصرفت، فتحت جهاز التلفزيون. وكان "الشهر القومي" للقلب، وراح المذيع يحثني بلهجته الوقورة على تقديم الدعم لجمعية القلب المحلية. سأفعل ذلك، سأفعل ذلك.

وفي نهاية "اسبوع الاستراحة" اعادوني الى منزلي، مع تمكيني من استعادة الحياة الروتينية السابقة، باستثناء بعض القيود المحددة: الاكثار من المشي، اختبار دقيق للحدود الجديدة التي يجب الالتزام بها، انسحاب سريع من كل النزاعات.

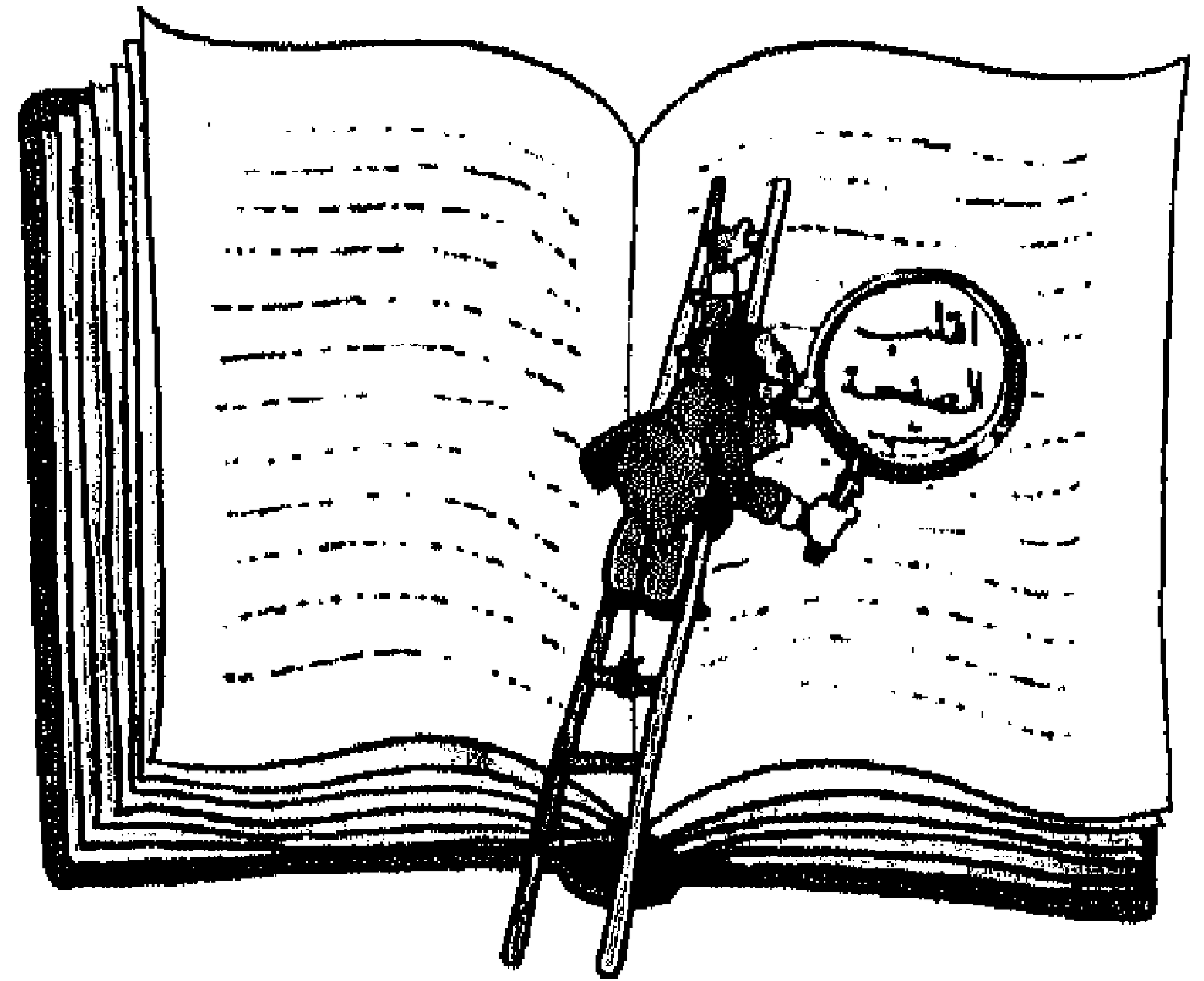
وخلال هذه المرحلة، وهي المرحلة الثالثة لاستعادة حالتي الطبيعية، اصبح قلبي وذهني في نهاية الامر متجاريين متوافقتين يرتقبان الايام المقبلة، ويلاحظان اصغر الامور.

الا ان مغامرات قلبي لم تنته مع ذلك. فما ان بدأت انسى النجم الذي في صدري حتى اعلموني بوجوب الرجوع الى المستشفى لاجراء مزيد من الفحوصات. وقد سافرنا، انا وقلبي، هذه المرة، الى مستشفى في المدينة حيث كانت تنتظرنا اجهزة اشد تعقيدا من ذي قبل، فطلب الاطباء اجراء تخطيط حيوي للقلب، اي صورة لجوانب تظهر على الشاشة عن طريق رشق القلب بامواج فوقصوتية. وتوجهنا، انا وقلبي، الى الوحدة الفوقصوتية، حيث اعلموني بان تردد الصوت بتجاوز مجال السمع البشري. ربما سيعهد القيام بذلك الى كلب. ولكن لم يكن هناك كلب، بل عوضا عن ذلك كانت هناك ممرضة في انتظارنا، كذلك جهاز تلفزيوني من الطراز الضخم، واسلاكه تلتوي بحثا عن مأخذ.

بعدما ربطت بسلكين اضافيين، استلقيت على منضدة عالية بينما راحت الممرضة تمرر جهاز ارسال باردا جيئة وذهابا فوق قلبي، هذا الممثل المسرحي.

وعلى الرغم من انني لم اكن استطيع مشاهدة الشاشة، فقد سمعت تعليقات الحضور. وتم تصوير الفيلم في اقل من نصف ساعة، وأُذن لنا بالانصراف.

لقد انسحب قلبي من الحياة العامة لاستعادة العلاقة التي يجب ان تقوم بين الانسان وقلبه. لقد تبدلت صلتي بالآلات. وبدأت اشعر الآن بعدم



دائرة المعارف

هذا الباب يفتحه "المختار" بهدف زيادة معارف قرائه من جهة، ومساعدتهم على فهم بعض المواضيع المتخصصة، ولا سيما العلمية منها.

ومن اجل الوصول الى هذا الهدف اخذ "المختار" بفكرة الرياضة الذهنية فاسحا امام قرائه مجال الاختبار والامتحان وحتى تسجيل العلامات والدرجات.

كلمات الدائرة في هذا العدد مأخوذة من مقالاته، وقد وضعت امام كل كلمة اربعة معان واحد منها فقط صحيح.
والمطلوب من القارئ ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا ثم يقارن بينه وبين المعنى المدرج في صفحة الاجوبة. وبعد ذلك يجري حسابا للعلامات التي نالها بمعدل واحدة لكل كلمة.

١٠ الوابل: المطر الشديد - الكلام القاسي - المرض - الموت.

٢٠ ثَنى: وافق - مدح - رَدَع - طوى.

٣٠ دَمِث: لطيف - دميم الوجه - مذموم - أبله.

٤٠ أمَدّ: طال - أطال - أقام مدّة - أعان.

٥٠ تَصَدّى: قام - اقتحم - تعرّض - عطش شديداً.

٦٠ زُهاء: مسافة - مقدار - اضمحلال - هَدْر.

٧٠ براثن: قوائم - أنياب - ريش حاد - أظفار.

٠٨ الرَّقيم: المرسوم الملكي - الختم - القلم - الكتاب.

٠٩ المَحّ: اللون الأبيض - صفرة البيض - الصدَفة - الثوب البالي.

١٠٠ يُشاكس: يخالف - ينافس - يشكو - يبخل.

١١٠ يَستأهِل: يتزوّج - يستعدّ - يألف - يستحقّ.

١٢٠ مِنْضَدَة: وعاء يرمى فيه رماد التبغ - سرير - طاولة - مركبة هوائية بلا جناحين.

١٣٠ حَوْلية: سياج - استحالة - قدرة - سنويّة.

١٤٠ مُتَوَفّر: جاهز - كثير - منكبّ - مُدّخَر.

١٥٠ النَوْرَس: الحمام الزاجل - طائر مائي - الصقر - الحصان.

١٦٠ يُحَمْلِق: ينظر بحدّة - يفتش - يغضب - يطير مرتفعاً.

١٧٠ الحاضِرَة: سور المدينة - حرّاس المدينة - السجلّ - المدينة الكبيرة.

١٨٠ ذَلِق: متهوّر - بليغ - ماجِن - قبيح.

١٩٠ طارئ: مفاجئ - خَطِر - طريء - إثر.

٢٠٠ الطَّوِيّة: الناحية - الضعف - النية - الهيئة.

٢١٠ قُنوط: يأس - ملل - حزن - ألم.

٢٢٠ بَزّ: فاخَرَ - أسْرَعَ - لبس - غَلَبَ.

٢٣٠ تَمَلّق: رَشا - كذبَ - افْتَقَرَ - تودّد.

٢٤٠ الأَرَق: السَّهَر - النهوض من النوم - ذهاب النوم في الليل - الاضطراب.

٢٥٠ تَضَوَّر: جاع او تألم كثيراً - أصابه ضَرَر - ذَهَبَ بصره - احتاج.

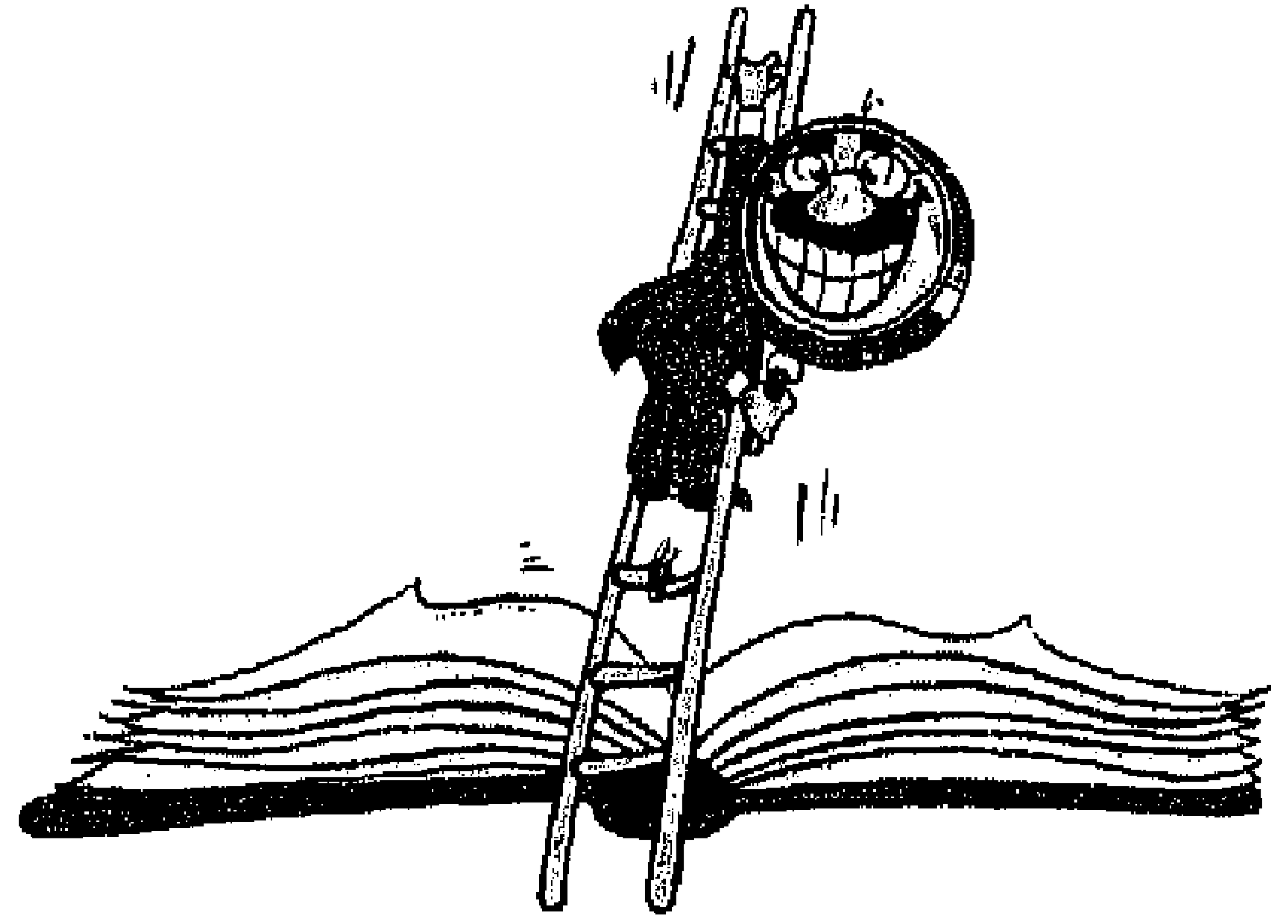
٢٦٠ أذْعَنَ: أقرّ (بالحقّ) - انكسر - أمَرَ - نَصَحَ.

٢٧٠ نَهَم: شَرَه - جوع - كثرة الأكل - همّ.

٢٨٠ الكَهْل: من كانت سنه أقرب الى: ٣٠ - ٤٥ - ٦٥ - ٨٠.

٢٩٠ الزُمْرة: الغناء - المزمار - الجماعة - صوت النعام.

٣٠٠ صَحائف: كتب منسوبة إلى غير مؤلفيها - صُحُف - صحون - رفوف كتب.



الاجوبة الصحيحة

١٠ **الوابل:** المطر الشديد. ويقال أيضاً: الوَبْل (أمطرَت الوَبْل).
٠٢ **أثْنى على الشخص:** مدحه. تثانوا عليه: أظهروا ألطافه. الثناء: المدح، وجمعها أثْنية.
٠٣ **دَمِث:** سهل الأخلاق، لطيف، طيب المعشر.
٠٤ **أمَدَّ:** أعانَ، أغاث، زَوَّدَ.
٠٥ **تَصَدَّى:** تعرَّض (لشخص)، رفع رأسه (لأمر).
٠٦ **زُهاء:** مقدار. ويقال أيضاً: زُهاق وزِهاق.
٠٧ **براثن:** أظفار السباع والطيور.
٠٨ **الرَّقيم:** الكتاب. من فعل رَقَمَ ورَقَّمَ: كَتَبَ.
٠٩ **المُحّ:** صفرة البيض، خالص كلّ شيء.
١٠٠ **يشاكس:** يخالف، يعاسر.
١١٠ **يَسْتأهل:** يستحقّ، يستوجب، يراه أهلاً.
١٢٠ **منضدة:** طاولة، شيء ذو أربع قوائم توضَع عليه أغراض.
١٣٠ **حولية:** صفة مؤنَّثة منسوبة إلى "حَوْل" (سنة)، كصفة، تطلَق على الشيء الذي يظهر مرّة واحدة في السنة. وكاسم، تطلَق على المجلة او النشرة التي تصدر مرّة في السنة.
١٤٠ **متوفِّر:** منكبّ، صارف الهمة إلى عمل ما. والكلمة تستعمل خطأً بمعنى "متوافر". والأخيرة معناها موجود بكثرة أو مؤمَّن. توافرَ الشيءَ واتَّفَرَ: كثر واتَّسَعَ.
١٥٠ **النورس:** طائر بحري، زمّج الماء.
١٦٠ **يحملق:** ينظر نظرة حادّة بعينين مفتوحتين.
١٧٠ **الحاضرة:** المدينة الكبيرة. من معاني الحاضرة أيضاً: أُذُن الفيل.
١٨٠ **ذَلِق:** بليغ، فصيح، الحادّ من الألسنة والأسنَّة.
١٩٠ **طارئ:** مفاجئ، غريب، خلاف الأصلي.
٢٠٠ **الطوِّية:** النيّة، الضمير.
٢١٠ **قنوط:** يأس. قَنَطَ، قَنِطَ، قَنُطَ: يئِسَ. قَنَطَهُ: مَنَعَهُ.
٢٢٠ **بزَّ:** غلَبَ، فاق.
٢٣٠ **تملَّق:** تودَّد بكلام لا يعكس ما في القلب، استرخى، تذلَّل.
٢٤٠ **الأرَق:** ذهاب النوم في الليل.
٢٥٠ **تضوَّر:** تلوّى صائحاً من جوع أو ألم.
٢٦٠ **أذْعَنَ:** أقرّ (بالحقّ)، انقاد، خضع.
٢٧٠ **نَهِمَ:** شَرِهَ، وَلِعَ. النَّهْمَة: الحاجة أو الشهوة. يقال: "له في هذا الأمر نَهْمَة"، أي شهوة.
٢٨٠ **الكهل:** من كانت سنه اقرب الى ٤٥. (من كانت سنه بين الثلاثين والخمسين تقريباً).
٢٩٠ **الزُّمرة:** الجماعة، الفوج.
٣٠٠ **صَحائف:** صُحُف، أوراق مكتوبة. مفردها صحيفة، وهي تعني أيضاً بَشَرَة الجلْد: "صُن صحيفة وجهك".

المستوى

٢٥ – ٣٠ : ممتاز
١٩ – ٢٤ : جيد
١٣ – ١٨ : مقبول.

البيضة الرائعة اللذيذة



ليس هناك غذاء اخر يماثل، هذا الغذاء العجيب، البسيط، الرخيص، اللذيذ، الدسم... هذه البيضة المتواضعة التي نتناولها كل يوم.

ليس بيننا من يفي البيضة، في الواقع، ما تستحقه من تقدير. فلئن كان الامريكيون، على ما يبدو، يحبون البيض، وينتجون منه ما يزيد على ٥٩٧٠٠ مليون بيضة سنويا، ويستهلك كل منهم قرابة ٢٧٧ بيضة في العام، الا انهم يعتبرون وجوده امرا مفروغا منه لا يستأهل الاهتمام.

ومما لا شك فيه ان هذه البيضة البسيطة هي من اعظم الانجازات التي حققتها الطبيعة، فهي تأتينا نقية، صافية، متقنة التغليف، لم

تمس محتوياتها يد بشر، ولم تختلط بها اي مواد كيميائية او واقية. وتتميز نوعية البروتيين الذي تحتويه بدرجة مدهشة من الكمال، اذ يضم جميع الاحماض الامينية الاساسية التي هي بمثابة لبنات البناء الضرورية لنمو الجسم وحفظ العافية. واذا استثنينا فيتامين "ج"، فان البيضة تشتمل على جميع الفيتامينات الاخرى، فضلا عن ١٣ نوعا من الاملاح، من بينها املاح الحديد والفوسفور والمغنيسيوم.

وليس ثمة طاه ماهر لا يعرف ان البيضة هي من اكثر الاغذية تعددا للاستعمال.

ويقول الطاهي الشهير جو فامولارو والطاهية لويز امبريال في كتابهما "مطبخ فامولارو البهيج": ان البيض المخفوق يدخل في عدد لا يحصى من اشهى الاطباق الايطالية والفرنسية والامريكية. ولا غنى عنه لتلطيف العجائن احيانا، وتكثيفها احيانا اخرى، والتحامها، واثرائها باضافة الفيتامينات اليها. وهو ضروري لشوي شرائح اللحم (الكستلاتة) واعداد المقليات والحلويات، واساسي في المشهيات وزخرفة الاطباق وانواع السلطة والصلصة والحساء. وهو يستخدم ايضا لترويق (تصفية) السوائل، كما يمكن استعماله اطباقا رئيسية، فيؤكل مسلوقا ومقليا ومغليا ومخبوزا".

ويضيف احد الطهاة الفرنسيين المعروفين: "ان البيضة هي الملاط الذي تتماسك بفضله كل اجواء قصر الطهي".

وقد ظهر البيض على مدى قرون موضوعا للحكايات والاساطير. فكان يحظى بتقدير كبير كتعويذة لحسن الطالع، كما كان موضعا للتقديس والاستخدام في التنجيم وطقوس الخصوبة وتقديم الاضحيات والقرابين، بل انه كان مثارا للخشية في بعض الاحيان. وكان قدماء الصينيين يعتقدون ان بيضة قد سقطت من السماء ثم افرخت الانسان بعد حين. اما هنود امريكا فكانوا واثقين من ان العالم ذاته قد بدأ في شكل بيضة ذهبية.

أما الانسان الحديث فهو مخلوق واقعي، يحترم البيضة كوسيلة ملائمة سهلة في عالمه المزدحم بالعمل. فهي تكفل له عشاء من البيض المسلوق لا يستغرق اعداده اكثر من خمس دقائق، او من البيض النيمرشت (نصف المسلوق) الذي لا يتطلب تحضيره اكثر من ثلاث دقائق، او من البيض المقلي في نحو دقيقتين. مع العلم بما في ذلك من الاقتصاد ايضا. فاي طعام يكفل عشاء مغذيا بقروش زهيدة لا تتجاوز ثمن بيضتين كبيرتين؟

القيمة الغذائية ــ ومع ان ثمن البيض يختلف باختلاف الشكل والحجم، الا ان القيمة الغذائية للبيض المتماثل من هاتين الناحيتين متساوية اما الشكل فيتعلق بنظافة البيضة وسلامة قشرتها وسمك الزلال فيها وحجم خلايا الهواء فيها.

واذا كان البيض من شكل واحد، فان الحجم هو الذي يملي السعر على اساس حد ادنى من الوزن لكل اثنتي عشرة بيضة. واغلى البيض هو أكبره حجما. ومن ناحية اخرى، فان الحجم واللون لا يؤثران على الجودة، فهما

امران مقتصران على نتاج الدجاجة البائضة.

وتتميز اجود انواع البيض بان خلايا الهواء فيها صغيرة جدا، وبانها تحتوي على كمية كبيرة من الزلال الكثيف، وبارتفاع المح وتماسكه فيها. واذا افرغت مثل هذه البيضة فان محتوياتها تقع على مساحة صغيرة. وتقل جودة البيضة كلما زادت هذه المساحة، بسبب نقص كثافة الزلال وقلة تماسك المح. ولكي تختبر البيضة، اذا كانت طازجة ام لا، فما عليك الا ان تضعها في وعاء فيه ماء، فاذا غرقت فيه كانت طازجة.

ومن المهم الا تشتري البيض المشروخ ابدا، لانه قد يحتوي على جراثيم (بكتيريا) يتسمم بها الغذاء.

ولكن ما خطب ذلك الشيء الشبيه بالخيط الذي يبدو في زلال البيض احيانا؟ هل هو دليل على خصوبة فائضة؟ ام دليل على ان البيضة غير طازجة؟ والواقع، ان ذلك "الخيط" الغليظ المجدول في زلال البيضة يثبت المح من كلا جانبيه في اثناء نمو البيضة. ويدلل وجوده على جودة البيضة. وان هذا "الخيط" ينزع الى الاختفاء كلما عتقت البيضة.

ولا ينصح الخبراء بتخزين البيض على الرف المخصص لذلك في كثير من ابواب الثلاجات المنزلية، لان كثرة فتح الثلاجات واغلاقها تعرض البيض للهواء، مما يؤدي الى استسراع فقد ثاني اوكسيد الكربون وبالتالي الى تكاثر خلايا الهواء التي تضعف تماسك المح وكثافة الزلال، فترتخي بذلك محتويات البيضة وتتضاءل نكهتها. اما الطريقة الصحيحة لتخزين البيض فهي ان تبقيه في العلبة التي اشتريته فيها، وتضعه بحيث تكون اطرافه العريضة متجهة الى اعلى، فوق الرف السفلي "الاكثر برودة" من الثلاجة. اما البيض الذي يخزن في درجة الحرارة العادية فانه يفقد من جودته في يوم واحد مقدارا يعادل ما يفقده من هذه الجودة طوال اسبوع كامل من تخزينه في الثلاجة.

البيض والكوليستيرول - وفضلا عما يتميز به البيض من لذة الطعم ورخص الثمن، يمكن كل انسان تقريبا ان يدخله في عناصر اغذيته. فسهولة هضمه تجعل منه واحدا من اول الاغذية الصلبة التي تعطى للرضع والمرضى والناقهين، وهو يساعد على سرعة نمو الاطفال والمراهقين، ويزود البالغين وكبار السن بوجبات الطعام السريعة والسهلة الاعداد. والمنحمين عن بعض الاغذية يقدرون ما للبيض من اهمية خاصة، فهو يكفل لهم كمية من البروتيين لكل سعر حراري تفوق ما تكفله معظم الاغذية الاخرى الغنية بالبروتيين. ونذكر على سبيل المثال، ان ١٠٠ غرام من البيض لا تحتوي على اكثر من ١٦٠ سعرا حراريا، في مقابل ٢٠٣ سعرات لسمك السلمون و٣٩٨ لجبن الشدر القاسي، و٣٧٧ للحم المفروم (همبورغر). ولكن ماذا عن ذلك البعبع القديم المخيف الذي يسمى الكوليستيرول؟

يقول جراح القلب الشهير (اللبناني الاصل) الدكتور مايكل دبغي: "اذا كان الافراط في استهلاك البيض امرا يحسن تجنبه لمن يعانون وجود الكوليستيرول في الدم، فان الفرد العادي لا يتعرض لاي خطر اذا شاء ان يمتع نفسه بكميات معقولة من هذا الغذاء المدهش".

وقد رأيت ان القي نظرة على ما

يحدث الآن لهذه البيضة العجيبة، فزرت مزرعة تعاونية لانتاج الدجاج، تضم مركزا علميا كبيرا للتربية، ومركزا للانتاج والتوزيع. وكان اول ما تعلمته هو ان الدجاجة لم يعد اسمها دجاجة، بل "آلة لانتاج البيض". ولدى الولايات المتحدة الآن عدد من هذه الآلات يفوق عدد سكانها، ويبلغ ٢٧٥ مليونا تقريبا.

ولعل من الاسباب التي جعلت مثل هذه العمليات الضخمة ممكنة، وجود مؤسسات للتربية، مثل مزرعة "آربور ايكرز" في غلاستونبيري في ولاية كونكتيكت، حيث ٤٥ من العلماء والتقنيين يركزون جهودهم في ميدان علم الوراثة والبحوث وعمليات التطوير لانتاج سلالات ارقى من الدجاج. وفي عام ١٩٣٠، كان انتاج الدجاجة الخصبة في الولايات المتحدة يبلغ متوسطه ١٢١ بيضة في العام. وقد كان للجهود التي تبذلها مزرعة "آربور ايكرز" وغيرها من مزارع التربية فضلها في ارتفاع هذا المتوسط الآن الى ٢٣٥ بيضة للدجاجة الواحدة سنويا. ومنذ اقل من ثلاثين عاما، كانت الدجاجة المنتجة تزن ٢،٦ كيلو غرام وتستهلك ٤ كيلوغرامات من الغذاء تقريبا كي تنتج ١٢ بيضة. اما دجاجات اليوم المخصصة للبيض فان وزنها يقل عن ذلك بمقدار الثلث، كما انها تأكل نصف الكمية السابقة من الطعام كي تنتج العدد نفسه من البيض.

وتستخدم مزرعة جوزف رافيتش في نورث وستشستر في ولاية كونكتيكت النموذجية التي تضم ٧٠٠٠٠ طائر، بعض الدجاج الذي انتجته مزرعة "آربور ايكرز"، وتوضع هذه الدجاجات في اقفاص من السلك لا تتسع الا لوقوفها فقط، حتى لا ترقد على انتاجها ويقدم الماء والعلف المغذي المخلوط بعناية دقيقة الى هذه الدجاجات ست مرات في اليوم، بينما يجمع البيض على حزام ناقل متحرك. وتحفز "آلات انتاج البيض" الدجاجة على زيادة انتاجها الى الحد الاقصى باستخدام الضوء الاصطناعي الذي يزاد تدريجا حتى يصل عدد ساعات الاضاءة "الربيعية" الى ١٦ ساعة كل ٢٤ ساعة. وتبدأ الدجاجات في وضع البيض حين يبلغ عمرها ٢٢ اسبوعا، وتستمر في الانتاج عاما واحدا.

وتجرى كل العمليات بطريقة آلية بما في ذلك الكشف الضوئي والتنظيف والتزييت والتصنيف والفرز والتعبئة. والغرض من كل هذه السرعة هو ايصال البيض الى سيارات النقل ذات الثلاجات ثم الى المستهلكين باقل ما يمكن من الوقت.

وقد نتساءل: هل يحمل الينا المستقبل القريب دجاجة فائقة متفوقة؟ وهل يعنى العلماء الآن بتطوير آلة جديدة يزداد معها انتاج البيض، فيصبح صفقة رابحة اكثر مما هي الآن، وبأثمان ارخص؟ فالاستاذ هارولد بيلير - من جامعة ميسوري - هو احد العلماء الكثيرين الذين يحاولون ايجاد سلالة من الدجاج تتفوق على مستويات الانتاج الحالية، عن طريق المزاوجة واستخدام ضوء النهار الاصطناعي ٢٣ ساعة في اليوم، وانتخاب دجاجات التربية من بين تلك التي تبيض مرة كل ٢٣ ساعة فقط، فيحقق بذلك املا يحلم به جميع منتجي البيض: وهو دجاجة تضع في كل يوم بيضة على مدار العام.

■ **جاك دنتون سكوت**

الانفعالات

هل تقتل صاحبها؟

الانفعال الذي يتسبب فيه الغضب او الخوف او الكراهية او الفرح او حتى الانتصار قد يؤدي الى وفاة مفاجئة ٠

اضطر احد ملوك المال البريطانيين البارزين الى التقاعد في سن مبكرة، على اثر نزاع حاد مع شركته، فتوفي في المطار وهو يغادر بلاده للاستمتاع براحة استحقها تماما ٠

توفي فجأة الرئيس الجديد لشبكة اذاعة كولومبيا وهو في الواحد والخمسين من العمر، في الليلة التالية لوفاة والده ٠

في حفلة موسيقية اقيمت تكريما لذكرى الراحل لويس ساتشمو ارمسترونغ، اصيبت زوجته الثانية بنوبة قلبية قاتلة بينما كانت تعزف اللحن الزنجي "سانت لويس بلوز" ٠

مصادفات؟ ربما ٠ وانما لا يسع المرء الا ان يتساءل عما اذا كانت تلك الوفيات نتيجة للانفعال العاطفي ٠

ولفكرة نسبة الموت المفاجيء الى مثل هذه الصدمات تاريخ طويل ومستمر ٠ فمنذ وجدت سجلات مكتوبة، يقال عن الناس أنهم يموتون فجأة بينما تعتريهم نوبات من الخوف او الغضب او الحزن او الفرح ٠ ويروى ان الامبراطور الروماني نيرفا قد توفي في القرن الاول الميلادي على اثر نوبة غضب عنيفة عارمة على احد اعضاء مجلس الشيوخ الذي اهانه ٠

ويقال ان البابا انوسنت الرابع توفي فجأة بسبب "تأثره الشديد" بالهزيمة الكارثة التي انزلها بجيشه العاهل الصقلي مانفريد ٠

وبعد ظهور النظرية الجرثومية تعليلا للمرض في اواخر القرن التاسع عشر، قل الاعتقاد بأن الصدمة العاطفية قد تتسبب في الوفاة الفجائية ٠ ومع ذلك، فلم يتوقف الاهتمام العلمي بهذا الامر ٠ ففي عام ١٩٤٢ كتب ولتر كانون، استاذ هارفارد البارز لعلم وظائف الاعضاء، بحثا عن الآليات الفيزيولوجية الممكنة "للموت بالسحر" ٠ وفي اواخر الستينات بدأ الاكلينيكيون يتحدثون عن مصابين بأمراض قلبية ماتوا فجأة بعد ان وصلوا الى اقصى حدود التوتر ٠

ولقد اشتد اهتمامي الشخصي بالاعراض الملازمة للموت الفجائي

Condensed from Psychology Today (November '77) Copyright 1977 by Ziff-Davis Publishing Co. One Park Avenue New York, N.Y. 10016

على اثر وفاة شقيقي التوأم التام الشبه بي ضحية نوبة قلبية غير متوقعة في عام ١٩٦٣. فبعد انقضاء احد عشر شهرا بالضبط الا يوما واحدا على وفاته اصبت انا الآخر بنوبة قلبية. وقد حدث ذلك، في اثناء التوتر العاطفي الذي اصابني بينما كنت استعد للذكرى الاولى لوفاة اخي التوأم.

وبعدها مباشرة، بدأت اجمع قصاصات الصحف عن حالات الموت الفجائي. وتمكنت بفضل الزملاء والفاحصين الطبيين في انحاء العالم، من الاطلاع على ٢٧٥ حالة، وقع الموت الفجائي فيها عموما بعد دقائق او ساعات قليلة من حدث كبير في حياة الشخص المتوفى. وفي معظم هذه الحالات لم يكن الضحايا يشكون من مرض ما في ذلك الوقت، او اذا كانوا مرضى، فلم يكونوا في خطر داهم من الموت.

١٣٥ حالة – وعندما حللنا الظروف المحيطة بتلك الوفيات، برزت من خلالها اربع فئات وكانت اكثرها شيوعا ١٣٥ وفاة تتصل بانقطاع مؤلم طارىء لعلاقة قربى وثيقة او بذكرى فقد شخص عزيز. وقد حدثت سبع وخمسون من تلك الوفيات مباشرة على اثر انهيار صحي او وفاة، غالبا فجائية اصابت شخصا عزيزا. يقال ان بعض الذين افلتوا من براثن الموت، كانوا يصرخون ويرددون انهم لا يستطيعون البقاء في الحياة من دون الراحل. وكان البعض منهم في معمعة هائجة، يحاولون اعادة الحياة الى عزيزهم الراحل ويطلبون النجدة والاسعاف، عندما فاجأتهم المنية فسقطوا هم ايضا ضحيتها.

واسوق هنا مثلين: والد في الثامنة والثلاثين من العمر سقط ميتا عندما فشل في محاولاته لاعادة الحياة الى ابنته الصغيرة التي عمرها عامان والتي سقطت في بركة ماء. وتوفي رجل في التاسعة والاربعين بعد ساعتين من تلقيه نبأ موت ابنته في الاثنين والعشرين من العمر، واصابة حفيدته في حادث مرور.

وحدثت الوفاة في خمسين حالة من ١٣٥ خلال الاسبوعين الاولين من فقد عزيز، عادة زوج.

وسجل احد التقارير ثلاث وفيات متتابعة خلال اربعة ايام: نقل رجل في الثالثة والثمانين الى المستشفى لاصابته بنوبة قلبية، وفي اثنا مرضه توفيت زوجته فجأة، وجاء ابن (وهو ابن زوج المرأة) البالغ ٦١ عاما من خارج المدينة ليرى اباه ويشترك في جنازة زوج والده، فأصيب بانهيار وتوفي في بيت والده، وفي اليوم التالي مات الوالد من شدة حزنه لفقده كلا من الزوج والابن.

وفي المرتبة الثانية من شيوع الظروف التي تسبق الوفاة – كما جرت في ١٠٣ حالات – يأتي التعرض لخطر شخصي مع التهديد بالاصابة او فقد الحياة، بما في ذلك الاقتتال والصراع والنوبات. ونذكر على سبيل المثال ان رجلا مسنا حبس خطأ في دورة مياه عامة توفي وهو يحاول جاهدا الخروج من مأزقه. وفي حالة اخرى، ثار نقاش عنيف بين صديقين حميمين سبب انهيار احدهما ووفاته من دون ان يكون تلقى اية ضربة او صدمة قاتلة، واما الصديق الثاني فكانت لقلبه سيرة مرضية طويلة، وقد اصيب بضيق التنفس وتوفي في الحال.

ومات خمسة وعشرون شخصا بعد انقضاء الخطر بفترة قصيرة، وذلك على اثر حادث سيارة لم تلحقهم منه اي اصابة. وفي حالة اخرى، نجا رجل في الخمسين من عمره من زلزال كبير ثم توفي وهو جالس الى مكتبه بعد اشهر قليلة في اثناء هزة بسيطة.

واما الفئة الثالثة - الموت الفجائي في اعقاب خيبة امل، او فشل، او هزيمة، او فقد مركز، او تقدير الذات - فقد اشتملت على ٢١ حالة، ومنها: ان رئيس كلية في التاسعة والخمسين من عمره اضطر الى التخلي عن منصبه تحت ضغط مجلس الامناء فقضى حسرة في حفلة تنصيب خلفه.

وتوفي ستة مواطنين بارزين بينما كانوا متورطين في اجراءات جنائية او في اثناء اتهامات موجهة اليهم او لاصقة بهم.

الظروف الخاصة - وقد لا يكون من المستغرب ان تحدث الوفاة في ظروف خاصة من الحزن او الخوف او الاخفاق. فقد توفي ١٦ شخصا في الفئة الرابعة والاخيرة، في لحظات الانتصار، او بعدما بلغوا هدفا طالما سعوا اليه، او على اثر التقاءات مرحة بعد غيبة طويلة او نهايات سعيدة. فقد توفي رجل في الخامسة والخمسين على اثر مقابلته لوالده البالغ من العمر ٨٨ عاما بعد فراق دام عشرين سنة. وعندها سقط الاب ميتا.

وتوفيت امرأة فجأة في الخامسة والسبعين من عمرها بعد انقضاء اسبوع من السعادة جددت فيه صلاتها باسرتها التي كانت قد افترقت عنها منذ ٦٠ عاما.

وكسب رجل في الخامسة والسبعين رهانا مضاعفا بمبلغ ١٦٨٣ دولارا في مقابل دولارين اثنين، فتوفي وهو على وشك تسلم قيمة تذكرته الرابحة.

وتتميز التقارير عن الموت المفاجيء بالقاسم المشترك الذي يجمع في ما بينها، وهو انه في معظم الحالات يواجه الضحايا احداثا لا يسعهم تجاهلها، اما لانها غير متوقعة او مؤثرة، واما بسبب شدة وطأتها او استحالة تغييرها. ويعني هذا ضمنا ان الشخص المعني لم يعد له، او لم يعد يعتقد أنه يملك زمام الموقف او ان في مقدوره ان يسيطر عليه، او ان يمتلك نفسه، او انه يخشى فقد ما بقي له من انضباط الاعصاب. ويبدو ان التفكير يذهب ببعض الناس الى الاعتقاد ان الامر لم يعد يستحق القيام بمحاولة تغيير الموقف. بل انه يبدو لهم، على العكس، وكأنهم يتوقعون الموت وينتظرونه في هدوء تام.

ويبرز مثل هذا الشلل في مواجهة الطريق المسدود، بروزا مثيرا، في حالة ذلك الرجل ذي الخمسة والاربعين عاما الذي وجد نفسه في موقف لا يطاق في البلدة التي يسكنها، فقرر ان يهجرها. وعندما كان على وشك الاستقرار في بلدة اخرى، نشأت المشاكل في وجهه هناك ايضا. ومع ذلك، وعلى الرغم من تحسسه الاليم بالازمة، فقد ركب القطار مع صديق له الى مستقره الجديد ولكنه ترك القطار عندما توقف في احدى المحطات في منتصف الطريق. وروى صديقه انه توفي في الحال من انسداد تاجي نتج من شعوره بانه لا يستطيع المضي في طريقه ذهابا ولا العودة ايابا.

... **والحيوانات كذلك** ـ ولا تقتصر حوادث الوفاة الفجائية، الناجمة عن التوتر النفسي، على البشر. فناصبو الشراك وحراس حدائق الحيوان يعرفون ان الحيوانات قد تموت على اثر اقتتال او عندما يصبح الهرب مستحيلا او عندما تنقل الى مكان غير مألوف او تتعرض للاثارة المفاجئة. ويحدث في المختبرات ان تظهر الاضطرابات القلبية القاتلة عندما تزج الحيوانات في مواقف لا تستطيع التصرف حيالها.

وقد تتصل تلك التغييرات النفسية بجهازي طوارىء أساسيين يستخدمهما كل من الحيوان والبشر لمواجهة الخطر. فالاول يطلق عليه اسم جهاز الهرب والقتال، يتولى تعبئة مواد الجسم للقيام بعمل محرك سريع وشامل. والثاني، جهاز المحافظة والانسحاب، يعد الجسم للتخلص والسكون محافظة على الحياة عندما لا يستطيع الحيوان شيئا في مواجهة بيئة تتهدده.

ويتوازن الاثنان عادة توازنا تاما في علاقة متبادلة، ولكن علاقة الاخذ والعطاء بين الجهازين تنهار احيانا تحت ضغط الاثارة الشديدة او المتعارضة، في مثل حالة وجود اضطراب نفسي طاغ. وقد يؤثر التحول السريع من استجابة الى اخرى تأثيرا خطيرا في عمل القلب والدورة الدموية.

وتموت حيوانات المختبرات فجأة تحت وطأة ظروف مماثلة لتلك التي غالبا ما تصحب مثل هذه الوفيات البشرية. ثم ان السبب المباشر للوفاة كثيرا ما يكون اضطرابا في نبض القلب، وهذا السبب الاعم بين البشر، حسبما تشير اليه الادلة المتعددة.

والمعروف ان بعض المواد الهرمونية التي يزداد افرازها في اثناء التوتر، تهيء القلب لمثل تلك الاضطرابات القاتلة في النبض. وفي المختبرات يمكن انقاذ الحيوانات من النوبات القلبية بواسطة ادوية تسد منافذ الاعصاب الى القلب وتبعث على استقرار نبضه.

وربما اوضحت التجارب المستقبلية على الحيوان في احد الايام سلسلة الاحداث التي تربط التوتر بالوفاة، وربما اوحت بطرق جديدة لنقيض العملية. اما في الوقت الراهن، فيحسن بالاطباء الذين يتعاملون مع مرضى مصابين بامراض قلبية او امراض مزمنة، ان يتحسبوا للاحداث التي قد تثير ردود فعل عاطفية مفاجئة لدى هؤلاء المرضى. ولعلهم يفكرون في استعمال دواء مضاد لاضطرابات ضربات القلب، قبل وقوع مثل ذلك الحدث الضار المتوقع، ويتنبهون في حالة حدوث وفاة في العائلة، الى ان بعض المهدئات تزيد من اضطرابات نبضات القلب لدى بعض الناس. وربما كان من الافضل اجراء الفحص العام الروتيني قبل، لا بعد، احداث مهمة مثل التقاعد او ذكرى وفاة شخص عزيز. وفي الوقت نفسه فان المزيد من البحث المستفيض لحالات الوفاة الفجائية من شأنه ان يفضي الى معلومات مفيدة للاطباء ولاولئك المعرضين للخطر.

■ **الدكتور جورج انجل**

الدكتور جورج انجل استاذ الطب النفساني والطب العام في معهد الطب وطب الاسنان في جامعة روتشستر، الاميركية وهو سلخ ٣٥ عاماً من حياته عاملا في مضمار الامراض الجسدية - النفسية.

انا الملك



قصة حياة محمد علي

يبدو محمد علي وكأن كل ما يحيط به ويمت اليه يتسم بصيغة التفضيل العليا. رجل ينادي بنفسه انه "اجمل واعظم" بطل للملاكمة من الوزن الثقيل في العصور قاطبة. هذا هو محمد علي، الذي ولد باسم كاسيوس كلاي واصبح اشهر الملاكمين في تاريخ الرياضة، واقربهم الى القلوب، واكثرهم عرضة للكراهية، واكثرهم اثارة للجدل، وافذهم في جميع الفئات.

واما روبرت ليبسايت، فهو المحرر السابق لباب الرياضة في صحيفة "النيويورك تايمس"، وقد تابع خطوات محمد علي منذ انطلاق شهرته. وهو يعرض هنا السيرة الاسطورية بكل ما فيها من سعود الطالع ونحوسه، وما تحفل به من جد وهزل، ويصف لنا التناقضات المتعددة التي تتميز بها شخصيته المحببة والمثيرة في آن.



انا الملك

في ساعة السكون التي تسبق الفجر، تحت قمر افريقي متخافت غارب، وقف رجلان من الامريكيين السود وجها لوجه في بداية الفصل الختامي من مسرحية قاسية يراقبها الملايين في انحاء العالم. كان الرجل الاصغر سنا، وهو بطل العالم في الملاكمة من الوزن الثقيل، يحدق في خصمه بنظرة ثابتة من عينين تنضحان بالشر وتحملان نذر الالم والهلاك. غير ان الرجل الآخر الاكبر سنا والذي كان بطلا

بدوره، لم يظهر اي خوف، وقال بصوت هادىء خافت: "لقد كنت تسمع عني منذ حداثتك، وتتابعني منذ كنت صبيا صغيرا · وها أنتذا الان امامي، في حضرة مولاك!"

كان الهواء مثقلا بما يحمل من رموز واساطير· والبلد كان اسمه الكونغو البلجيكي، يوم كان مسرحا للاستغلال الاستعماري، فأصبح اسمه الان زائير، بعد ان افتدى استقلاله بفترة دامية من الصراع الداخلي العنيف·

وفي ذاك الصباح من يوم ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ الذي اشرق على العاصمة كينشاسا، كانت حكومة زائير هي اول حكومة في التاريخ تنظم مباراة في بطولة الوزن الثقيل بالملاكمة، وقد ضمنت لكل من الملاكمين مبلغا لا يصدق مقداره خمسة ملايين دولار·

كان البطل جورج فورمان في الخامسة والعشرين من عمره، تكسو جسده عضلات بالغة القوة، وتبدو كتفاه كأنهما قذيفتا مدفع· وكان المفضل في نظر الجمهور، والتنبؤات تميل الى جانبه، لأنه منذ حصوله على الميدالية الذهبية الاولمبية في ١٩٦٨، فاز في ٤٠ مباراة للملاكمين المحترفين، منها ٣٧ بالضربة القاضية، ولم يحدث ابدا ان استطاع ملاكم طرحه ارضا·

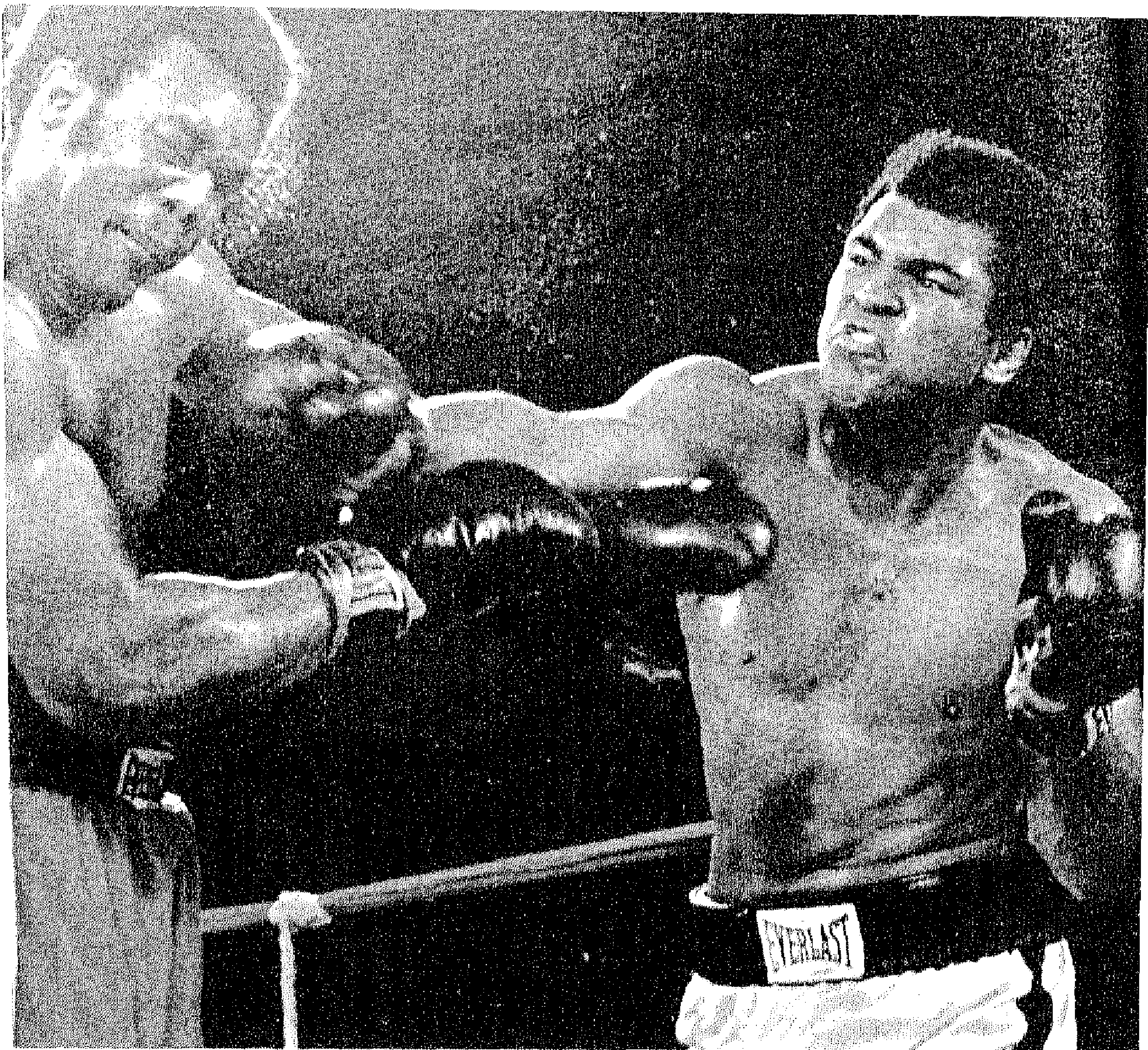
غير ان المتحدي كان محمد علي، ذاك الذي يعود اليه الفضل في اخراج هذا المهرجان الذي وصفه هو نفسه بأنه "زئير في زائير"· وهو كان له من العمر ٣٣ عاما تقريبا، وقد جاوز عنفوانه وبدأ يذبل على مشارف الرحلة الى منتصف الحياة· ولم يكن قد اشتهر بعد بلكماته الساحقة المهلكة. والان وهو يواجه منافسا تقوم شهرته على مثل تلك اللكمات، فكيف لمحمد علي - بحكم السن - ان يعتمد على موهبته الكبرى، اي سرعته التي تخطف الابصار·

كان بين المشاهدين اولئك الذين يحبون محمد علي واولئك الذين يكرهونه، لكن الجميع كانوا متفقين في تنبؤهم بالنهاية نفسها لهذه المباراة· فالذين احبوه لقوة ايمانه الاسلامي ومؤاخاته لغير البيض في العالم اجمع كانوا يخشون ان ينكل به خصمه ويسحقه· وكان الذين يكرهونه لخروجه على المسيحية وعلى روح الوطنية الامريكية التقليدية، يأملون في ان يجيء انتصار فورمان عليه حاسما، ساحقا، كفيلا باسكاته الى الابد·

وقبل ذلك بعشر سنين، كان الذين احبوه والذين كرهوه - لمجرد نزعته الى التفاخر الصاخب - قد اجمعوا ايضا على توقع نهايته، وكان ذلك في ليلة انتصاره على سوني ليستون وانتزاع البطولة منه· ولكنه لم يكن يومئذ سوى كاسيوس كلاي فحسب، وها هو قد اصبح منذ ذلك الحين اكثر الرياضيين اثارة للجدل وفتنة للجماهير في تاريخ الرياضة على اطلاقها وصاحب وجه من اوسع الوجوه شهرة في انحاء المعمورة· فهل حانت نهايته الآن؟ ام ان التنبوؤات قد اخطأت الحساب؟

التكتيك الخطر

وما ان قرع الجرس حتى تقدم العملاقان الى وسط الحلبة· ومضت



خلال مباراة البطولة في كينشاسا، زائير، محمد علي يقذف فك جورج فورمان بيمنى صاعقة.

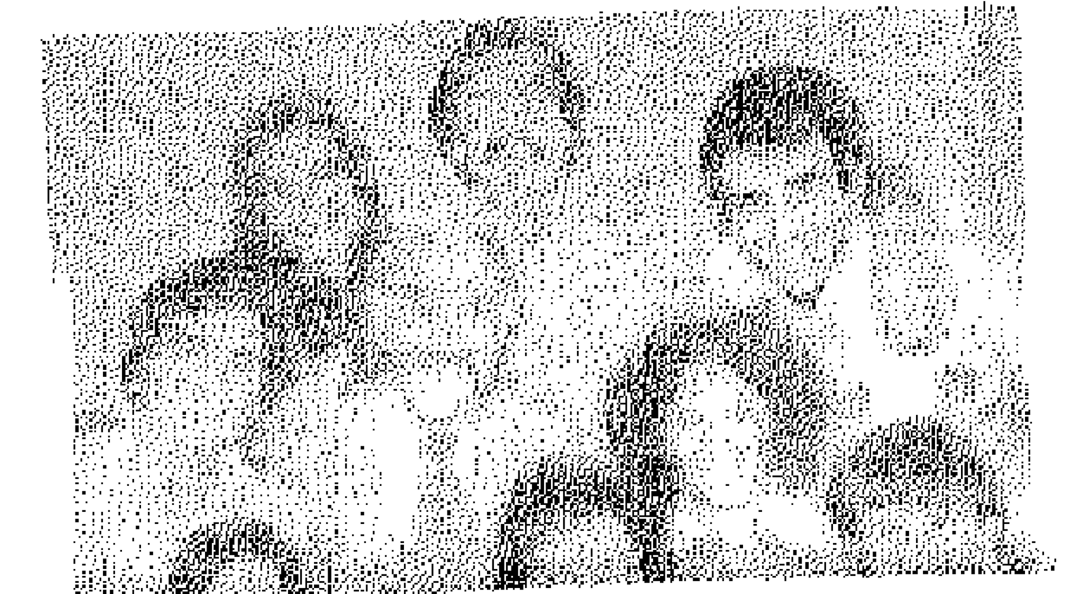
هنيهة وهما يدوران حول بعضهما بحذر، ثم لم يلبث محمد علي ان اطلق هجومه الاول: مجموعة من ضربات يسرى خطافية قوية ويمنى لاحقة صوبهما الى رأس فورمان فأصابه. واندفع فورمان الى الامام هائجا، فالتحم به محمد علي وطوق رقبته ودفع رأسه الى اسفل. ولم يسبق لاحد ابدا ان ضرب فورمان بهذه الشدة او في مثل هذه اللحظة المبكرة من المباراة، ولم يحدث ابدا ان تجاسر احد على اختبار قوته بالتلاحم معه.

وفي هذه الجولة الاولى تمكن فورمان بعد قليل من دفع محمد علي الى الحبال بجانب الحلبة، وراح يدقه بقبضتيه. لكن محمد علي تمكن بسهولة من اخماد حدة الهجوم، بأن جعل اقوى ضربات فورمان تنزلق على ذراعيه وكتفيه. بينما راح خبراء الرياضة القابعون الى جانب الحلبة

ما عليك إلّا أن توجّه الكاميرا وتضغط الزرّ أما الباقي فتقوم به بولارويد ١٠٠٠ الجديدة .









كاميرا بولارويد ١٠٠٠ الجديدة للصور الفورية تضع في يدك حالاً صورة ملوّنة من نوع إس إكس ـ ٧٠. شاهدها وهي تتبلوّر أمام عينيك.

لا داعي لضبط فتحات العدسة أو سرعة الحجاب لا داعي للتركيز. لا داعي لضبط المسافة. لا داعي لضبط أي شيء أو العبث بأي شيء قبل أو بعد أن تلتقط الصورة. ما عليك إلاّ أن توجّه بولارويد ١٠٠٠ نحو الهدف وتضغط الزر. العين الكهربائية تتحكّم أوتوماتيكياً في مدّة التعرّض بالفلاش أو في ضوء النهار، فتخرج صورة زاهية الألوان من نوع إس. إكس ـ ٧٠ ثوانٍ، بفعل موتور يعمل ببطّارية تر داخل كل علبة فيلم.

وهناك مفاجأة سارة أخر الثمن متهاود جداً بحيث ي يبدو مستحيلاً. وهذه المنفعة التي تجنيها أنت خبرة بولارويد الواس

تفضل بزيارة أقرب محل اللوازم الفوتوغرافية اليوم.

بولارويد

٣٠ عاماً في طليعة التصوير الفوري

بولارويد و إس إكس ـ ٧٠ علامتان تجاريتان لمؤسسة بولارويد، كامبريدج، ماساتشوستس، بالولايات المتحدة الأمريكية. الحقوق محفوظة لبولارويد

يغمغمون مذعورين: ان محمد علي لا يرقص بل يتمايل من جانب الى آخر فحسب، ويصوب ضربات يمينية، وهذا تكتيك خطر ازاء ملاكم ضرّاب مثل فورمان، لأنه يعرضه للهجمات المضادة؛ ويسمح محمد علي لفورمان بأن يدفعه الى الحبال، ويثخنه ضربا لعله بذلك يستنفد قوة الضرب لدى فورمان. ولكن محمد علي اكبر من فورمان بسبع سنوات، وبالتالي كان من غير المحتمل ان ينجح مثل هذا التكتيك.

ولكن طرقات قبضتي فورمان كانت تنزل على ذراعي محمد علي وكتفيه من دون ان تنال الاجزاء الحيوية من جسمه، كما انه اتخذ من حبال الحلبة التي كان يستند اليها وسادة تمتص الصدمات وتلطف وقعها. وكان فورمان ملاكما آليا مهيأ لتسديد ضربات متواصلة الى خصم راقص، فاذا به في حضرة خصم يتلقى الضربات ولا يبدو اطلاقا انه ينوي التهرب منها. ولم يعتم الامر حتى انبرى محمد علي للرد على الضربات بمثلها، وبسرعة تفوق سرعة فورمان، ويوسعه تأنيبا مهينا ساخرا، بقوله: "انك لست سوى هاو يا جورج. هيا، ارني شيئا منك له قيمته".

وعندما حلت الجولة الخامسة، كان وجه فورمان مليئا بالاورام وكانت ساقاه مثقلتين بطيئتين، ونال منه الجهد حدا اصبح لا بد معه من بذل كل ما في وسعه: راح يقذف وجه محمد علي وبطنه بضربات يمينه الطارقة وشماله الخطافية، حتى أوشك بدنه الهائل على الانفجار من فرط الجهد. مئة ضربة تقريبا، وكان ذلك اقصى ما يقوى عليه.

ولكن محمد علي ظل صامدا، ثابتا على قدميه كالطود.

وهبت جماهير المتفرجين وقوفا وهي تهدر: "علي، بومايي!" ("اجهز عليه يا علي!"). وسرعان ما تحركت يدا محمد علي وانطلقتا بضربات تخطف البصر، فأصاب خصمه بأثنتي عشرة لكمة صاعقة، انهاها بيمين عرضية كادت ان تطوح رأس فورمان هنا وهناك.

وجاءت النهاية فجأة في الجولة الثامنة. ويقدر البعض ان تلك الضربة الختامية الحاسمة كانت اروع لكمة واقوى ما وجهه محمد علي في حياته كلها، فقد كانت يمينا ساحقة كأنها مطرقة هائلة انهطلت بثماني لكمات عنيفة على فورمان، فانحنى من شدة وقعها الى الامام، وانطرح متكوما على حلبة الملاكمة. فاستعاد محمد علي عرشه، وهو ما لم يفلح به قبله سوى رجل واحد.

ومشى محمد علي الى حافة الحلبة ونظر الى اسفل حيث يجلس الصحافيون ورجال التلفزيون والمعلقون الاذاعيون. وكان هؤلاء من المخضرمين الذين عرفوه جيدا ولم يعودوا يتوقعون منه ذلك التواضع التقليدي الذي يتحلى به الرياضي الظافر.

وصاح فيهم محمد علي: "ألم اقل لكم؟ ها انذا قد قرنت القول بالفعل. لقد قلت اني اعظم ملاكمي الوزن الثقيل في التاريخ كله، فهل سمعتم؟"

شيء جدير بالاهتمام

صبي ناحل في الثانية عشرة من

عمره، يقف تحت المطر عند ناصية شارع في مدينة لويزفيل في ولاية كنتكي، وهو يصرخ باكيا، وقد ضم بعنف قبضتيه الملوثتين بالدهن من اثر الفشار (حب الذرة المشوي) الذي كان يوزع مجانا في معرض صناعي محلي. وقد اغراه المعرض - والفشار - واجتذباه الى وسط المدينة. مغفل! فبينما هو مستغرق في اشباع شراهته الى الفشار، اختفت دراجته الحمراء التي يبلغ ثمنها ٦٠ دولارا. وها هو يركض هنا وهناك في جميع الاتجاهات ويحدق في غبش الغروب باحثا عنها، ولكنها تبخرت... فراح يتساءل مستغربا: كيف يبلغ بك الاهمال هذه الدرجة، يا كاسيوس كلاي؟

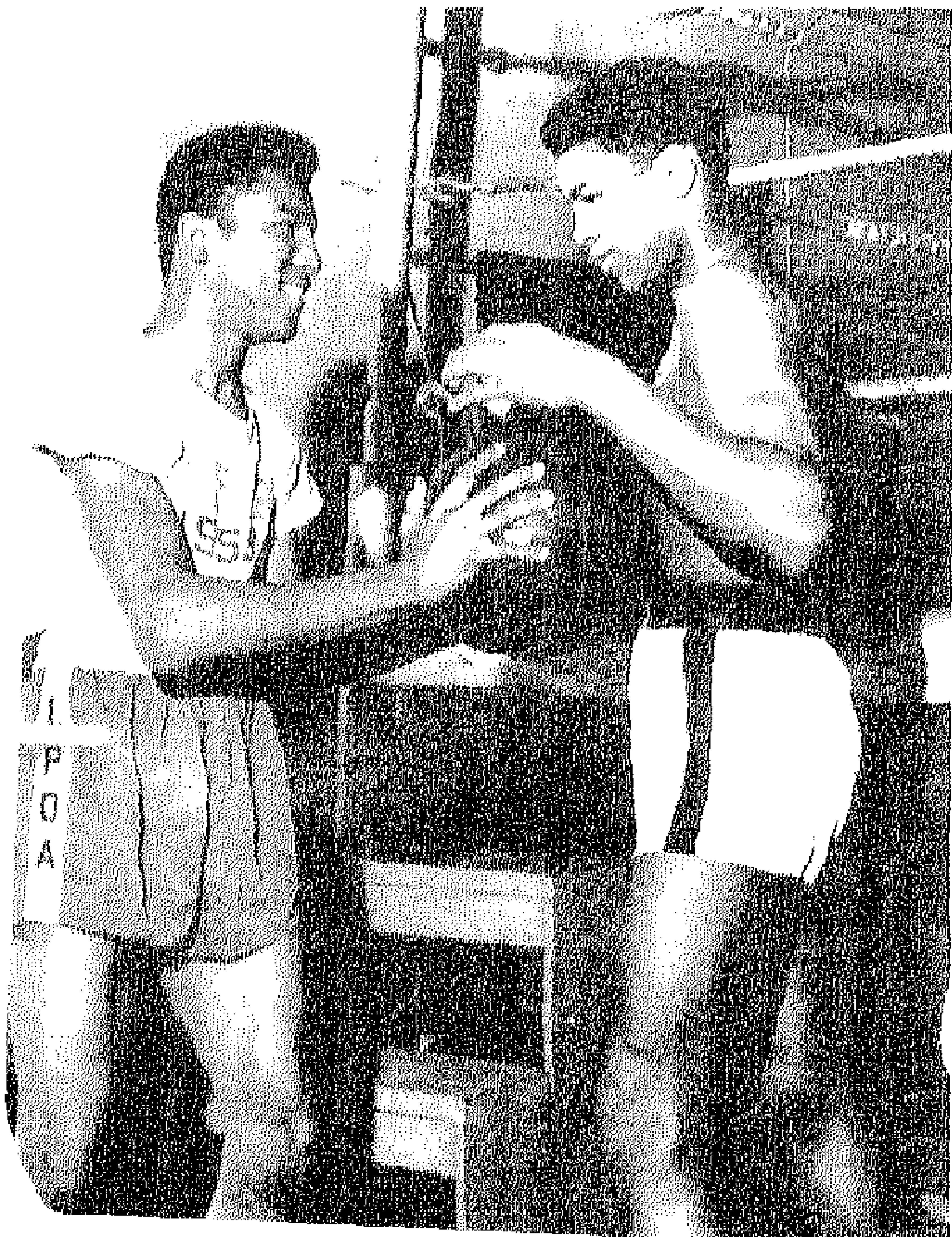
ويوقف الصبي احد المارة: "هل رأيت دراجة حمراء؟" فيهز الرجل رأسه نفيا، ويقترح عليه ان يتجه الى الدور التحتي من مبنى قريب: "هناك ستجد شرطيا اسمه جو مارتن، قد يمكنه ان يساعدك"

ويسرع الصبي الى هبوط الدرج، ويندفع من باب امامه ليجد نفسه وسط نادي كولومبيا الرياضي، فتنحبس انفاسه دهشة لما فاجأه من الانفجارات الحركية والصوتية: فهناك في احد الجوانب، زمرة تضم عشرة فتيان، من السود والبيض، يثبون ويتلولبون، والاجراس تدق، والحبال تطقطق في التطامها بعضها ببعض وتختلط بصرير اخشاب الارض، والقبضات ذات القفازات ترتطم بكيس جلدي ثقيل محدثة صوتا مكتوما. وكان في الحلبة شخص يلاكم ملاكمة وهمية ويرسل الضربات بسرعة يعجز كاسيوس عن ملاحقتها بعينيه، وتعلو الاصوات، يتخللها ايقاع على كرة اللكم السريع شبيه بايقاع طلقات المدفع الرشاش "توك توك تاك، توك توك تاك".

ويجمد كاسيوس وكأنه مسحور، فتنقضي دقائق قبل ان يبحث عن جو مارتن ويعثر عليه، ويقول له: "لقد سرق احدهم دراجتي، وعندما اجده سأضربه ضربا مبرحا".

ويهز مارتن رأسه بصبر. وعلى الرغم من انه ليس في نوبة عمله، الا انه يكتب تقريرا عن الحادث، ثم يفحص الصبي بعينيه، ويسأله: "هل

في الثامنة عشرة، كاسيوس كلاي (الى اليمين) يتدرب في نادي كولومبيا مع شقيقه رحمن (١٦ سنة) قبل دورة ١٩٦٠ الاولمبية.



تعرف كيف تلاكم؟"
ـ كلا، ولكني سأقاتله وأضربه ضربا شديدا و...
ـ ولماذا لا تأتي هنا وتبدأ التدرب؟ فنحن ندرب على الملاكمة كل مساء من السادسة حتى الثامنة.
ثم يعطي مارتن كاسيوس طلب التحاق، يدسه الصبي في جيب خلفي.
ولم يوفق كاسيوس الى استعادة الدراجة الضائعة. ولم تكن الستون دولارا بالامر الهيّن لدى عائلة كلاي، فأبوه كاسيوس مارسيلوس كلاي كان يعول زوجته وابنيه من عمله كدهان للافتات. وهو وان كان قد تمكن من شراء بيته الخاص، الا انه لم يكن لديه ما يكفيمن المال. كان رجلا ذلق اللسان، وسيم الصورة، وله مطامح فنية تفوق حدود عمله. وكان يحس بالهوان لاضطرار زوجته الى العمل في تنظيف البيوت في مقابل اربعة دولارات في اليوم تساعدها على سداد تكاليف الاسرة.
واحس كاسيوس الصغير بفداحة غفلته، فظل حبيس منزله وهو منكس الرأس خلال الايام التالية. وفي يوم السبت جلس يشاهد برنامجا تلفزيونيا محليا عن هواة الملاكمين، فلاحظ وجود ذلك الشرطي، جو مارتن، في ركن الحلبة وهو يعاون احد الملاكمين. عندئذ وثب كاسيوس الصغير من مقعده وصاح يخاطب امه: "هل رأيت قصاصة من الورق في جيب بنطلوني؟"
كانت اوديسا غرادي كلاي امرأة جميلة، تفيض حبا لبكرها. فهزت رأسها ايجابا عن سؤاله اذ انها كانت قد انتزعت الورقة من جيبه وحرصت على وضعها جانبا قبل ان تغسل بنطلونه. وفي مساء الاثنين، عاد كاسيوس الصغير الى نادي كولومبيا الرياضي.
كان جو مارتن، شرطي المرور الابيض، رجلا تنازل عن كل الترقيات في سلك شرطة المرور، ليتفرغ بكليته لحبه الاول والاخير: الملاكمة، منصرفا بحماسة في نادي كولومبيا الرياضي الى الاهتمام بالفتيان المتدربين، وباخراج البرنامج التلفزيوني عن الملاكمين الهواة بعنوان "بطل الغد"، الذي شاهد كاسيوس عرضه على الشاشة في منزله والذي كان يتيح لمارتن ان يقدم الى كل من الفتيان الفقراء اربعة دولارات عن كل مباراة يقوم بها وتذاع في البرنامج، فضلا عن الشهرة الفورية التي ينالها الملاكم الفتى نتيجة لذلك.
وكان كاسيوس في الثانية عشرة من عمره، فتدرب طيلة ثلاثة اشهر تأهبا لاول مباراة تذاع له بالتلفزيون. وكان استعداده لها تمهيدا لذلك النوع من "الترويج الذاتي" الذي تميزت به في ما بعد مبارياته الاسطورية ذات الملايين من الدولارات لنيل البطولة. فهو استمر على مدى اسبوع قبل المباراة التلفزيونية يطوف بأنحاء مدينة لويزفيل ويطرق الابواب، ويستوقف الغرباء معلنا بقوة: "انا كاسيوس كلاي، وسيذيع التلفزيون مباراتي في الملاكمة، فآمل ان

فافرلوبا

ساعة فافرلوبا قلب سويسرا النابض.



FAVRE-LEUBA
Genève
"FLATLINE QUARTZ"

تشاهدوني". فاذا لم يغلق الباب في وجهه، واصل كاسيوس حديثه ليحدد تاريخ المباراة وموعدها والقناة التي ستذيعها، مضيفا تنبؤه لنفسه بالفوز.

وبعد ذلك بسنوات، عندما فاز كلاي ببطولة الوزن الثقيل، اعترف جو مارتن بان كاسيوس الصغير كان المؤمن الوحيد، منذ البداية، بتمكنه من ان يصير يوما ملاكما عظيما. ويقول مارتن: "كان كاسيوس مجرد ولد عادي، طلق اللسان، ولكنه كان يجهد اكثر من اي واحد من مئات الفتيان الاخرين الذين دربتهم، وكان يأبى الاستسلام لليأس او ضعف الامل، وكان يبدو بوضوح انه مستعد للقيام بأي شيء يرفعه الى القمة".

صيف في روما

كانت لكاسيوس موهبة ارضاء الجماهير، على الرغم من فجاجة اسلوبه، وسرعان ما اصبح يظهر بانتظام في برنامج التلفزيون، وذاعت شهرته في حيه، فهابه افراد العصابات وتغافل المدرسون عن ضعف جهده المدرسي، بل- وهو الاهم- بدأ يكتسب تقدير افراد عائلة ابيه الكبيرة البارعة، والمليئة بالمدرسين والموسيقيين والحرفيين واصحاب الاعمال. وقد نفى محمد علي بغضب في ما بعد، ما قيل عن نشأته بأنه ينتمي الى "الطبقة المتوسطة" وحكى قصصا عن الملابس المستعملة وقلة الوجبات بسبب نقص النقود في البيت، ومما لا نزاع فيه

كلاي في لقاء مع تسعة من اصحاب الملايين العشرة في لويزفيل الذين تولوا رعايته في سنواته الأولى في عالم الملاكمة.



انه كان يتمتع في حضن اسرته بالدعم المعنوي والامان الذي يوفره تماسك الاسرة، وبذلك التوجيه نحو الهدف المنشود الذي تميزت به عائلة كلاي والذي تفتقر اليه الاسر التي يرهقها العوز.

وفي عامه الاول في ساحة الملاكمة، مني كاسيوس بهزيمة قوية في دورة محلية للفوز "بالقفاز الذهبي" انزلها به ملاكم يدربه رجل اسود يدعى فريد ستونر، يدير حلبة رياضية صغيرة في مركز اجتماعي في سموك تاون، افقر الاحياء الثلاثة التي يسكنها السود في لويزفيل. وفي اليوم التالي جاء كاسيوس الى حلبة ستونر وسأله: "هل شاهدتني في التلفزيون؟" فقال ستونر: "انت تملك الشجاعة والارادة، وانما تنقصك المهارة. ونحن ندرب هنا من الثامنة مساء حتى منتصف الليل. واذا تمكنت من الحضور فسأعلمك كيف تلاكم". وبذلك تقرر نمط حياة المراهق كاسيوس، فراح يستيقظ في الخامسة صباحا ليمارس العدو في منتزه المدينة، ثم يسابق الاوتوبيس ركضا حتى يصل الى المدرسة على بعد كيلومترين تقريبا، ثم يجلس في المدرسة يغالب النعاس حتى موعد الغداء فيعود الى العدو مرة اخرى. وكان يقضي اوقات ما بعد الظهر وعطلات نهاية الاسبوع في السعي الى كسب مصروفه الشخصي بالعمل في تشذيب الحدائق الخاصة وتنظيف الارض في مدرسة كاثوليكية. وما زالت الراهبات يتذكرن تدريباته على الملاكمة امام زجاج دواليب الكتب في المكتبة. وفي العشية كان يتدرب مع جو مارتن، وكثيرا ما كان يذهب في الليل بعد ذلك، ليواصل التدرب مع ستونر.

وامتلأ جسده الناحل وكسته العضلات، وانصبت حيويته وسرعته الطبيعيتان في لكماته السريعة كالبرق وحركات قدميه التي تخطف البصر، يساعده عقل رشيق لم ينهكه التعليم التقليدي، فراح يتغذى على دراسة الملاكمة. وكان يرتاد حلبات الرياضة ليراقب الملاكمين الآخرين، ويحملق في صور الابطال السابقين، ويستثير المدربين والمديرين والملاكمين السابقين ويستدرجهم الى ابداء النصح ويبادلهم الهذر.

وقد حفظته الملاكمة قويا صحيح البنية، وابعدته عن التسكع في الشوارع واسبغت عليه احتراما اجتماعيا وأكسبته ميزات وفرضت عليه انضباطا خلقيا وبدنيا وعقليا تسنى له معه ان يتجنب المتاعب والاغراءات. كما تجنب المخدرات والخمور والنساء ومشاجرات العصابات وبقية المزالق في الاحياء الفقيرة، بمجرد ان يقول لنفسه ببساطة: "انني اتدرب كي اصبح البطل".

ولا نزاع في انه كان ذاك البطل. فمنذ الثانية عشرة من عمره حتى الثامنة عشرة، وضع كاسيوس نصب عينيه هدفا: ان يصبح ابرع الملاكمين الهواة في العالم. فلاكم طيلة ست سنوات في أكثر من مئة مباراة للهواة ولم يخسر منها سوى النزر القليل الذي يعد على الاصابع.

وفي صيف عام ١٩٦٠، في دورة الالعاب الاولمبية في روما، برز

كاسيوس كلاي الى العالم. كانت امريكا تترنح على حافة عقد تملأه الاضطرابات. فهناك نذر القلاقل العنصرية وارتفاع ميزان الحرب الباردة وتتأجج المشاعر المضادة لامريكا في البلاد النامية، في آسيا وافريقيا. وها هوذا، فجأة، زنجي ضخم وشاب وسيم، مليء بالحيوية والحماسة، لا يكاد يفوز بسهولة تثير العجب، بالميدالية الذهبية للملاكمة في وزن الخفيف الثقيل، حتى يتخلص من اسئلة صحافي سوفييتي عن التفرقة العنصرية في امريكا بقوله: "ابلغ قراءك ان لدينا رجالا اكفياء يعالجون هذه المسألة وانني لست قلقا على النتيجة. وان الولايات المتحدة، في نظري، لا تزال افضل بلاد العالم، بما في ذلك بلادك انت".

وعاد كاسيوس الى بلدته لويزفيل حيث لقي استقبال الابطال... بما في ذلك من مواكب وولائم ومصافحات من رئيس الشرطة ومفتاح من عمدة المدينة وخبطة ودودة على ظهره من حاكم ولاية كنتكي الذي قال له: "يا غلام، اعرف انك فخور بأسم "كاسيوس كلاي"، واعرف انك فخور بأن تحمله". وتدفقت عروض التعاقد من كل صوب. ووقع آل كلاي اخيرا على عقد مع مجموعة من اعيان لويزفيل، عشرة من اصحاب الملايين قدم كل منهم الف دولار، وضمنوا تكاليف التدريب كاملة لمدة ست سنوات، نظير حصولهم على النصف من كل دولار يكسبه كاسيوس. وكانت تلك صفقة جيدة لكاسيوس في ذلك الحين، حيث سادت اريستوقراطية المشروبات والتبغ في كنتكي، وها هي تدعمه بما يبعث على الاطمئنان. الا انه كان يدرك على الرغم من ذلك، ان اصحاب الملايين هؤلاء يعتبرونه وكأنه من "الممتلكات الرياضية"، مثل جيادهم الاصيلة وسياراتهم الاجنبية. وقد ازعجه بعض الشيء ما قالته الصحف عن اصحاب الملايين هؤلاء بأنهم الملائكة الحارسة لفتى اسود فقير بلا حيلة، وما سمعه عن ردة فعل الجمهور، من فم قسيس اسود قال في عظته يوم احد: "لكم يجدر بكاسيوس ان يشعر بالامتنان الابدي لما يفعله اولئك المسيحيون الطيبون اصحاب الملايين من اجل روحه السوداء".

"غلباوي" لويزفيل

في ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٠، فاز كاسيوس كلاي بأولى مبارياته كمحترف، وكانت الحصيلة ٢٠٠٠ دولار، اي ما يكاد يعادل كل ما كسبه بعدئذ في مبارياته الاربع التالية جميعها.

وانتقل كاسيوس الى ميامي بيتش لاتقان حرفته. وكان في وسع جماعة لويزفيل ان تنفق على افضل المعلمين، فأختارت انجيلو داندي. وكان ذلك اختيارا حكيما. وقد غير كلاي في السنوات التالية اسمه، وديانته ومدير اعماله ومتعهديه وزوجاته. لكن ذلك الايطالي - الامريكي القصير القامة من فيلادلفيا، ذا العينين الكئيبتين واللسان اللاذع، كان دائما ظلا الى جانبه، يعرف كيف يوجهه. ويقول انجيلو: "هذا نوع جديد من البشر، بل انه حالة خاصة لا تتقبل الاوامر، كما

انه لا يحب الصراخ في وجهه وهو يتدرب، فعليك ان تستعين بقوة الايحاء. فأنا اقول له مثلا: "ما كان ابدع ضربات يسراك القاطعة اليوم، بينما هو لم يوجه ضربة واحدة من هذا النوع في يومه، ولكنه كان يفعل ذلك في اليوم التالي".

وقد كان التوافق متبادلا بينهما، فيقول كلاي عن داندي: "ليست بيني وبين انجيلو قضية سيطرة ورئاسة، فنحن نناقش الامور بالعقل والمنطق، ونستمتع بصحبة احدنا الاخر، بالاضافة الى ان هناك طائفة من الاماكن يستطيع انجيلو ان يصحبني اليها". ثم يغمز بعينه ويدق بأصبعه على جسم انجيلو الاسمر، ويقول: "لانه نصف ملون".

وقد حرص انجيلو على ان يتجنب اي تدخل في حياة كلاي الخاصة. ولعله كان من البيض الاوائل الذين علموا بأن الملاكم الشاب يحضر اجتماعات طائفة السود الانفصاليين المدعوة "امة الاسلام المفتقدة المستعادة"، لكنه تجنب الاسئلة في هذا الصدد، ولم يفاتح كلاي في الامر بكلمة واحدة.

وكانت مهمته تنحصر خصوصا في تكييف جسم كلاي، وصقل اسلوبه في الملاكمة، والمحافظة عليه في احسن حالة معنوية.

وكان العمل ممتعا في السنوات الاولى. فكثيرا ما كان يشكو المدربون من ان اصعب الامور في مهمتهم هو ايقاظ ملاكميهم في الصباح الباكر واخراجهم للعدو قبل الفجر، واغراؤهم بالتدرب حتى النهك ثم اعادتهم الى النوم مبكرا وفي وحدة تامة. لكن كاسيوس كان يحب العدو والتدرب وتكييف جسده على خير وجه. وكان اعتزازه بجسده يكاد يبلغ حد الافتتان النرجسي وكان لا يكاد يرى عضلة قد لانت قليلا في جسمه حتى يندفع مسعورا الى التمارين الجمبازية كي يتدارك الامر.

وخارج حلبة الرياضة، وعلى كثرة احاديثه عن "الثعيلبات" - وهو الاسم الذي يطلقه على الفتيات الجميلات - لم يكن كلاي من المسرفين في السهر واللهو. ويقول احد اصدقائه القريبين: "كان كلاي خجولا دائما مع الفتيات، وسواء صدقت او لم تصدق، فان لسانه ينعقد ارتباكا عندما يحاول طلب موعد من فتاة".

ولكن كلاي كان دائما، ولا يزال، مرتاحا، رخي البال مع الاطفال، وهو يقول: "ان الفرق الوحيد بيني وبين زمّار الاطفال هو انه ليس للزمار سيارة كاديلاك".

هذا الرجل الودود الرقيق الحاشية الذي يحترم كبار السن، يبدو في الحياة الخاصة نقيضا صارخا لكاسيوس المولول المتفاخر كما يبدو للجماهير. كاسيوس عفريت الدعاية، الذي كتب ذات مرة: "انا؟ ما اروعني" ثم اضاف: "وانني لشديد التواضع".

وكانت هناك تناقضات اخرى برزت في اوائل الستينات، ولا تزال عالقة بشخصيته. فعلى الرغم من الوحشية البربرية التي تسود حلبة ملاكمة المحترفين، كان كلاي شديد الحساسية ازاء العنف، فلما يسحق خصما مصابا بجروح (والنقاد يسمون ذلك افتقارا الى "غريزة الفتك")،

PHILIPS
PHILISHAVE



طريقة فيليشيف الفريدة للحلاقة

ماكينة حلاقة فيليبس :
خطوة أخرى نحو حلاقة مثلى



فيليبس الأفضل لكم دوماً

وقلما يسعى الى الضربات القاضية التي تؤذي المخ بتركيز الضربات الثقيلة على رأس الخصم· ولا ينحصر سبب هذا السلوك في العاطفة الانسانية الخالصة اذ ان كلاي لا يحب ان يتلقى بدوره ضربات مؤذية· وعندما اخبره احد الصحافيين ان من الامور العاديةان يفقد لاعبو الهوكي بعض اسنانهم في المباريات، ارتعد اشمئزازا وقال: "لماذا يفعلون ذلك؟ ان الالعاب لا تستمر الا فترة محدودة، اما وجهك واسنانك فتلازمك طوال العمر"·

وفي خلال عامين، بعد اول مباراة احترافية له، سجل كلاي ١٦ انتصارا متواليا من دون انقطاع· ولئن كان المشككون لا يزالون يرتابون في موهبته بالملاكمة فلم يكن هناك ادنى شك في موهبته بالدعاية لنفسه، فقد جعل كاسيوس من نفسه احدى معجزات شبابيك التذاكر واجتذاب المتفرجين بما كان ينظمه من مقطوعات لا نهاية لهامن الشعر الهزلي:

"احكي لكم عن رجل بلا بديل
قبضته خارقة ولون بشرته جميل
وهو كثير اللغو في فخاره الطويل
لكن بطش يده ليس له مثيل"·

وكان كاسيوس ايضا يفتقر على نحو لا يصدق الى التواضع الرياضي التقليدي: "انا جميل· جميـ يـ يـ يل· انا نظيف متألق، وسأكون بطلا نظيفا متألقا"·

اضف الى ذلك تنبوءاته الغريبة الخارقة للطبيعة:

"لقد عاش آرشي طويلا طويلا
على خير هذا البلد
وها قد اتيت لاعطيه
امر اعتزال من الآن حتى الأبد·
فان جئتم للمباراة
لا تغلقوا الباب قبل الاوان
فمن بعد رابع جولاتنا
لن تكون له قدمان"·

وبالفعل، فقد اجهز كلاي، بالضربة القاضية، وفي الجولة الرابعة نفسها كما تنبأ في شعره الهزلي، على البطل السابق آرشي مور عندما نازله في مباراته الاحترافية السادسة عشرة، في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢، ومنذ تلك اللحظة اصبح كلاي اعز الرياضيين في عالم الملاكمة· وكان ذلك انسب الاوقات لبروز "غلباوي" لويزفيل، كما كان يسميه كتاب الرياضة بعد ان وصلت الملاكمة الى وضع يرثى له اكثر من أي وقت مضى·

البطل

تختلف الملاكمة عن بقية الرياضات الكبرى في امريكا، في انها لم تكن لها ابدا سلطة مركزية قوية· فليس هناك ترتيب منطقي لتتابع المباريات، او نظام يضمن للملاكم نجاحا يتناسب مع قدراته، بل ليس هناك اي مجموعة موحدة لقواعد الملاكمة·

وكثيرا ما كانت الرياضة تتطلع الى جماعات عالم الرذيلة والاجرام لضمان حمايتها وتمويلها، فقد تأبىّ رجال الاعمال المشروعة ان يجازفوا باموالهم وسمعتهم في حلبات الملاكمة، فانفسح المجال بذلك لاهل الابتزاز المتمولين والقادرين على فرض الانضباط على الملاكمين الخشنين الذين نشأوا في احياء الفقر والعنف، وعلى سماسرة المراهنات

والمزورين، وأي شخص آخر يخرج عن "السبيل".

ولكن امور الملاكمة تغيرت تغيرا جذريا في عام ١٩٥٧، حين صدر قرار اتحادي مناهض للاحتكارات ادى الى حل اتحاد مشبوه لمنظمي المباريات كان يعمل تحت اسم "نادي الملاكمة الدولي"، كما ادى الى تجريد حلبة "ماديسون سكوير غاردن" - التي كانت عاصمة الملاكمة - من احتكارها الفعلي لمباريات بطولة الوزن الثقيل. وفي الوقت نفسه تقريبا انجزت طريقة الكترونية تتيح الاذاعة التلفزيونية في دوائر مغلقة تكفل الارسال الى كل القاعاتوالمسارح التي ترغب في عرض المباريات في أي مكان من العالم.

وكان اول المستفيدين من هذه التطورات فلويد باترسون، البطل المنطوي على نفسه والمتقلب المزاج الذي ظل بعيدا عن نظام العصابات في هذه الرياضة. وكان باترسون حرا من جميع الارتباطات التعاقدية ، فتمكن من تأسيس شركة خاصة به يتحكم عن طريقها بالترويج لمبارياته. وكان مديره الماكر كاس داماتو يختار له خصومه بعناية وحرص، بحيث انه قلما كان يخسر مباراة. ولكن فلويد كان يتوق الى انتزاع الاعتراف العالمي به كبطل عظيم، وابت عليه كبرياؤه ان يتقاعس عن قبول التحدي الذي وجهه اليه سوني ليستون، الملاكم الوحشي ذو الهيئة المرعبة، الذي كان في ما سبق مجرما من نزلاء السجون والذي كان يبدو وكأنه لا يقهر. ولم يرد داماتو ان ينازل فلويد باترسون سوني ليستون لكن باترسون اصر وخسر.

وتردد النداء بحثا عن منقذ شاب وسيم يهب لنجدة بطولة الوزن الثقيل ويرد اليها الكرامة والاعتزاز. فمن يا ترى يقبل تلك المهمة الخطرة؟

وسمع كاسيوس كلاي النداء، واسرع الخطى الى مباراة البطولة.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣، في اثناء الوزن الذي سبق مباراته مع ملاكم يدعى تشارلي باول، خرج كلاي عن طوره وتحدى باول وطالب بان يلاكمه عند الميزان وراح يصرخ: "انتظر وسترى، سأهزمك في الجولة الثالثة!" واستدعى الامر تدخل مساعد كلاي "لمنعه". واطلق عليه الكتاب الرياضيون لقب "كاسيوس الغازي"، ولكنه لم يلبث ان هزم باول بالضربة القاضية في الجولة الثالثة، تماما كما تنبأ.

وفي يونيو (حزيران) من ذلك العام، نازل كلاي البطل البريطاني هنري كوبر، وقد اثار كلاي في ذلك الحين زوبعة في لندن، حيث راح يخطر مرتديا قبعة بريطانية وسترة صباح تقليدية، ويوقف المرور في ميدان "بيكاديلي سيركس" وهو يدعو الجمهور الى حضور مباراته صائحا منشدا:

"تقول لكم حاستي السادسة
سيذهب كوبر في الخامسة".

وفي الجولة الخامسة بالضبط ذهب كوبر.

وفي شهر يوليو (تموز) من العام

نفسه، قضى ليستون على باترسون مرة ثانية كي يحتفظ باللقب. ولم يعد في الافق متحد آخر يجتذب الجمهور الى شباك التذاكر، الى ان اعد المسرح لمباراة بين ليستون وكلاي في ميامي بيتش خلال شهر فبراير (شباط). وصرخ كلاي: "اريد فروة ذلك الدب الضخم القبيح". واجاب ليستون: "اذا لاكمت هذا الصبي سيقبض علي بتهمة القتل".

وكان الكثيرون يشاطرون ليستون ذلك الشعور. وحدد سماسرة المراهنة في لاس فيغاس معدلات الرهان بـ ٧ - ١ لمصلحة ليستون. واوفدت صحيفة "النيويورك تايمس" احد رجالها لتغطية المباراة، مع تعليمات بأن يتأكد من مكان اقرب مستشفى حتى لا يضيع وقتا بعد ذلك في اللحاق بكلاي الى غرفة العناية الفائقة.

"انا الاعظم"

وتصاعدت الدعاية للمباراة الى حد الغرابة، واجتذبت المباراة نفسها الى ميامي بيتش فيلقا دوليا من الصحافيين يزيد على ٥٠٠، ومن بينهم كتاب كانوا ملاكمين سابقين من الوزن الثقيل، مثل نورمان مايلر، وباد شولبيرغ. وتطوع مساعد مدرب كلاي، درو (بانديني) براون، لاطلاق شعار المعركة: "اطفو كفراشة بديعة والدغ كنحلة فظيعة". ولم يلبث الشعار ان طاف حول المعمورة بعشرات اللغات.

احتفظ كلاي بهدوء تام يلفت النظر في الايام السابقة للمباراة. وفي عصر احد الايام، بعد ان انتهى من تدريبه العلني، استلقى على طاولة في غرفة ملابسه ليتلقى تدليكه اليومي. وكانت اوراق مفكرات الصحافيين تتقوس من جراء البخار المتصاعد من حجيرات "الدوش" ووجه صحافي من لوس انجلس السؤال الآتي الى كلاي: "ولكن ماذا ستفعل اذا خسرت المباراة يا كاسيوس؟" فهمس كاسيوس يخاطب نفسه وهو ينظر الى صورته الغائمة في مرآة غشاها البخار المتكاثف: "ما اجملك! لقد حجبت ضوضاء الدعاية مواهبك! انك الاعظم مرتين".

فتدخل صحافي آخر قائلا: "لنلتزم الجد دقيقة واحدة. ماذا ستفعل اذا هزمك البطل"؟

ورد كلاي: "اذا هزمني ليستون، فستجدني منذ صباح اليوم التالي على الارصفة اصيح باعلى صوتي: "لا يهزمني رجل مرتين ابدا". ثم استرخى جسده الاسمر الضخم وبدا وكأنه يذوب في طاولة التدليك، وانخفض صوته حتى اصبح همسا فقال: "او لعلني عندئذ اهجر الحلبة الى الابد، وقد بلغت الثانية والعشرين". ثم اغمض عينيه واضاف: "اعتقد انني قد بدأت اسأم الملاكمة".

وحتى اللحظة التي خطا كاسيوس الى داخل الحلبة، كانت الاشاعات تتطاير بأنه غادر البلاد. وفي اثناء عملية الوزن في ذلك الصباح، تفوق كلاي على تمثيليته الماضية مع تشارلي باول، بمشهد اكثر جنونا انتهى منه وهو يرغي ويزبد بالفعل،

Omega. For those who value time.

أوميغا للذين يقـدّرون الوقت

Ω
OMEGA



Omega Seamaster, ST [illegible], quartz movement, stainless steel with bezel and guarantee seal in 14 ct. gold, sapphire crystal.

Omega Seamaster, [illegible] quartz movement, stainless steel, sapphire crystal.

وقد تحدى فيه ليستون ان يلاكمه في التو، واحتاج الامر مرة اخرى الى "منعه" عن ذلك. واما ليستون فقد اقتنع بان كلاي مخبّل، مجنون، وسجل احد اطباء لجنة الملاكمة ان نبض كلاي مرتفع في شكل غير عادي لانه "يكاد يموت رعبا". والذي يحدث عادة هو ان الصحافة تسلم برأي الاطباء من دون مناقشة.

الا ان كلاي كان مسيطرا على نفسه وعلى المباراة منذ ان دق جرس بداية الملاكمة، وهو يرقص رائغا من يسرى ليستون الخطافية التي يفخر بها، كي يعود واثبا فيهاجمه ويمطره بضربات سريعة متتابعة في رأسه. وفي الجولة الثالثة، فتح كلاي بضرباته جرحا بالغا تحت عين ليستون اليسرى، احتاج اقفاله بعد ذلك الى ست غرز.

وكان النظارة لا يصدقون اعينهم، وهم لم يفيقوا بعد من صدمتهم الاولى حين اكتشفوا ان كلاي اطول من ليستون بثلاث بوصات (البوصة سنتيمتران ونصف سنتيمتر) تقريبا، فضلا عن انه يفوقه في شكل ملحوظ في عرض الكتفين. وها هم الآن يتلقون صدمتهم الثانية اذ يدركون ان "الغلباوي" المتفاخر كان يقول الحقيقة طوال الوقت وانه لا يخاف فعلا من ليستون، وانه ابرع منه بكثير في الملاكمة.

واما ليستون فقد بلغ به الامر انه لم يخرج من ركنه حين دق جرس بداية الجولة السابعة، وظل متكوما على مقعده، بينما الحكم يرفع يد كلاي معلنا انتصاره. وكانت ذراع ليستون اليسرى تتدلى الى جانبه كالخرقة البالية، بسبب انفصام عضلات كتفه اليسرى، من جراء الضربات العنيفة التي سددها الى خصمه المراوغ. فضاعت سدى في الهواء. وكان مخبرو الصحف لا يزالون جالسين في مقاعدهم يحاولون استيعاب هذه النهاية غير المتوقعة، حين اطل عليهم البطل الجديد من علياء حلبته وهو يصيح: "هيا امضغوا ما كتبتموه من هذر. فانني انا الاعظم. انني انا.. الا..اعـ..ظم!"

الفتى الطيب ضد الشرير

قبل ان يفوز كلاي ببطولة الوزن الثقيل، كان يعاوده في لحظات الصفاء حلم شبيه باوهام الخرافة العذبة، فيقول في نفسه: "عندما افوز بالبطولة، سألبس بنطلونا قديما (جينز) وارتدي قبعة قديمة واطيل لحيتي، واسير في طريق ريفي قديم حيث لا احد يعرفني، حتى اجد "ثعيلبة" جميلة تجهل اسمي وتحبني لذاتي كما انا فحسب، عندئذ ساعود بها الى منزلي الذي يساوي ٢٥٠٠٠٠ دولار، واريها مجموعة سياراتي الكاديلاك وحوض السباحة الداخلي الذي انشأته احتياطا من المطر وسأقول لها: "كل هذا لك، يا حبيبتي، لانك احببتني لذاتي!"

وجاء الواقع خلافا لما كان حلم اليقظة. فلم تكد تمضي بضعة اشهر على فوز كاسيوس بالبطولة، حتى ارتد عن المسيحية، مما ادى الى توتر موقت في علاقته بوالديه وتزوج امرأة تكبره سنا ولها طفل من زواج سابق، واعلن ان اسمه الجديد هو "محمد علي"، الذي سماه به الشريف اليجا

زعيم الجماعة التي تطلق عليها الصحف اسم "المسلمين السود".

وصدم اولئك الذين كانوا يشعرون بالاعزاز بكاسيوس كلاي الذي عرفوه من الالعاب الاولمبية في روما، فقد بدا لهم هذا الـ"محمد علي" الجديد لغزا من الالغاز، وضالا، وجحودا مجسما لطريقة الحياة التي اوصلته الى النجاح. لكن رجل الدين المسلم الذي انتشل في الاصل كاسيوس كلاي يوم كان غلاما في السابعة عشرة من العمر من ناصية الشارع بحديثه عن "الشيطان الازرق العينين"، كان لوقع كلامه سحر عميق المغزى في عقل الملاكم الشاب وقلبه. فقد ابهج كلاي ما رآه في الجامع من نظافة المسلمين وبراءة نسائهم ذوات الاردية الطويلة وذلك الشعور بالانتماء الذي تلمسه في الاخوة المطمئنة بين ارباب الاسر المسؤولين.

وكان من السهل على الملاكم المتدرب ان يلتزم بقواعد الاسلام، ولم يكن كلاي بطبيعته من هواة الشراب او التدخين او العربدة باي شكل. وفضلا عن ذلك، فقد كانت فكرة تفوق السود بلسما لقلقه.

وبحماسة المؤمن الجديد، اصبح محمد علي مسلما ممتازا. وكانت تعاليم الشريف اليجا كما يقول، هي التي مكنته من ان يفوز ببطولة الوزن الثقيل. وقال ان عليه كبطل ان يكون نموذجا يحتذيه الشباب السود. وراح - على غير المألوف من نجوم الرياضة - ينفق جانبا كبيرا من الوقت في الاحياء الفقيرة، ماشيا في الشوارع الصغيرة المليئة ببسطاء الناس، حاملا معه رسالة الاسلام التي تطالب الانسان بان "يرفع رأسه ويفرد جناحيه ويطير معتدلا".

غير ان محمد علي لم تفارقه المتناقضات. فقال لاحد القريبين منه ذات مرة: "متى اقدمت على الزواج سأتخذ زوجة لي فتاة مسلمة صغيرة السن، في نحو السابعة عشرة، لكي اعودها على طباعي. عذراء لم يمسسها احد قبلي". وما هي الا اشهر قليلة حتى تزوج محمد علي سونجي روا التي تعمل في عرض الازياء في شيكاغو، وكانت قبل ذلك عاملة في احد البارات وتكبره بعدة اعوام، وكانت دنيوية، خبيرة في الحياة والناس، ومستقلة السلوك، وتحب التدخين والشراب وتستخدم مساحيق التجميل ويستهويها الرقص وحفلات السمر وترتدي الملابس القصيرة والقمصان الشفافة.

وقد دامت علاقتهما متقلبة اقل من عام. والواقع ان زواجهما لم يستمر طوال تلك الفترة، الا لان محمد علي لم يشأ ان يواجه الم الانفصال الا بعد لقائه الثاني مع ليستون.

وكان حضور المسلمين هائلا في هذه المباراة الثانية التي جرت في مدينة لويستون في ولاية ماين في شهر مايو (ايار) من عام ١٩٦٥. وكان البطل محاطا على الدوام بفيلق من "خيرة المسلمين" ذوي النظرات الصارمة، وهم جماعة تجيد مصارعة الكاراتيه وتضطلع بمهمة المحافظة على "الامن". وقد صادف وجودهم انتشار اشاعة مؤداها ان جماعة من السود المسلحين مقبلون بالسيارات من نيويورك كي يفتكوا بمحمد علي انتقاما لمقتل مالكولم اكس الذي كان استاذ محمد علي في الاسلام الى ان حدث الانشقاق المرير بين مالكولم

اكس واليجا محمد. وقد تبين بعد ذلك ان تلك كانت مجرد اشاعة. لكن الامتعاض الذي اثاره تحول محمد علي الى دينه الجديد كان له اثره في توكيد هذا الواقع. وبعد المباراة التي خسرها ليستون بالضربة القاضية في الجولة الاولى انطلقت النداءات مرة اخرى بحثا عن ملاكم منقذ، وبدا فلويد باترسون سعيدا مغتبطا باحتمال بعثه من جديد. بل راح يتمادى الى حد التصريح علنا بان "وجود احد المسلمين السود كبطل للوزن الثقيل عار على الرياضة وعلى الامة باسرها. فلا بد من هزيمة كاسيوس كلاي واقصاء المسلمين السود عن اجواء الملاكمة".

وكانت المباراة التالية ضد باترسون في نوفمبر (تشرين الثاني) نقطة حاسمة في تدهور علاقات محمد علي مع الجمهور. فقد خلعت الدعاية على كل من الملاكمين الخصمين ثوب المصارع العقائدي، واصبح الامر وكأنه امر المسيحي ضد المسلم، والوطني الوحدوي ضد الانفصالي الاسود، والملاكم الطيب ضد الملاكم الشرير. واصر فلويد على مناداة خصمه باسم كاسيوس كلاي، وراح يصلي لكي يتمكن من "اعادة البطولة الى امريكا".

واما علي فكان رزين التصرف يقول دائما: "انني لا ولن اتهجم على ديانته ابدا. وكيف لي ان اهاجم اولئك الكاثوليكيين الطيبين: البابا وهؤلاء القوم الرائعين الذين يديرون المستشفيات ويغيثون الاطفال؟ فلماذا اهاجمهم بجريرة احمق واحد؟".

لكن هجوم محمد علي في الحلبة لم يكن فيه اي رزانة او تعقل. فهو استمر يذل باترسون ويقسو عليه طوال ١٢ جولة، حتى ارتمى الحكم بجسده امام باترسون ليحميه بعد ان اصبح عاجزا تماما عن الدفاع عن نفسه. وحقق محمد علي نبوءته بانه "سيؤدب" فلويد على ما قاله، وقد كان التأديب فظيعا!

وبعد المباراة، اخذ محمد علي يظاهر فلويد بالعطف عليه، وراح يدسه في حلق امريكا كي تغص به. فكان يقول له: "من حقك يا فلويد ان تنال الوان الشرف ومختلف الاوسمة مكافأة على ما عانيته، شابا امريكيا نظيفا طيبا يكافح في سبيل امريكا. من واجبهم ان يضمنوا لك الا تحتاج الى العمل يوما واحدا بعد الان طوال حياتك. وانه ليكون عارا على الحكومة لو تركتك تضطر الى كسب رزقك في النهاية من مباريات الملاكمة التافهة في الحانات الحقيرة".

وقد اقتصر فلويد على القول: "لقد هزمني ملاكم عظيم، هو محمد علي"، مستخدما الاسم المكروه للمرة الاولى.

ولكن الصحافة كانت لا تزال تغص بالاسم، وكان اقصى تنازل من معظم الصحف هو ان تشير الى البطل بقولها: "كاسيوس كلاي، الذي يفضل ان يدعى محمد علي"، ثم تواصل تسميته "كلاي" في بقية المقال. وفي المقابلات الشخصية، كان اكثر كتاب الرياضة يلجأون الى حل وسط فيخاطبونه باسم "البطل"، ريثما يتسنى لهم ان يسموه "البطل السابق". وبعد مباراة باترسون دعت صحيفة "النيويورك تايمس" في مقال افتتاحي، الى اصدار قانون بمنع

ملاكمة المحترفين.

وعاد النداء يتردد داعيا الى انقاذ تاج بطولة الوزن الثقيل. لكن قائمة الابطال كانت خاوية على عروشها!

قرار حاسم

في ١٧ فبراير (شباط) ١٩٦٦، كانت نسمات العشية ناعمة مثقلة بالعبير في ميامي. وجلس محمد علي في كرسيه الاخضر تحت النخلة المنتصبة امام داره المستأجرة، وهو يشعر بالراحة والغبطة. فهو ركض كثيرا في ذلك الصباح، وكاد ان يستكمل تدريبه استعدادا لمباراته في شيكاغو خلال شهر مارس (آذار). واذ بصوت يناديه من داخل البيت ويدعوه الى الرد على مكالمة تلفونية مع مدينة اخرى.

كان التلفزيون قد اذاع في صباح ذلك اليوم عن جلسة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي حول الحرب في فيتنام، حدثت فيها مساجلة حادة بين السناتور وين مورس والجنرال ماكسويل تايلور. فقد قال مورس ان تايلور والرئيس جونسون قد ضللا الرأي العام في ما يتعلق بالحرب، بينما لمَّح تايلور الى ان ناقدي الحرب يساعدون الاعداء. وكان رأي تايلور هو السائد في ذلك الوقت، وكانت المشاعر تزداد تأججا ضد مناهضي الحرب من "المطالبين بالسلام الذي يخدم اهداف الشيوعية".

وفي فترة سابقة، كان الجيش الامريكي يطبق معايير عالية على المجندين. وكان محمد علي قد ادرج، بعد اختباره، في فئة من لا تنطبق عليهم معايير التجنيد. ثم اعيد اختباره بعد ذلك وتكرر ادراجه في الفئة نفسها، وهو امر تعذر تصديقه على كثير من الناس: الا يستطيع الرجل الذي ينظم كل هذا الشعر الهزلي ان يتذكر الاوامر العسكرية العامة؟

وفي تلك العشية في ميامي، أكتشف محمد علي من تلك المكالمة التلفونية ان الجيش قد اعاد تصنيفه في الفئة الاولى الصالحة للتجنيد. وفي غمار غضبه وحيرته هتف: "لماذا انا؟ لست افهم كيف يتصرفون معي على هذا النحو، وانا بطل العالم في الوزن الثقيل؟"

وسرعان ما تقاطرت سيارات التلفزيون امام المنزل، وراحت المقابلات تتوالى. وصاح محمد علي في الميكروفونات المتراكمة امامه: "عندي سؤال: لقد استمرت الحكومة طوال عامين تسبب لي حرجا دوليا، وتحمل الناس على الاعتقاد بأنني مجنون، وقد اثار لي ذلك كثيرا من المتاعب بلا شك، كما عانى منه ابواي كثيرا من الالم. وهم الان يصنفونني في الفئة الاولى من دون ان يبالوا بمجرد انذاري او اختباري! فلماذا استمروا عامين طويلين قبل ذلك يلصقون بي تهمة الامية؟"

وبين مقابلة وأخرى، كان محمد علي يجلس على كرسيه الاخضر في الحديقة وحوله حرسه الخاص من المسلمين السود، واصدقاؤه يلهبون شعوره المتزايد بالاضطهاد ويقولون له: "هذا مثال آخر لمحاولات الشياطين البيض أن يقضوا عليك!" وتطوعوا بأن يرووا له قصصا من تجاربهم الخاصة عن التمييز العنصري

في اثناء الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا. وتنبأ احد المسلمين بأن محمد علي لن يخرج من التدريب الاساسي، حيا: "لن يلبث جاويش متبجح سمين ان ينسفك نسفا في ساحة التدريب على القنابل اليدوية".

وظل الصحافيون يسألون محمد علي مرارا وتكرارا عن رأيه في حرب فيتنام، وهو يكتفي بهز كتفيه. وسألوه عما اذا كان يعرف اين فيتنام، فهز كتفيه ايضا. واخيرا سأله احدهم: "حسنا، ما هو رأيك في الفيتكونغ؟"

وهنا قالها، وكان قد نال منه التعب والحنق والغضب والاحساس بالغدر: "ليس لدي شيء ضد هؤلاء الفيتكونغ".

وتلقفت تلك الجملة حكومات الولايات ولجان الملاكمة وجماعات المحاربين القدماء ومحررو افتتاحيات الصحف، وراحوا جميعا يلوحون بها وكأنها علم احمر. والغيت مباراة شيكاغو، ولم تعد اي مدينة في الولايات المتحدة تقبل ان تقام فيها مباراة لمحمد علي. بينما قامت الرابطة العالمية للملاكمة، وهي نوع من الاتحاد الطليق من النظام يضم لجان الملاكمة في مختلف الولايات والمدن، بمضاعفة جهودها كي تفرض ملاكما آخر زاعمة انه البطل الحقيقي.

واصبح محمد علي الملاكم المنبوذ شبه منفي من الولايات المتحدة. فتوجه الى كندا لينازل جورج شوفالو، البطل الكندي الذي يمتاز بصلابة العود وضعف الموهبة. وكان هناك كثير من الصحافيين الاجانب الذين وقفوا من محمد علي موقف التكريم والاجلال. واذا كان بعض ذلك يرجع الى سحر شخصيته، فأن الجانب الاكبر منه يعود الى الشعور المعادي لامريكا في ذلك الحين بسبب حرب فيتنام. وقال له احد الهولنديين: "ان الامريكيين تنهشهم الغيرة لانك تقول الحقيقة".

وأنتصر محمد علي في مباراته هذه على شوفالو، وانتصر بعد ذلك على هنري كوبر وبريان لندن في لندن، وعلى كارل ميلدنبرغر في فرنكفورت.

واتسع نطاق الاسفار. وبدا محمد علي في اعين كثير من الاجانب رمزا للامريكيين المعارضين، فاستمال المثقفين والطلبة والزعماء السياسيين. وقد غبطه هذا الاهتمام به وأنبرى الى استخدام لغة تشف عن منظور عالمي اشمل. واوضح للطلبة الافريقيين والهنود الذين سعوا اليه ان اولئك الذين ينصبون له العداء "لا يحبونني لانني رجل حر. لقد كان الزنجي يبيع نفسه دائما رغبة في المال او في النساء، ولكنني اتنازل عن كل شيء في سبيل ايماني. فأنا رجل حر، ولست ملكا لأحد".

وفي اواخر عام ١٩٦٦، عادت القوى التي كانت قد اقصت محمد علي عن الملاكمة في الولايات المتحدة، وفتحت الباب امامه مرة أخرى، فلعب وكسب ثلاث مباريات جديدة قبل ان يغلق الباب ثانية في وجهه. وكانت احدى هذه المباريات ضد ايرني تيريل الذي القمه محمد علي ضربات "تأديبية" على طراز "تأديبه" لباترسون. وكان تيريل قد اصر على مناداته بأسم "كلاي"، فظل محمد علي طوال المباراة يصيح به

وهو يضربه: "ما هو اسمي ايها العم توم؟ اعطني كلاي آخر يا عبد البيض..."

ومع حلول ربيع عام ١٩٦٧، كان محمد علي قد صرح بوضوح تام انه يأبى التجنيد. وكان محاموه يسعون الى اعفائه من الخدمة العسكرية بأعتباره من اتباع الدين الاسلامي فالمسلمون لا يدخلون الجيش، واليجا محمد نفسه سجن في اثناء الحرب العالمية الثانية لرفضه التجنيد. وجرت آخر مباريات محمد علي في عهد بطولته الاولى كملك للوزن الثقيل في الحلبة القديمة في ماديسون سكوير غاردن ، بين الشارعين التاسع والاربعين والخمسين في مدينة نيويورك. وكانت المباراة ضد ملاكم يخطو الى القمة يدعى زورا فولي، واخذ منظموها يروجون لها بقولهم: "انها آخر فرصة لمشاهدة محمد علي قبل ان يحصل على واحد الى ثلاثة"؛ مشيرين بذلك الى عقوبة السجن من عام الى ثلاثة اعوام التي يحكم بها على كل من يرفض التجنيد. ولم يكن في المباراة شيء يميزها غير ذلك. وقد انهاها محمد علي بأن هزم فولي بالضربة القاضية في الجولة السابعة.

وقال محمد علي متنبئا: "عندما ازول انا، ستتدهور الملاكمة الى لا شيء مرة اخرى. سيكون هناك الهواة بسيجارهم وقبعاتهم، ولكن لن تتابعها الزوجات وبسطاء الناس ورؤساء الدول الاجانب، وسيقتصر امر الملاكم الذي يأتي الى المدينة على شم زهرة، وزيارة مستشفى، والتزمير بسيارته، والتبجح بأنه رجل لائق. حكاية قديمة مهلهلة. انا الملاكم الوحيد في التاريخ الذي يسأله الناس رأيه اسوة بأعضاء مجلس الشيوخ".

وقبل موعد مثوله ببومين امام لجنة التجنيد، جلس محمد علي في مقهى احد فنادق شيكاغو، متأملا بكآبة الامواج المتلاطمة في بحيرة ميشيغان التي عصفت بها رياح شهر ابريل (نيسان). وقال: "انا لا ابتغي دخول السجن، وانما لا بد لي ان اعيش الحياة التي يلهمني اياها ضميري وربي. فماذا ينفعني ان احب الناس في امريكا هذه التي تنبذ الصالحين؟"

وسأله صحافي: "ولماذا لا تلعب اللعبة كسائر كبار الرياضيين؟ فعندئذ لن يرسلوك الى خط النار. فيمكنك مثلا، ان تقدم وانت في الجيش مباريات استعراضية وان تعلم اصول اللياقة البدنية".

فاتكأ محمد علي الى المائدة وقد برقت عيناه، وقال مؤمنا: "ماذا عساك تقدمين الي يا امريكا في مقابل تنكري لعقيدتي؟ فأنت تريدينني ان امتثل لاوامر الرجل الابيض، فاذهب لاحارب اناسا لا اعرف عنهم شيئا، حصولا على الحرية لاناس آخرين، بينما يتعذر حصول الحرية على ابناء قومي".

ويتضح من هذا ان محمد علي كان مستعدا لدخول السجن. وبالفعل، لم يمض يومان على هذا الحديث - وكان ذلك في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ في مدينة هيوستون - حتى ابى محمد علي ان يخطو تلك الخطوة من اجراءات التجنيد التي كانت ستجعل منه الجندي كاسيوس كلاي.

فأصبحت قضيته بذلك تقتضي محاكمته مدنيا امام القاضي الاتحادي.

العودة

لعل فترة "المنفى كما يسمي محمد علي فترة انقطاعه الاجباري عن الملاكمة لمدة ثلاث سنوات ونصف سنة، كانت اخصب فترات حياته، بما حفلت به من تعليم مركز وتثقيف. فعلى الرغم من ان الحكومة لم ترخص له بمغادرة البلاد، الا انه قام باسفار كثيرة على نطاق واسع لكي يحضر جلسات المحاكمة واجتماعات المسلمين ويلقي الخطب والاحاديث، حيث اصبح محمد علي من اشهر المحاضرين في مختلف الكليات. وقد كان من هذه اللقاءات ان صقلت اسلوبه ووسعت نطاق وعيه بالاحاديث الجارية وكثيرا ما عارض الطلبة حملاته العنيفة على الماريغوانا (نوع من القنب المماثل للحشيش)، وعلى اللقاءات المنفردة بين الفتيان والفتيات، وكثيرا ما ارغموه على ان يشرح مواقفه الدينية من منطلق فكري بحت. وكان محمد علي يستعد لهذه اللقاءات ويمارسها بالتركيز نفسه الذي عالج به الملاكمة. فكان يكتب احاديثه ويعيد كتابتها مرات ومرات على بطاقات كبيرة، ويسجلها بصوته على الاشرطة ثم يعيد سماعها ويعنى بتحليلها. ومع تزايد ثقته بنفسه، اصبح يطعم احاديثه بنكات صغيرة، فلم يعد يقول: "انا الاعظم"، لانه يعرف الان ان "العظمة لله وحده"، ولكنه ظل يسلم بانه "الاجمل".

بل انه تنازل عن تلك الصفة في ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٦٨، بعد ان وضعت زوجته الجديدة المسلمة بليندا، طفلتهما مريم، باكورة ابنائهما الاربعة. فاصبحت مريم الان هي "الاجمل"، وقد تجسد فيها حبه الشديد للطفولة.

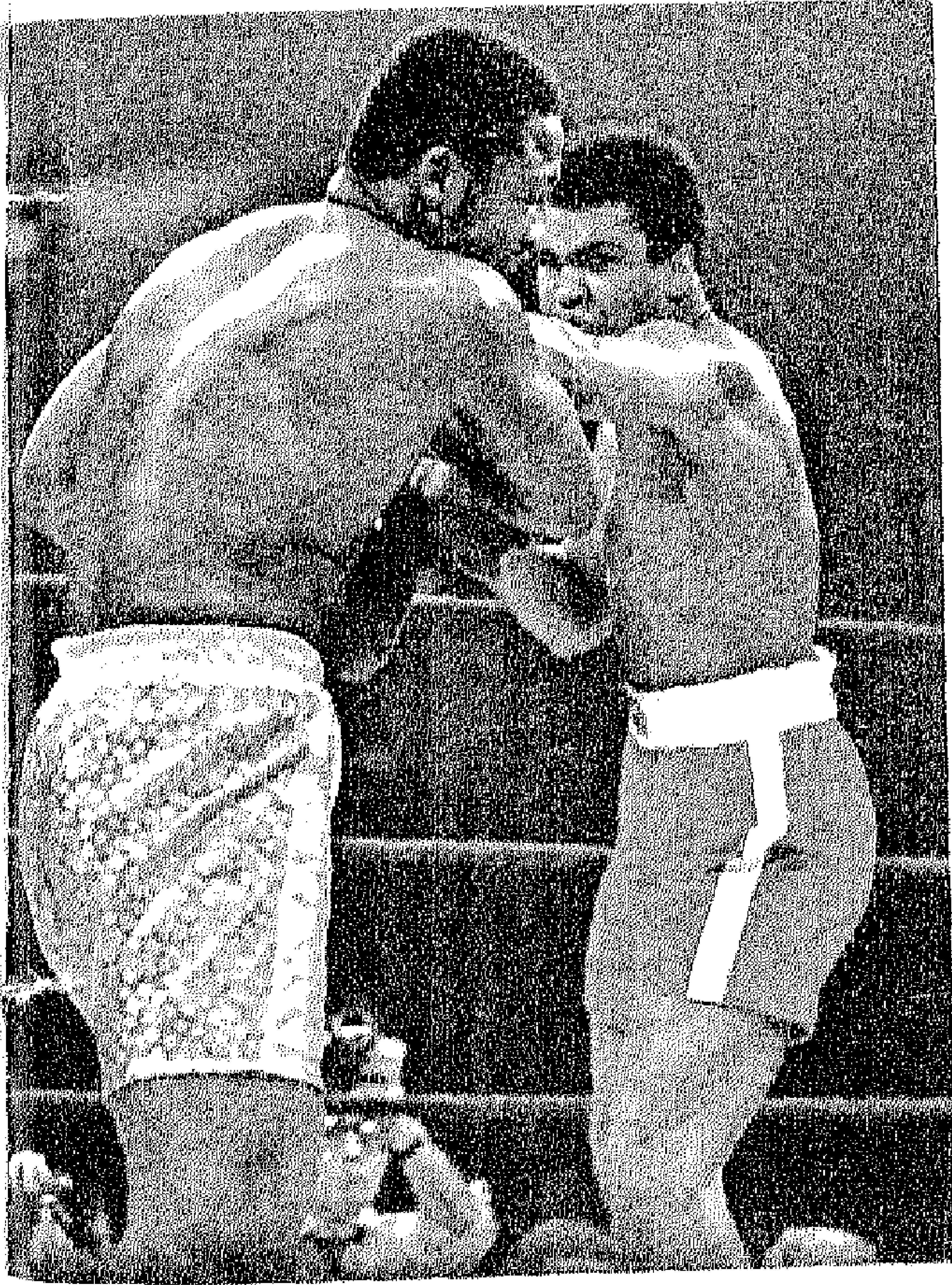
وكانت تلك الفترة كذلك فترة امتحان معنوي عسير بالنسبة الى محمد علي. فكان المال ينقصه حينا، والاصدقاء يتخلون عنه احيانا اخرى. وقد اقامت الملاكمة على عرشها بطلا سواه هو جو فريزير. وكان محمد علي يدرك يوما بعد يوم ضعف حظه في استعادة اللقب المنتزع منه خصوصا ان تقدمه في السن كان يحول دون احتفاظه بلياقته البدنية ومهاراته الرياضية. وفي النهاية، صدر عليه الحكم بالسجن لامتناعه عن الالتحاق بالجندية، لكن هذا الحكم لم ينفذ بعد استئنافه امام القضاء.

وعلى الرغم من تضاؤل معنوياته احيانا، فقد احتفظ محمد علي بشجاعته وصموده، ولو انه كان يخرج في بعض الاوقات، هائما على وجهه، وراء مقود سيارته، في انحاء شيكاغو حيث يقيم، فيعرج على دكاكين الحلاقين في الاحياء الفقيرة ليتبادل معهم اطراف الحديث، ويمر على مطاعم المسلمين، ويتوقف هنيهة في مكاتب صحيفة المسلمين السود "محمد يتكلم" ويبحث عن بعض الاعمال والمهمات الصغيرة التي تبعده عن البيت. واصبح وزنه على ازدياد.

غير ان الامة التي ادارت له ظهرها اخذت تتراجع عن موقفها. فقال محمد علي في هذا الصدد: "من الامور

الطيبة في هذا البلد انك اذا صممت على الدفاع عن حقك، فان الناس تتقبل ذلك وتتكيف معه بعد حين". فكانت تلك هي ادق نبوءاته وابلغها اهمية. وبالفعل، فقد اخذت المحكمة العليا تعيد النظر في حالته، في ضوء قرار حديث اصدرته واعتبرت فيه ان الاعتراض المعنوي والاخلاقي على الحرب يتساوى في شرعيته مع الاعتراض الديني. وكان هذا الموقف بمثابة الاعلان عن رغبة المحكمة العليا في الغاء الحكم الصادر عليه. وفي الوقت نفسه، اعد المحامون المهتمون بالدفاع عن الحريات المدنية في نيويورك قائمة بالمجرمين الذين ثبتت ادانتهم بتهمة القتل والسرقة المسلحة، ومع ذلك فقد حصلوا من لجنة الرياضة في ولاية نيويورك على الترخيص لهم بممارسة الملاكمة. ويتضح من ذلك ان قرار اللجنة الذي اصدرته بحرمان محمد علي ممارسة الملاكمة اصبح واهيا لا يصمد لاي اعتراض جاد، علما بان اللجنة قد استندت فيه الى اعتبارها ان سلوك محمد علي في رفضه الالتحاق بالجندية مهين للرياضة. فماذا عساها تقول في الترخيص الممنوح للمجرمين السابقين؟

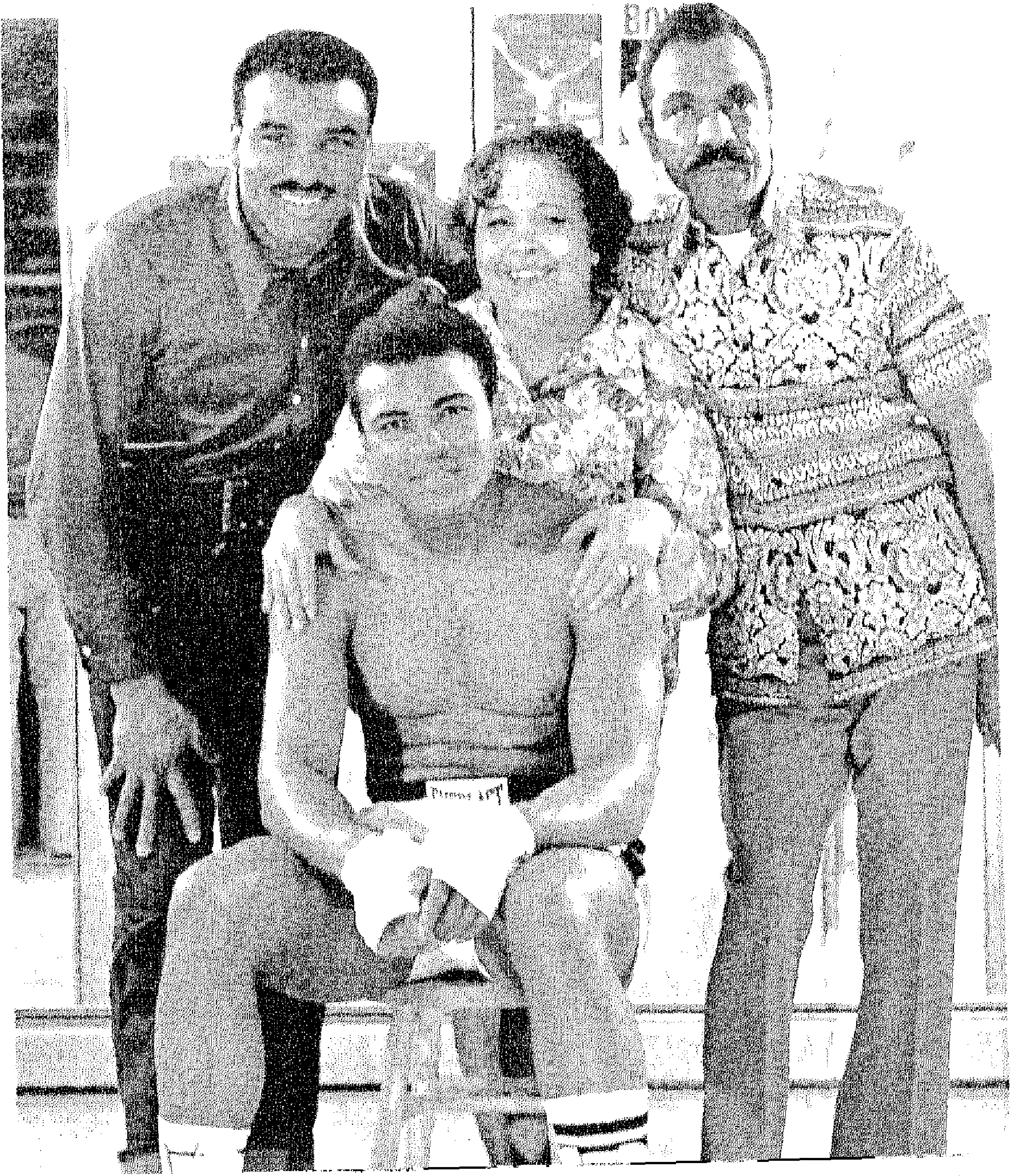
وفي النهاية، دخل الحلبة عضو اسود في مجلس الشيوخ في ولاية جورجيا يدعى ليروي جونسون، ولوح بكتلة الاصوات التي تؤيده وكأنها هراوة قتال تتهدد من يجرؤ على معارضته. فوفق الى تنظيم مباراة في مدينة اتلانتا بين محمد علي وجيري كواري، وهو ملاكم ابيض من المرشحين للتنافس على بطولة الوزن الثقيل. وكان حاكم ولاية جورجيا ليستر مادوكس من المتعصبين العنيفين لسيادة البيض، ولكنه لم يقم باي محاولة جادة لايقاف المباراة، بينما راح عمدة اتلانتا الابيض يصف المباراة بانها دليل على



"جو المدخن" فريزير ومحمد علي يتبادلان الضربات خلال مباراتهما على اللقب في ماديسون سكوير غاردن في مارس (آذار) ١٩٧١.

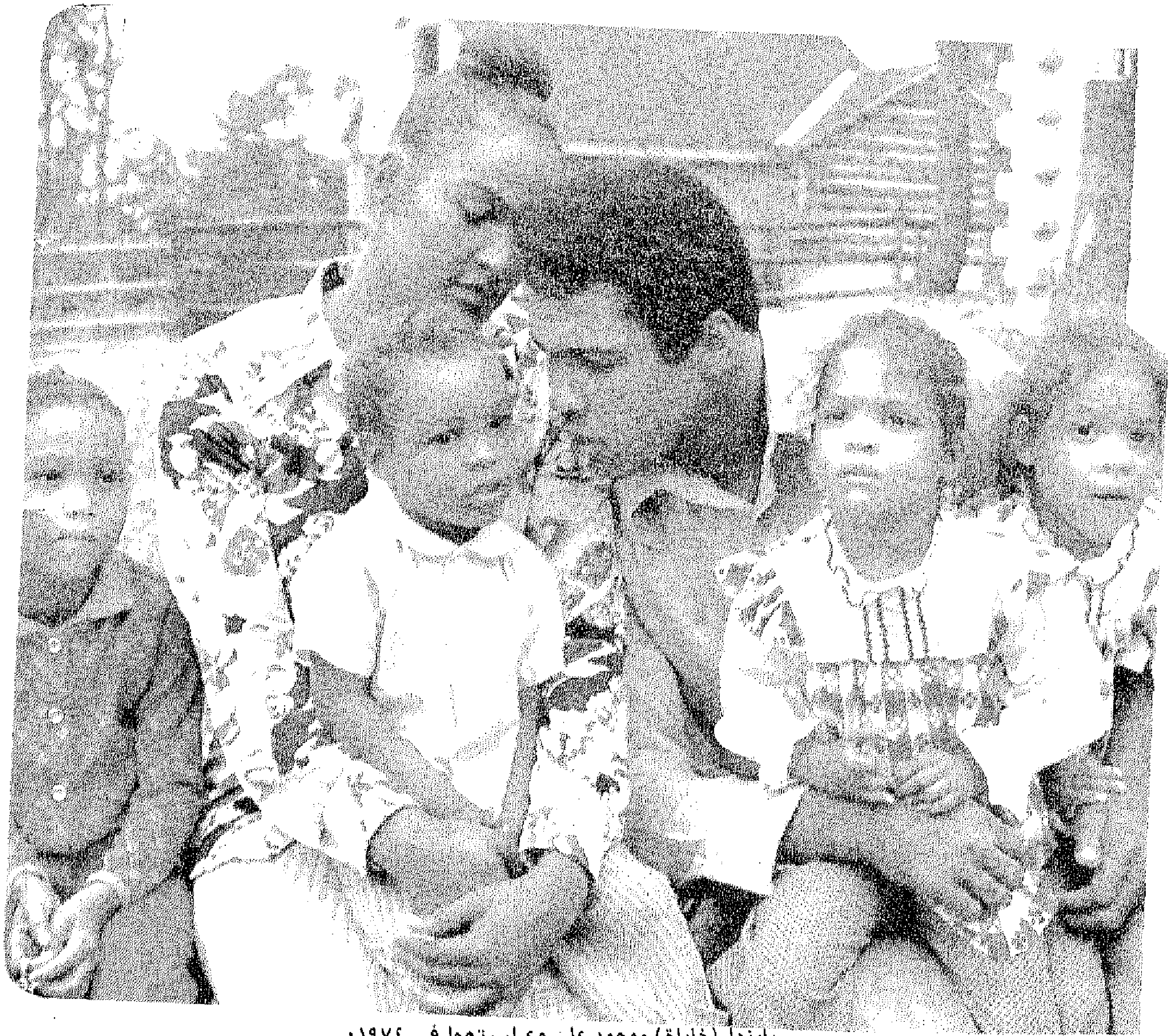
"الديموقراطية". وفي ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠، لاكم محمد علي بسرعة ناعمة كالحرير وضربات كالمطارق، فلم يلبث ان هزم جيري كواري بالضربة القاضية في الجولة الثالثة.

لقد عاد محمد علي. ولكن هل هو لا



صورة عائلية في ١٩٧٤: محمد علي (جالسا) يحيط به، من اليسار، شقيقه رحمن، ووالدته اوديسا غرادي كلاي، ووالده كاسيوس مارسيلوس كلاي.

يزال ملك الحلقة؟ فقد تصدى له جو فريزير، وهو شاب في السابعة والعشرين من العمر، وابن مزارع من بوفورت في ولاية ساوث كارولينا، وقال: "لا". غير انه كان على "جو المدخن" ان يجيب عن هذا السؤال في حلبة الملاكمة. وفي السنوات الاربع التي انقضت منذ تجريد محمد علي من لقبه، كان فريزير قد انتصر في ١١ مباراة على كل ملاكم له اهميته من الوزن الثقيل تقريبا، متغلبا على تسعة منهم بالضربة القاضية. ولكن كل هذا اصبحت قيمته مرهونة الآن بنتيجة منازلته لمحمد علي.



بليندا (خليلة) ومحمد علي مع اسرتهما في ١٩٧٤.
من اليسار: مريم، ومحمد الابن، والتوأمتان رحيمة وجميلة.

وقد اطلقت الاعلانات على مباراتهما - بكل بساطة - اسم "الملاكمة" علما بأن كليهما كانا افضل اثنين من ملاكمي الوزن الثقيل في عصره، وكلاهما يحمل الميدالية الاولمبية الذهبية، وكلاهما لم يهزم من قبل في مبارياته الاحترافية. وها هما يتجابهان الان في حلبة الصراع، وكل منهما يريد ان يثبت رجولته. وعين تاريخ المباراة في ٨ مارس (آذار) عام ١٩٧١، ومكانها في المبنى الجديد لـ"ماديسون سكوير غاردن"، وكان المبلغ المرصود ضخما لم يسبق له نظير ومقداره ٢،٥ مليون لمكافأة كل منهما، غير ان المباراة كانت في نظر الكثيرين اكثر من مجرد ملاكمة، انها كانت بمثابة مسرحية اخلاقية!

وقد استغرقت المباراة ١٥ جولة من اقسى واعنف الجولات التي شهدها ذاك الجمهور الحافل بمشاهير الشخصيات. فقد جاء محمد علي

ليعرض رائعة لا نظير لها ولم يكن قصده الفوز فحسب، وانما كان يريد ان يثبت ايضا صموده في تحمل اقسى ضربات فريزير، وتفوقه على "الضراب" في الضرب· ولكن محمد علي قدر قوة فريزير باقل من حقيقتها كما بالغ في تقدير قوته هو في الوقت نفسه·وفي الجولة الاخيرة، نجح فريزير في طرحه ارضا (★)·

وكانت الليلة ليلة فريزير، اذ ربح المباراة باجماع آراء الحكام·

الا ان كلا الرجلين خرجا من تلك الليلة رابحين: فلم يعد فريزير تحت ظل محمد علي، وانما اصبح بطل العالم من دون منازع، ينال الاحترام

(★) الوقوع في اثناء المباراة مسألة خطيرة بالنسبة الى اي ملاكم، لان نتيجتها المباشرة هي ان يفقد الملاكم نصف النقاط التي حصل عليها حتى لحظة وقوعه··

اللائق بالملاكم العظيم· واما محمد علي فقد دلل بدوره على شيء: لم يكن احد يشك ابدا من قبل في سرعته او موهبته. لكن شجاعته في الحلبة، او بالاحرى "قلبه" كما يقول هواة الملاكمة، كان موضع ارتياب، اما الان، فلم يعد ثمة شك في شجاعة محمد علي او "قلبه"، او في بطولته الاصيلة، سواء أحمل اللقب ام لا·

وفي اليوم التالي للمباراة بقي محمد علي رابط الجأش، متمالك النفس في الهزيمة كشأنه دائما عند الفوز· وقال: "لقد خسرت المباراة، وليس هذا كل شيء· فهناك اشياء اهم في الحياة· ولعلني خرجت من هذه الهزيمة رجلا افضل·لقد كان لي يومي· وعلى الخاسر ان يتقبل الخسارة لا ان يطلق الرصاص على نفسه·

جمهور المعجبين يحيط بالبطل الذي استرد عرشه في شوارع كينشاسا، زائير، بعد ان هزم البطل جورج فورمان بالضربة القاضية·



"من واجبي ان تغبطني الخسارة كما يغبطني النصر، لكي يتمكن انصاري من الانتصار على هزائمهم، وعلى مآسي الحياة اليومية. كأن تفتقد الاسرة عزيزا من افرادها او يخسر الانسان ممتلكاته".

وقاطعه احدهم مخاطبا اياه: "ايها البطل..."

فرد محمد علي برقة: "لا تخاطبني بهذا اللقب. فالبطل الان هو جو". فقال آخر: "هل تتذكر، يا محمد علي، تلك الكلمات التي تفوهت بها قبل مباراتك الاولى ضد ليستون، حين قلت انك اذا خسرت فستخرج الى الشارع في اليوم التالي صائحا: "لا يهزمني رجل ابدا مرتين؟"".

وهنا ارتسمت ببطء ابتسامة عريضة على ملامح محمد علي، وقال: "بلى، اذكر ذلك. وهل تعرف ما الذي اقوله الآن؟ هاتوا لي جو فريزير... فلا يهزمني رجل ابدا مرتين..."

ثم ارتفع صوته ورعدت كلماته بالوعيد: "سأنال من جو هذه المرة. انني حاضر هذه المرة... هل تسمعني يا جو؟ اما اذا هزمتني هذه المرة، يا جو، فستكون انت الاعظم حقا!".

"لا يزال هو البطل"

في الساعة التاسعة والربع من صباح يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧١، كان محمد علي يتجول في الجزء الجنوبي من مدينة شيكاغو بسيارته اللنكولن ذات اللونين الابيض والأخضر، حين قرر فجأة ان يتوقف ليروي ظمأه في محل يبيع عصير البرتقال. وبينما هو يخرج من سيارته، اقبل عليه رجل وهو يصيح: "لقد سمعت الخبر لتوي في الراديو. فقد برأت ساحتك المحكمة العليا وانك حر".

فشهق محمد علي شهقة طويلة وقال منفرجا: "الحمدلله"، واندفع الى داخل السيارة يدير جهاز الراديو، ليسمع بنفسه الخبر. لقد ابدت المحكمة العليا رأيا قانونيا من دون توقيع، تعلن فيه ان وزارة العدل قد ضللت ادارة التجنيد حين افتتها خطأ بان دعوى محمد علي بصفته مستنكفا ضميريا (يرفض الخدمة في القوات المسلحة لاعتبارات تتعلق بالمبادىء الخلقية او الدينية) عارية عن الصحة وانها لا تستند الى الاساس الديني، وقررت المحكمة العليا باغلبية ثمانية اصوات ضد لا شيء ان تجنيد محمد علي كان تصرفا خاطئا من اساسه.

اما جو فريزير فقد احتفظ بلقب البطولة لفترة تقل عن عامين، ثم انتزعه منه جورج فورمان، وهو رجل مفرط القوة، يستهويه توجيه الضربات ولا يكف عن اللكم. وكان الرأي السائد انه اذا التقى محمد علي وفورمان فان البطل الجديد سيكون اول رجل يهزم محمد علي بالضربة القاضية.

ولم يكن فورمان بطلا نشطا، ولم تكن له الشخصية ولا الرغبة في ان يستثمر لقبه، فراح ينفق معظم وقته في التفكير المتجهم. ربما في ذلك

الشبح المديد الذي يسد له محمد علي على الحلبة وعلى العالم، وينذر باقتراب عودته، حسب ما قاله الكاتب الروائي باد شولبرج: "مهزوم ولكنه لا يزال هو البطل".

وكانت المعركة بينه وبين جو فريزير قد اثبتت اياته القتالية، كما ان قرار المحكمة العليا قد فسح له طريق العودة الى مجرى الحياة الامريكية الرئيسي، بل والى اكثر من ذلك: فهو يظهر باستمرار في الاعلانات التجارية والمقابلات التلفزيونية، ويتلقى عروضا تعاقدية لا آخر لها.

وفي فترة الثلاث سنوات والنصف التي انقضت منذ الهزيمةالتي انزلها به فريزير حتى منازلته فورمان، خاض محمد علي ١٤ مباراة كانت بمثابة مهرجان حقيقي للاسفار. فلم يعد محمد علي ولا شك سيد الانقضاض الراقص الذي يتنبأ بالجولة الختامية ويوجه المباراة على هواه، وقد بدأ التعب ينال منه في الجولات الاخيرة واضطره الى الملاكمة على قدمين منبسطتين، كما خانته القدرة على تفجير مجموعاته الفورية من اللكمات الصاعقة التي كانت تنهال طرا في خمس او ست او سبع ضربات ساحقة متتابعة فتقلب مسار المباراة وتربك الخصم وتزعزع كيانه. بل ان محمد علي قد اصبح ايضا اكثر تعرضا للضربات.

لكن ذلك لم يحل دون انتصاره الحاسم على جو فريزير في مباراته الثأرية من ١٢ جولة في "ماديسون سكوير غاردن"، وكان ذلك في ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤، بعد عيد ميلاده الثاني والثلاثين باحد عشر يوما. وبدا محمد علي مرتاحا الى هذه الملاكمة، وراح بعد المباراة يأكل البوظة (جيلاتي) ويقول في صوت ناشز التنغيم: "هل يبدو علي ان عمري ٣٢ سنة؟"

وتزايد الضغط على فورمان كي يثبت انه يستطيع هزيمة محمد علي. واستغرق الامر اشهرا من المكالمات الهاتفية الليلية والمفاوضات اللبقة الدقيقة التي اجراها فريق من جماعة محمد علي، وانتهى الامر الى تنظيم اغنى ليلة وابهاها مشهدا في تاريخ الحفلات والمشاهد على الاطلاق. والواقع ان الكلفة كانت باهظة الى حد يتعذر على اي بلد تحملها ما لمتحدُه الرغبة في بذل المال لكسب الشهرة العالمية والنفوذ. وكان المكان المختار هو كينشاسا، عاصمة دولة زائير الناشئة في افريقيا السوداء.

وتفيد التقديرات اليوم ان مباراة "زئير في الزائير" قد شاهدها ربع مجموع سكان الكرة الارضية، سواء عن طريق التلفزيون المباشر، او عروض التلفزيون المتأخرة او الافلام السينمائية. وكان الممثل السينمائي انتوني كوين، في اثناء هذه المباراة، يعمل في فيلم في طرابلس، ليبيا، وهو يذكر كيف راح المشاهدون المسلمون يضرعون الى

الله العلي القدير قبل المباراة، وكيف اندفعوا الى شاشة التلفزيون يقبلونها عندما اتاح محمد علي لفورمان ان يستنفد قواه في الضرب، قبل ان يشن عليه هجومه المضاد الساحق. وحين هزم محمد علي فورمان في الجولة الثامنة، تصاعدت انفجارات الغبطة في انحاء العالم الثالث، وراحت الجماهير ترقص في شوارع افريقيا وآسيا، بل واعلن سائقو سيارات التاكسي في ايران ابتهاجهم فراحوا ينقلون الركاب مجانا.

... وماذا بعد؟

بدأ محمد علي فترته الثانية كبطل للوزن الثقيل، بالاسلوب البطولي الطنان الذي حرمه في المرة الاولى. فبعد انتصاره بيومين، توجه محمد علي الى شيكاغو، المدينة التي رفضت ان تقام فيها مباراته بعد الملاحظة التي اباها عن الفيتكونغ. وفي هذه المرة، كان عمدة المدينة في انتظاره ليقدم اليه آيات التكريم. وبعد ذلك باسبوع قصد الى مسقط رأسه لويزفيل، فنادى بها "اعظم مدينة. ولا بد ان تكون كذلك، لسبب رئيسي هو: انني منها".

وبعد لويزفيل بشهر، ذهب محمد علي الى نيويورك ليحضر الاحتفال "بيوم محمد علي". وفي ١٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٤. استقبل الرئيس فورد محمد علي في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض. وقال محمد علي: "البطولة هي قمة العالم".

كان محمد علي يحب تقبيل الاطفال، ويحك انفه بانوفهم، ويحضنهم ويقول لهم: "ستتذكر هذا طوال حياتك. واذا نسيت فسيذكرك به امك وابوك، وهم يعرضون عليك الصورة. فقد حظيت بقبلة من فم البطل".

وكان يتأنى في شرح ذلك فيقول: "ذات مرة جاء جو لويس الى لويزفيل واستند الى احد اعمدة التلفون في الشارع الي اسكنه. ولم يكن ذلك يعني شيئا بالنسبة اليه، اذ طالما استند الى اعمدة تلفون اخرى. لكن امي لم تنس ذلك ابدا. وهي حتى الآن لا تستطيع ان تمر بجانب عمود التلفون هذا من دون ان تذكر لنا ان لويس استند اليه. مسألة لا تعني شيئا لجو لويس، ولكنها بالغة الاهمية في نظر امي".

ومحمد علي رجل كريم، يوجه في طبيعة الحال مقدارا كبيرا من احسانه الى المسلمين. وقد تبرع بمبالغ ضخمة لبناء مدارسهم ومساجدهم وتغطية التكاليف الاساسية لبدء المشروعات التجارية او الصناعية الصغيرة التي يتولاها مسلمون. وهو قدم مساهمات كبيرة ايضا الى صندوق كليات الزنوج المتحدة، وتبرعات ضخمة الى ضحايا الجفاف في افريقيا.

وقد دافع محمد علي عن لقبه الجديد ثماني مرات، في عامي ١٩٧٥ و١٩٧٦ اضافة الى عدد من المباريات الاستعراضية. وخاض اهم مبارياته -

من الناحيتين الرياضية والشخصية - في اواخر عام ١٩٧٥ في الفيليبين. وكانت تلك المباراة، التي سماها هو "اعجوبة مانيلا"، عنيفة قاسية حافلة بالضربات المتبادلة من دون هوادة، وانتهت بانتصاره مرة اخرى على منافسه القديم جو فريزير، كما انتهت ايضا بطلاقه من زوجته الثانية خليلة، وهو الاسم الذي اصبحت تدعى به زوجته بليندا، وزواجه من عارضة ازياء هيفاء تدعى فيرونيكا بورش، كانت تصاحب البطل في رحلاته من وقت الى اخر منذ عام تقريبا، بعد ان كان التقاها في مسابقة للجمال عقدت قبل ان يلاكم جورج فورمان ببضعة اشهر، وكان اصطحبها الى زائير ومانيلا حيث قدمها الى الرئيس فرديناند ماركوس كزوجة له. وفي ٦ اغسطس (آب) ١٩٧٦ وضعت فيرونيكا بنتا سميت "هناء ياسمين علي"، هي اول مولود لفيرونيكا وخامسة اطفال محمد علي.

مع حلول عام ١٩٧٧، بدأت بنية محمد علي تميل الى الافول، ولم تعد ساقاه القويتان كسابق العهد بهما. وقد اعترف محمد علي بذلك قائلا: "الامر ببساطة هو انني لم اعد استطيع الرقص طوال الليل. ولكن من ذا الذي يظل صامدا على حاله؟" وكثيرا ما اصبح البطء ينتابه في الحلبة. وقد اعلن مرارا رغبته في اعتزال الملاكمة بعد مباريات لم يرتح لادائه فيها، ثم يتراجع عن هذه الرغبة امام صفقة دسمة. فنازل كين نورثون للمرة الثالثة. وتبارى مع الفريد ايفانجليستا الاسباني، ومع ايرني شيفرز، وكلهم ملاكمون كانوا يعتبرون مجرد لعبة في يديه وهو في اوجه، ولكنه اصبح الان يجد صعوبة في التغلب عليهم.

وقال الدكتور فيردي باتشيكو من ميامي، الكاتب والطبيب الذي اشرف طوال خمسة عشر عاما على تدريب محمد علي ومبارياته: "ان قلب محمد علي وعقله لم يعودا يربطانه بالملاكمة".

وقد ثبتت صحة هذا التشخيص الخطير في ليلة ١٥ فبراير (شباط) ١٩٧٨، بعد عيد ميلاد محمد علي بأسابيع قليلة. ففي تلك الليلة، تمكن ليون سبينكس، الاقصر قامة والاخف وزنا، ولكنه افتى من محمد علي باثني عشر عاما، من الفوز في لاس فيغاس بقرار انقسم فيه الحكام وانتزع من محمد علي لقبه ليصبح بطل العالم الجديد في الملاكمة في الوزن الثقيل.

وكان الخبراء قد استهانوا بأمر سبينكس. فهو لم يلاكم كمحترف قبل ذلك الا في سبع مباريات، كما ان سبب شهرته الحقيقي (مثله مثل كاسيوس كلاي الشاب قبله) هو فوزه بالميدالية الذهبية في الالعاب الاولمبية في وزن الخفيف- الثقيل.

وقد استهان محمد علي نفسه بغريمه سبينكس، فلم يلزم نفسه بالقدر المناسب من التدريب الشاق قبل المباراة، وظهر فيها وقد احاطت بخصره غلالة سميكة من شحم السمنة. وكان آخر ما توقعه ان يجد سبينكس الشاب يصمد له ويبادله اللكمات طوال خمس عشرة جولة قاسية، تزيد كثيرا

على ما سبق لسبينكس ان تحمله في ليلة واحدة.

أيامه صارت معدودة

وفي ختام المباراة، بدا محمد علي مرتبكا تكاد الدموع تطفر من عينيه، وقال انه لن يعتزل بل سيحاول ان يصبح اول ملاكم من الوزن الثقيل في التاريخ يحصل على البطولة للمرة الثالثة.

ولقد كان هذا الهدف الجديد حافزا له على شحذ عزيمته والزام نفسه بالتدريب الشاق. فكان له ان وجده هواة الملاكمة، في ليلة ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨ في نيو اورلينز، ذاك المنافس الخاطف اللكمات والعازم على الظفر غير الذي عرفوه منذ سنوات. واجمع الحكام على انتصاره وهزيمة سبينكس في الخمس عشرة جولة. وفي حين ان محمد علي لم يعد ذلك المعلّم الراقص السابق، الاّ انه قد سيطر على منافسه الاصغر منه سنا ولقّنه امثولة في الملاكمة.

لكن هذا النصر لا يعني ان ايامه كملاكم ممارس تعتبر معدودة. فليس من المعقول أنه يفكر يوما في توقفه عن بريق الشهرة. فهناك أشياء أخرى في مقدوره ان يقوم بها حتى من دون ملاكمة. وهناك ايضا مجموعة من المشروعات التجارية الجديدة يمكن تكنيتها باسم محمد علي، كالمشروعات العقارية وصناعة الدمى وملاءات الاسرّة وادوات زينة الرجال والساعات. وقد صور فيلم من الرسوم المتحركة للاطفال عن محمد علي بعنوان "انا الاعظم"، قال هو انه اعده: "كي يبقى ماثلا في عيون الجماهير. فان الاطفال الذين سيصبحون في الغد حكام الولايات وعمد المدن في بلادنا، وسوف يتذكرونني جميعا، لانني سأظل حيا في أذهانهم، وسيظلون متأثرين بي".

وهناك النشاط السياسي ايضا. فقد اصبح المسلمون يطلقون على انفسهم اسم "امة الاسلام العالمية في الغرب"، وتزعمهم والاس د. محمد ابن المرحوم اليجا، فوجههم الى الانشطة السائدة في حركة المجتمع، وراحوا يعملون بهمة على ضم السود من الطبقة المتوسطة الى صفوفهم، كما بدأوا يسبرون غور النشاط السياسي في عالم البيض. وليس مستبعدا ان يرشح محمد علي نفسه ذات يوم لاحد المناصب العامة.

وفي ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٨، اصبح محمد علي اول رياضي اجنبي مشهور يحظى بمقابلة الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف. وبعد المقابلة التاريخية التي استمرت ٣٥ دقيقة، عقد مؤتمر صحافي تبادل فيه الرئيس والملاكم العناق، وكشفت تعليقات محمد علي عن تمتعه بالموهبة الديبلوماسية. قال: "لقد وجدت الشعب الروسي يفيض بمشاعر الانسانية والحب مثل جميع الشعوب الاخرى على ظهر هذه الارض. واسعدني ان ارى الكثير من الامم والشعوب هنا تعيش في سلام. ولم اشاهد شخصا واحدا يتطفل للانتقال في سيارة او يستعطي او يعاني الفقر المدقع. ولم اشعر في حياتي بمثل هذا المأمن من السرقة".

غير ان مغامرة محمد علي الروسية قد اثبتت شيئا لا ريب فيه، وهو ان محمد علي سواء أكان بطلا حاليا ام بطلا سابقا، فانه لن يعتزل المسرح

العالمي بسهولة، ومن بين الادوار الجديدة التي يمكنه ان يلعبها دور نجم السينما.

أدوار المستوى

ومع ان فيلم "الاعظم" الذي يروي قصة حياته، والذي كلف انتاجه خمسة ملايين من الدولارات، لم يحقق النجاح الساحق المأمول، الا ان محمد علي اثبت ايضا ان في مكنته ان يلمع على الستار الفضي، وقد بدأ لفوره- في طبيعة الحال- يفكر ويتحدث بطريقته المسرفة عن تحقيق افلام اخرى.

وقال: "بعد هذا الفيلم سأمثل دور هانيبعل مستعينا بمئات الافيال، ثم دور محارب مصري اسمر مستعينا بعشرة آلاف حصان. انها افلام نظيفة، افلام لها رسالة تنفع البشرية...

ولا بد لي ان امثل ادوارا في مستوى حياتي. وهذا وحده يساوي آلاف الملايين.

ولا مكان في افلامي لمسائل الجنس والتدنيس، بل يجب ان تكون كلها افلاما تتاح مشاهدتها للنساء والاطفال. ولا محل عندي لابطال الجنس ولا لاساطير الحشرات الضخمة المرعبة. وانا رجل متدين، والتقي رؤساء الدول، فكيف يمكنني ان اظهر في فيلم وانا عار امارس الجنس.

ان كيسينجر يأبى ذلك لنفسه، فكيف بي وانا اهم من كيسينجر؟".

كان هناك صحافي يجلس بجانب محمد علي في ذلك اليوم، فأضحكه هذا الكلام.

"اهم من كيسينجر؟ ولم لا؟"

فأن وجه محمد علي، من حيث الشهرة لدى الجمهور، معروف ولا شك اكثر من وجه وزير الخارجية السابق بل ربما كان اشهر شخص معروف في العالم باسره. فهو وحده- من بين جميع المشاهير- الذي تتعطل بسببه حركة المرور في كل مدينة يزورها في العالم اجمع.

واما من حيث التأثير الدولي، فربما جاء يوم يتفوق محمد علي على هذا المتجول هنري كيسينجر. ويكون لوقع وداده نحو الاخرين صدى ايجابيا بعيد المدى، خصوصا في بلاد العالم الثالث. ولقد لمَّح هو الى انه على استعداد للقيام بمثل هذه المهمة. وقد قال في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٨ انه يعتزم تنظيم جماعة تدعى "العالم- المنظمة العالمية للحقوق والحرية والكرامة"، وصفها بانها منظمة خيرية تستهدف الى الدفاع عن حقوق الانسان.

وبعد ذلك بأسابيع كان محمد علي واقفا امام تمثال الحرية في نيويورك حيث تعهد بمساعدة الهنود الامريكيين في احتجاجاتهم على مقترحات استخدام الاراضي التي تحرمهم الحقوق التي كفلتها لهم المعاهدات. وقال:

"لقد فات الوقت لانقاذ نيويورك او كليفلاند واعادتها الى الهنود، لكن الوقت لم يفت لانقاذ الصحارى القليلة التي خصصت لهم. واذا لم اساعدهم وانا رجل غني، لتملكني الشعور العميق بالاثم".

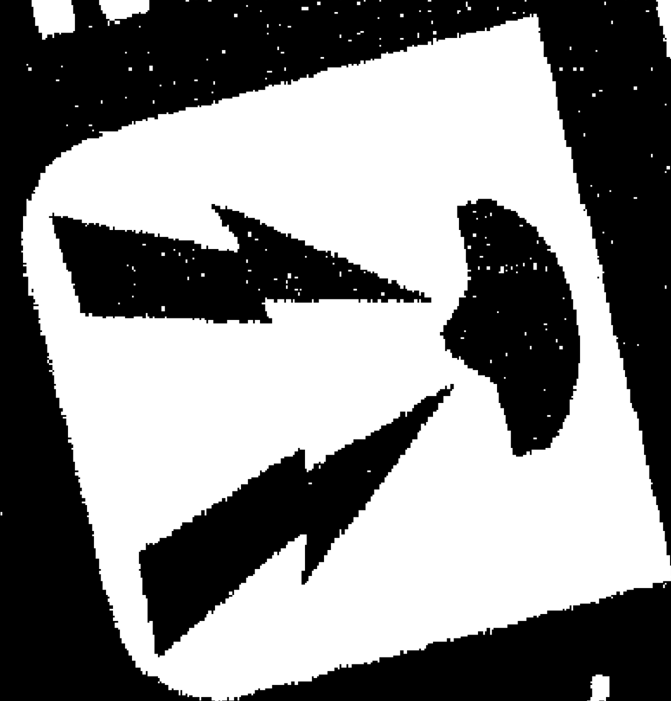
وماذا بعد؟

لقد قال محمد علي: "كل شيء ممكن لمن يجرؤ على السعي اليه". ولمحمد علي جرأة تفوق جرأة معظم الناس، وهو لم يتجاوز الخامسة والثلاثين بعد.

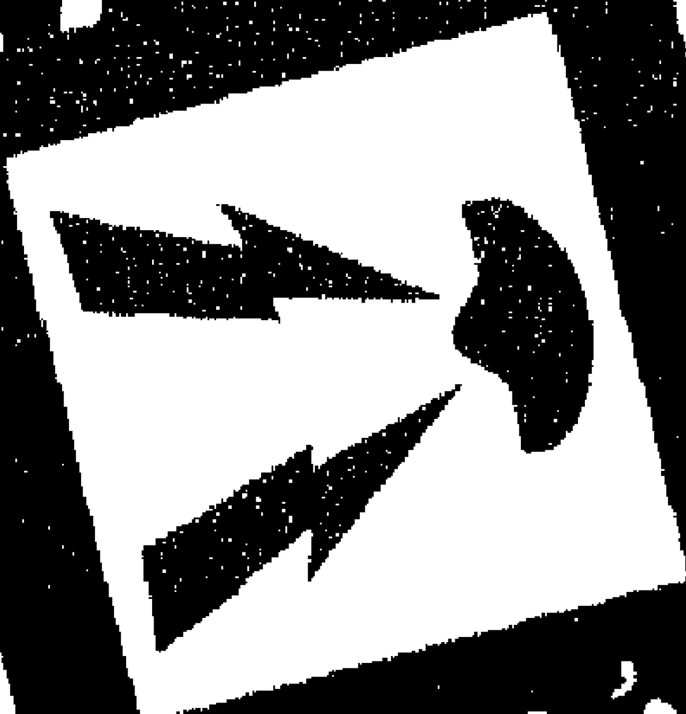
■ روبرت ليبسايت

CITIZEN QUARTZ

MULTI ALARM



مُنبّه ١



مُنبّه ٢



جَرَسْ



مُوَقِتْ



جهاز حفظ الوقت والتوقيت

عندما تنسى سيتيزن تذكّرك



عندَ تستشغيلكَ لأيٍ من هذهِ الصفات يُضيءُ المؤشّر تلقائياً
ويَصْدرمن الساعَةِ صَوت (بيْب) ينبّهك إلى إبتدَاء العَمَل وانتهائه
إنها ابتكار مجرّب وساعَة لا تقدّر بثمن للرجُل الذي يعتبر أن وقته من ذهبْ

سيتيزن كوارتز ملتي الارم

سيتيزن

CITIZEN



العالم العربي:

الرمال الساخنة تتحرّك (ص ٢٩)

أسرار السعادة الزوجية (ص ٥٣)

مصر موطن الحضارة الأولى (ص ٤٦)

المغربُ الساحر (ص ٦٨)

الكوليسترول والنوبات القلبية (ص ٩٥)

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - دبي ٦ د -
ابو ظبي ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م -
السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٧٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف -
تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest January 1979